السياسة المالية لأبى بكر الصديق

تأليف

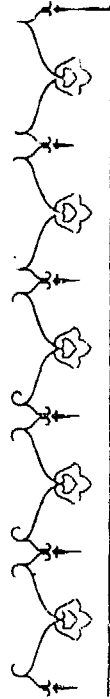
قطب ابراهيم محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٠

الاخراج الفنى ماجده البنا

تصميم الغلاف درية محمد على



بســم الله الرحمن الرحيم

« الا تنصروه فقد نصـــره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصــاحبه لا تحزن ان الله معنـا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعــل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم »

(التوبة / ٤٠)

صدق الله العظيم

مقدمة

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وأسس دولة اسلامية دستورها القرآن ومنهجها السنة ، وأدار تلك الدولة بسياسات عامة منها السياسة المالية التى استمدت بعض عناصرها من آيات من القرآن المجيد والبعض الآخر مما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو عملا ٠٠ وقد أحاط عليه الصلاة والسلام تنفيذ السياسة المالية للدولة الاسلامية باطار من المبادىء واخلاقيات تبغى كفاءة اداء مواطنى الدولة الاسلامية للفرائض المالية وترشيد الانفاق العام ليؤدى دوره فى خدمة الدين وتمويل الخدمات العامة التى تحقق رعاية الأمة ، كما اكد على العدالة المالية وتعفف الحكام وأمانة الجباة ورشد الادارة المالية ٠

صاحب أبو بكر الصديق رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورافقه ، وصدق دعوته ومولها بأمواله ودافع عنها بجهاده ، كما عاصر مراحل تأسيس الدولة الاسلامية الأولى ووعى السياسات العامة التى ادار بها رسول الله تلك الدولة ومنها سياسة المال العام ، فعرف أن الايرادات العامة لتلك الدولة كانت أيام الرسول عليه الصلاة والسلام من حصيلة الزكاة المفروضة بالقرآن وخمس الغنائم طبقاً لآية الخمس وجزية يؤديها أهل الكتاب اذا لم يستجيبوا لدعوة الاسلام وخراج أراض آلت للدولة الاسلامية بعد جهاد المجاهدين وتحقيق نصر الله ٠٠

كما علم الصديق أيضا أن من الانفاق العام انفاق من الزكاة مخصص لوجوه معينة حددها القرآن وأن الانفاق منخمس الغنائم يوجه للفئات المبينة بآية الخمس وأن الانفاق العام من باقى الموارد العامة يوجه للأنشطة العامة للدولة ولمساندة الدين ولتحقيق رعاية الأمة ..

ووعى الصديق رضى الله عنه أيضا مبادىء ادارة رسول الله صلى الله عليه وسلم للأموال العامة وأحاديثه عنها كوجوب أداء الزكاة وشجبه غلول الغنائم وتأثيمه قبول عمال الصدقات الهدايا ونصحه المؤتمنين منهم بأداء ما اؤتمنوا عليه ، وعدم ظلم أهل الكتاب ، وعدم تعذيبهم عند استئداء الجزية ، وغير ذلك من المبادىء العامة التى تنضبط معها حركة الأموال العامة وتترشد .

فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خلفه صاحبه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وأدار الدولة بسياسات عامة ومنها السياسة المالية ..

هذا الكتاب يتناول تلك السياسة فى عهد الصديق ، فيوضح الأوضاع العامة للسياسة المالية للدولة كما تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبات التى صادفتها غداة موته وظروف خلافة أبى بكر وشكل حكومته وسمات سياسته المالية للدولة استنتاجا من خطابه الأول للأمة بعد مبايعته ..

ويوضح الكتاب كيف أزال الصديق العقبات التى اعترضت السياسة المالية فحارب المتنعين عن اداء الزكاة والمرتدين عن الاسلام وقاتلهم وانتصر عليهم ففاءوا لدين الله وأدوا الزكاة للدولة الاسلامية ، فأدار الصديق أموالها طبقا لكتاب الله وسنة رسوله .

كما يبين الكتاب كيف أحيا الصديق فريضة الجهاد فى سبيل الله وأداره ادارة حازمة مخلصة ، وانضمام صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لجيوش المجاهدين ، حتى تحقق نصر الله ، وغنم المسلمون مغانم كثيرة آل خمسها للدولة الاسلامية استنادا لآية الخمس .. كما أن الجهاد أفاض الجزية للموارد العامة للدولة ، فدفعها أهل الكتاب طبقا لشروط الصلح التى عقدها معهم قواد

جيوش الاسلام ، ومهد الجهاد كذلك لأيلولة أراضى الغنائم فيما بعد للدولة الاسلامية وتدفق خراجها على بيت مال المسلمين ..

شمل الكتاب أيضا تحليلا للنفقات العامة فى عهد الصـــديق رضى الله عنه سواء كانت نفقات عامة مخصـــصة لوجوه انفاق محددة بالقرآن أوكانت نفقات عامة غير مخصـــصة مولتها الموارد العامة للجزية والخراج ..

تناول الكتاب كذلك ادارة الصديق للمال العام بالايضـــاح والتحليل وأظهر كيف حققت تلك الادارة فائضا ماليا قام الصديق بتوزيعه على المسلمين فى شكل عطاء متساو لهم خلال مدة خلافته القصيرة التى بلغت سنتين وثلاثة أشهر كما أبرز الكتاب وصـايا الصديق المالية فى مرض موته وضربه المثل فى التعفف عن المال العام ورده كل ما آل اليه من أموال المسلمين وترشيحه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الذى فاضت الأموال العامة فى عهده ..

هذا وقد روعى فى اعداد الكتاب تحديث تراث السياسة المالية فى عهد الصديق رضى الله عنه لتواكب الأوضـــاع الفنية الحديثة للمالية العامة ليســهل على القراء متابعتها فتم مقارنة الايرادات العامة فى عهد الخليفة الأول بأنواع الايرادات العامة الحديثة كما قيست النفقات العامة فى عهده بمقياس التعريف الحديث للنفقة العامة وتم كذلك تصوير موازنة عامة للدولة الاسلامية فى عصر الصديق على نفس النمط والشكل الذى تعد به الدول حديثا موازناتها العامة فأثبت ذلك أن المالية العامة الاسلامية كما وضعها رسول الله صلى الله عليه وســلم وكما طبقها خليفته من بعده ، مالية عامة كاملة الأركان ، قابلة للتطوير والتحديث والتطبيق فى جميع العصور .

ولما كانت لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عهد الصديق مساهمات فى نماء المالية العامة للدولة وذلك بمعـــاونتهم الخليفة الأول فى ادارة الدولة وتطوعهم للجهاد فى سبيل الله تثبيتا للزكاة وتحقيقا النصر وحصولهم على الغنائم التى آل خمسها للدولة وعقدهم الصلح مع أهل الكتاب لاداء الجزية ، ولما كانوا فى عهد

الصديق يمثلون السلطة التشريعية التى تقدم المشورة وتزاول الرقابة العامة ومنها الرقابة على أمور المال العام ، فقد تم تضمين الكتاب تحليلا لشخصيات منهم ممن كانوا حول الصديق ٠

وقد استلزم انجاز موضوع الكتاب جهدا مكثفا بسبب قصر عهد الخليفة الأول وعدم وجود مراجع متخصصة للمالية العامة عن عهده ، وتداخل الوقائع المالية تداخلا متواريا مع وقائع الحروب بغير تركيز من المؤرخين على الوقائع المالية ، وغياب الصورة الرقمية لعمليات المالية العامة فى عهد الصديق وهى فى الماليات العامة الحديثة تساعد على التحليل المالى ٠٠

وبهذا الكتاب يكون بعون من الله قد صدرت لى المؤلفات التالية عن المال فى الاسلام :

- النظم المالية فى الاسلام ٠٠
- الاطار الأخلاقى لمالية المسلم ٠٠
- المالية العامة فى الاسلام ٠٠
- السياسة المالية للرسول ٠٠
- السياسة المالية لأبى بكر الصديق ٠٠
- السياسة المالية لعمر بن الخطاب ٠٠
- السياسة المالية لعثمان بن عفان ٠٠
- السياسة المالية لعمر بن عبد العزيز ٠٠

فاذا كنت بهذا قد قدمت علما نافعا للناس

فانما ذلك كان بتوفيق من الله جل وعلا

انه نعم المولى ونعم النصير ؟

المؤلف

قطب ابراهيم محمد

الباب الأول

تولى الصديق دولة ناشئة
ومالـــية عامـــة مهتزة

الفصل الاول

تولى الصديق أمور مالية عامة مهتزة ودولة اسلامية ناشئة

هيكل المالية العامة الاسلامية كما تركه رسول الله :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك عناصر هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية على النحو التالى :

ايرادات عامة :

وتتكون من :

ـ زكاة مفروضة بالقرآن ومفصلة بسنن رسول الله القولية والفعلية ..

ـ خمس الغنائم مفروضة بالقرآن ومفصلة بسنن رسول الله القولية والعملية ..

ـ جزية مفروضة بالقرآن على أهل الكتاب الذين آثروا الاحتفاظ بدينهم ومفصلة بسنة رسول الله القولية والفعلية ..

- خراج يستأدى من الأرض العامة التى يزرعها أهلها وآلت للدولة كبعض أرض الغنائم ٠

نفقـــات عـــامة :

وكانت على النحو التالى :

- انفاق عام من الزكاة على وجوهها الموضحة بالقرآن ٠
- انفاق عام من خمس الغنائم على وجوهها الموضحة بالقرآن
- انفاق عام من باقى أنواع الايرادات العامة وهى الجزية والخراج على سائر الأنشطة العامة للدولة ٠٠

ادارة الايرادات العامة والنفقات العامة :

أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم الايرادات العامة والنفقات العامة للدولة الاسلامية الأولى ٠٠

بالقرآن

وبمبادىء خلقه العظيم(١)

اهتزاز هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية بسبب وفاة الرسول :

تعرض هيكل المالية العامة للدولة الاسلامية للاهتزاز بسبب موت رسول الله صلى الله عليه وسلم نتيجة لاهتزاز الدولة الاسلامية واهتزاز بعض القبائل المسلمة كما يتضح مما يلى :

- ادعت بعض القبائل المسلمة أن الزكاة كانت تؤدى لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وبوفاته لا تؤدى لغيره وامتنع أفراد هذه القبائل عن ادائها ٠٠

---

(١) للتفاصيل يرجع لكتابنا السياسة المالية للرسول - الهيئة المصرية العامة للكتاب - طبعة ١٩٨٨ ٠

– ادعت بعض القبائل المسلمة أن الزكاة اتاوة أو جزية كانوا يؤدونها لمن بالمدينة ولاحق لأهل المدينة فى ذلك ٠

– ظنت بعض القبائل المسلمة التى دخلت الاسلام فى أواخر عهد الرسول أن بلادها مستقلة عن الدولة الاسلامية ولا ترتبط بعاصمة الدولة الاسلامية وهى المدينة وقتئذ الا برباط الدين الاسلامى دون سائر الروابط السياسية والمالية ، فلا يحق على أفراد هذه القبائل للدولة زكاة ٠٠

– تابعت بعض قبائل العرب من ادعوا النبوة ،فكان ولاؤهم للمدعين الكاذبين ، واسقطت هذه القبائل الولاية العامة للدولة الاسلامية وأسقطوا بالتبعية الزكاة المفروضة بعد أن ارتدوا ٠

– بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظهور اتجاهات الامتناع عن أداء الزكاة وادعاءات النبوة ووقوع الردة ، اشرأبت أعناق أهل الكتاب من اليهود والنصارى ليروا أى مصير ينتهى اليه الدين الاسلامى والدعوة الاسلامية ، آملين أن تتفسخ دولة الاسلام . فلا يؤدون ما التزموا به من جزية أو خراج فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠

– أدرك الفرس والروم أن الدولة الاسلامية قوة يزداد نموها ، وأن ذلك مما يهدد سلطانهم ، فانتهزوا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاضعاف هذه القوة بالدعاية السياسية بين قبائل العرب المسلمة للاستقلال الذاتى وبالدعاية الدينية للمسيحية تارة ولليهودية تارة ثانية وللوثنية العربية تارة ثالثة خصوصا بين شمال شبه الجزيرة المتصل بالشام وجنوب شبه الجزيرة المتصل بالفرس والقريب من الحبشة ٠٠

– أثرت العوامل السابقة تأثيرا نفسيا على بعض قيادات الدولة الاسلامية وقتئذ فجعلتهم غير متحمسين لأى اجراء حربى من الدولة الاسلامية لرأب ما اصابها من تصدع الأمر الذى لو أخذ

برأيهم وقتئذ لانفتحت ثغرة واسعة فى هيكل المالية العامة قد لايمكن سدها اطلاقا أو قد يتعذر سدها الا بعد وقت طويل وجهد جهيد ٠٠

ـ تنافس الأنصار والمهاجرون على الخلافة فور موت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد كل منهم أن يكون الخليفة من بينهم ، وقد أحدث ذلك فى بادىء الأمر خـــلافا فى الرأى وتحمس كل من الأنصار والمهاجرين لرأيهم ،وكاد ينقلب الخلاف الى فتنة حال دون وقوعها قوة ايمان الفريقين وحكمة الصحابة واســـراعهم فى انهاء الخلاف ٠ وعوامل أخرى سنوضحها فيما بعد ٠

ولو وقعت الفتنة لزلزت الدولة الاســـــلامية الوليدة زلزالا شديدا ، ولكان من بين نتائج تلك الفتنة أن تشح الايرادات العامة للدولة وأن تعجز عن تمويل نفقاتها العامة ، وأن ينوء كاهل الدولة الناشئة بعجز مالى كبير له آثاره الاقتصادية والاجتماعية المدمرة ٠

أيلولة أمور الدولة الناشئة وماليتها العامة المهتزة للصديق :

آل أمر الدولة الاسلامية الوليدة وماليتها العامة المهتزة لأبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فقد بويع بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكون خليفته ، وتمت البيعة كما يلى :

مبايعة ابى بكر الصديق بالخلافة :

توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول(٢) فزلزل الناس زلزالا شديدا وبكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وود بعضهم لو ماتوا قبله فقد

---

(٢) تاريخ الطبرى لأبى جعفر بن جرير الطبرى ــ الطبعـة الثانيـة لدار المعارف بمصر ــ الجزء الثالث ص ٢٠٠

كانوا يخشون أن يفتتنوا بعده(٣) ، وقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال :

« ان رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفى ، وأن رسول الله ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع بعد أن قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات » ..

وأقبل أبو بكر الصديق حين بلغه الخبر ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة أم المؤمنين ورسول الله مسجى فى ناحية البيت عليه برد حبره فكشف عن وجهه وقبله ثم قال :

« بأبى أنت وأمى ! طبت حيا وطبت ميتا أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبدا » ..

ثم رد الثوب على وجهه وخرج للناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

« من كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ومن كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات » ..

ثم قرأ : « انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون » (الزمر / ٣٠ ، ٣١) ..

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران / ١٤٤) .

وكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآيات نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر وأخذها الناس عنه ..

وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :

---

(٣) المرجع السابق ص ٢٧ وكان معنى بن عدى يقول « والله ما أحب أن مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا » .

« والله ماهو الا أن سمعت أبابكر يتلوها فعقرت حتى وقعت الى الأرض ما تحملنى رجلاى وعرفت أن رسول الله قد مات » ..

وفى ذلك اليوم والرسول لم يدفن بعد ، اجتمع الانصار فى سقيفة بنى ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ..

فأراد عمر أن يتكلم فنهاه أبو بكر ..

وتكلم أبو بكر وقال للأنصار : ما هذا ؟

فقالوا : منا أمير ومنكم أمير ..

فقال أبو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء

ولم يترك شيئا نزل فى الأنصار ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنهم الا وذكره ..

وقال : لقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا سلكت وادى الأنصار » ..

ولقد علمت ياسعد أن رسول الله قال وأنت قاعد :

« قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم وفاجرهم تبع لفاجرهم » ..

فقال سعد : صدقت فنحن الوزراء وأنتم الأمراء ..

ثم قال أبو بكر : انى قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة ..

ان النبى صلى الله عليه وسلم جاءه قوم

فقالوا : ابعث معنا أمينا

فقال : لأبعثن أمينا حق أمين

فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح وأنا أرضى لكم أبا عبيدة .

فقام عمر فقال : أيكم تطيب نفســـه أن يخلف قدمين قدمهما النبى صلى الله عليه وسلم .

وقال لأبى بكر : أبسط يدك يا أبابكر فلأبايعك

فقال أبو بكر : بل أنت ياعمر فأنت أقوى لها منى

وفتح عمر يد أبى بكر وبايعه وقال : ان لك قوتى مع قوتك

فبايع الناس ..

وفى اليوم التالى لبيعة أبى بكر فى السقيفة جلس أبو بكر على المنبر وقام عمر وتكلم قبل أبى بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ..

ثم قال : « ايها الناس ، انى قد قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت الا عن رأيى وما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت ارى أن رسول الله سيدبر أمرنا ، حتى يكون آخرنا ، وأن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى به رسول الله ، فان اعتصمتم به هداكم الله لماكان هداه له ، وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله وثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوا » ..

فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة .

وكان على ابن أبى طالب فى بيته وعلم بجلوس أبى بكر للبيعة، فخرج فى قميص ماعليه ازار ولا رداء كراهية أن يبطىء عن البيعة وبايع أبا بكر .

هذه احدى الروايات التى وردت فى بيعة على بن أبى طالب لأبى بكر من روايات أخرى كثيرة وردت عن هذه البيعة آثرناها لأنها أكثر الروايات ملاءمة مع موقف على من الاسلام ومؤازرته له وحسن بلائه فيه ..

فمن الروايات الأخرى أن طائفة من المهاجرين تخلفوا عن بيعة أبى بكر ومالوا مع على بن أبى طالب منهم العباس بن عبدالمطلب وأنهم اجتمعوا مع على بن أبى طالب فى دار فاطمة بنت الرسول

يدعون الى مبايعته ، فبلغ أبو بكر وعمر اجتماعهم بدار فاطمة فذهبا اليه ودار نقاش ..

فقال عمر : انك لست متروكا حتى تبايع ..

فأجاب على : نحن أحق بهذا الأمر منكم ما كان فينا القارىء لكتاب الله الفقيه فى دين الله العالم بسنن الله ، المضطلع بأمر الرعية الدافع عنهم الأمور السيئة ، القاسم بينهم بالسوية ، والله انه لفينا ، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا من الحق بعدا) .

ومن الروايات أن عليا خرج من الدار ليلا ومعه فاطمة زوجته فحملها على دابة وأخذ يطوف بها مجالس الأنصار تسألهم النصرة .

فكانوا يقولون : « يابنت رسول الله ، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ، ولو أن زوجك وابن عمك سبق الينا قبل أبى بكر ماعدلنا به » ..

فيجيبهم على : « أفكنت أدع رسول الله فى بيته لم أدفنه وأخرج أنازع الناس سلطانه » .

وتجيب فاطمة : « ماصنع أبو الحسن الا ماكان ينبغى له ، ولقد صنعوا بالله حسيبهم عليه وطالبهم » ..

ومن الروايات ما تقف فى أمر على وبيعته موقفا وسطا ، فيقولون ان أبا بكر صعد المنبر عقب البيعة ، فنظر فى وجوه القوم فلم ير عليا فدعا به فجاءه ..

فقال أبو بكر له : ابن عم رسول الله وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ؟

فقال على : لا تثريب يا خليفة رسول الله

فقام فبايعه ..

وقيل ان بنى أمية أرادوا أن يثيروا الشغب بين بنى هاشم وأبى بكر ، فأخذ أبو سفيان بن حرب رأس بنى أمية ..

يقول : والله انى لأرى عجاجة لا يطفئها الا دم ، يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضعفان ؟ أين الأذلان على والعباس ثم أتى على ..

وقال : أبا حسن ، ابسط يدك حتى أبايعك ، فوالله لأملأنها على أبى فصيل (يعنى أبى بكر) خيلا ورجلا ..

فأبى على وزجره وقال : انك والله ما أردت بهذا الا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت الاسلام شرا ! لا حاجة لنا فى نصيحتك(٤) .

رواية لأم المؤمنين عائشة عن بيعة أبى بكر(٥) :

قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح (يعنى بالعالية)

فقام عمر يقول : والله مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى الا ذاك وليبعثنه الله فليقطعن ايدى رجال وأرجلهم ..

فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله

فقال : بأبى أنت وأمى ! طبت حيا وميتا والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا(٦)

ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك

---

(٤) الوقائع الخاصة بيوم السقيفة ومبايعة الصديق مقتبسة من عدة مراجع منها المرجع السابق ص ٢٠٣ حتى ص ٢١١ .

(٥) حديث أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ورد فى صحيح البخارى - الجزء السادس - الصفحات ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

(٦) يعنى أنه لن يبعث فى الدنيا كما قال عمر ثم يموت موتة أخرى .

فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه

وقال : ألا من كان يعبد محمدا صلى الله عليه وسلم فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت ..

وقال : « انك ميت وانهم ميتون » (الزمر / ٣٠)

وقال : « ومامحمد الا رسول قد خلت منقبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين » (آل عمران / ١٤٤) .

فنشج الناس يبكون ..

واجتمعت الأنصار الى سعد بن عبادة فى سسقيفة(٧) بنى ساعده

فقالوا(٨) : منا أمير ومنكم أمير

فذهب اليهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ..

وكان عمر يقول : والله ما أردت بذلك الا أنى قد هيأت كلاما قد أعجبنى خشينا أن لا يبلغه أبو بكر ، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس ..

فقال فى كلامه : نحن الأمراء وأنتم الوزراء ..

فقال حباب بن المنذر(٩) : لا والله لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير ..

فقال أبو بكر : لا ولكنا الأمراء ، وأنتم الوزراء ، هم (أى قريش) أوسط العرب دارا وأعربهم أحسابا ، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة ..

---

(٧) موضع مسقوف يجتمع اليه الأنصار .
(٨) أى قال الأنصار للمهاجرين .
(٩) من الأنصار .

فقال عمر : بل نبايعك أنت فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس ..

فقال قائل : قتلتم سعد بن عبادة ..

فقال عمر : قتله الله

بيعة الصديق كانت فلتة موفقة(١٠) :

فى عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يحج بالناس فبلغه أن أحد الناس قال : « لوقد مات أمير المؤمنين لبايعت فلانا والله ما كانت بيعة أبى بكر الا فلته فتمت »

فغضب عمر ونوى أن يقوم فى الناس ليحذرهم من الناس الذين ينشرون مثل هذه الاراجيف ثم رأى التمهل حتى يقدم المدينة دار الهجرة والسنة وفيها أصحاب رسول الله من المهاجرين والانصار فيكون لمقالته أثرها ..

فلما قدم المدينة جلس على المنبر وكان يوم جمعة ، فلما جلس عمر على المنبر أذن المؤذنون ، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر فحمد الله وأثنى عليه وقال :

« أما بعد فانى أريد أن أقول مقالة قد قدر أن أقولها ، من وعاها وعقلها وحفظها ، فليحدث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومن لم يعها فانى لا أحل لأحد أن يكذب على :

ان الله عز وجل بعث محمدا بالحق وأنزل عليه الكتاب . وكان فيما أنزل عليه آية الرجم ، فرجم رسول الله ورجمنا بعده ، وانى قد خشيت أن يطول بالناس زمان ..

---

(١٠) حديث عمر ورد فى الطبرى - مرجع سابق - جزء ٣ ص ٢٠٣ حتى ٢٠٣ .

فيقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله

فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ..

وقد كنا نقول : لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم أن ترغبوا عن ابائكم ..

ثم انه بلغنى أن قائلا منكم يقول : لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلانا ، فلا يغرن امرأ أن يقول : ان بيعة أبى بكر كانت فلتة .

فقد كانت كذلك ، غير أن الله وقى شرها ، وليس منكم من تقطع اليه الأعناق مثل أبى بكر وانه كان من خيرنا ، حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن عليا والزبير ومن معهما تخلفوا عنا فى بيت فاطمة وتخلفت عنا الأنصار بأسرها ، واجتمع المهاجرون الى أبى بكر ..

فقلت لأبى بكر ! انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الأنصار .

فانطلقنا نؤمهم ، فلقينا رجلان صالحان[11] قد شهدا بدرا .

فقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟

فقلنا : نريد اخواننا هؤلاء من الأنصار ..

قالا : فارجعوا فاقضوا أمركم بينكم ..

فقلنا : « والله لنأتينهم »

فأتيناهم وهم مجتمعون فى سقيفة بنى ساعدة واذا بين أظهرهم رجل مزمل[12] .

---

(11) الرجلان هما عديم بن ساعدة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من المشار اليهم فى آية « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » (سورة التوبة/108) والثانى معن بن عدى قال بعد موت الرسول وحين تمنى الناس موتهم قبله خشية الفتنة قال انه ما أحب ان كان مات قبله حتى يصدقه حيا وميتا ، وقتل شهيدا يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب – انظر الطبرى جزء 3 – مرجع سابق ص 206 – 207 .

(12) مزمل أى ملتف فى كساء أو فى غيره .

قلت : « من هذا ؟ »

قالوا : « سعد بن عبادة »

فقلت : « ما شأنه » ؟

قالوا : وجع

فقام رجل منهم فحمد الله

وقال : أما بعد فنحن الأنصار وكتيبة الاسلام وأنتم يامعشر قريش رهط نبينا وقد دفت الينا من قومكم دافة »(١٣) .

فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ويغصبونا الأمر ، وقد كنت زودت(١٤) فى نفسى مقالة أقدمها بين يدى أبى بكر ، وقد كنت أدارى منه بعض الحد(١٥) وكان هو أوقر منى وأحلم فلما أردت أن أتكلم ..

قال : « على رسلك »

فكرهت أن أعصيه ، فقام فحمد الله وأثنى عليه فما ترك شيئا كنت زودت فى نفسى أن أتكلم به لو تكلمت ، الا وقد جاء به أو بأحسن منه ..

وقال (أبو بكر) : « أما بعد يامعشر الأنصار ، فانكم لا تذكرون منكم فضلا الا وأنتم له أهل ، وان العرب لا تعرف هذا الأمر الا لهذا الحى من قريش ، وهم أوسط العرب دارا ونسبا(١٦) ، ولكن قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين . فبايعوا أيهما شئتم » .

---

(١٣) الدافة : القوم يسيرون جماعة سيرا ليس بالشديد .

(١٤) زودت مقاله : هيأتها وأعددتها .

(١٥) الحد : أى الحدة .

(١٦) أوسط العرب وأشرفهم دارا : أى بلدا يريد مكة .

فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح

وانى (أى عمر) والله ما كرهت من كلامه شيئا غير هذه الكلمة ، ان كنت لأقدم فتضرب عنقى فيما لا يقربنى الى اثم أحب الى من أن أؤمر على قوم فيهم أبو بكر ..

فلما قضى أبو بكر كلامه ، قام منهم رجل

فقال : « أنا جذيلها[17] المحكك وعذيقها[18] المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش » .

فارتفعت الأصوات وكثر اللغط[19] ، فلما أشفقت الاختلاف .

قلت لأبى بكر : أبسط يدك أبايعك .

فبسط يده وبايعه المهاجرون وبايعه الأنصار .

ثم نزونا[20] على سعد حتى قال قائلهم : « قتلتم سعد بن عبادة » ..

فقلت : « قتل الله سعدا »

وانا والله ما وجدنا أمرا هو أقوى من مبايعة أبى بكر ، خشينا ان فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة ، فاما أن نتابعهم على مالا نرضى أو نخالفهم فيكون فسادا .

---

(١٧) الجذيل : تصغير جذل وهو عود يكون فى وسط مبرك الابل تحتك به وتستريح اليه ، فيضرب به المثل فى الرجل يشتفى برأيه .

(١٨) العذيق : تصغير عذق وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذى تبنى الى جانبه دعامة ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله ، فضرب به المثل فى الرجل الشريف الذى يعظمه قومه .

(١٩) اللغط : اختلاط الأصوات .

(٢٠) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

الصديق أحق الناس بخلافة الرسول :

والواقع أن أبا بكر الصديق كان أحق الناس بخلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- ولو كان الرسول قد كتب لكتب الخلافة من بعده لأبى بكر ولكنه لم يكتب فقد ثبت أنه لما اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه فى مرض الموت .

قال : ائتونى أكتب كتابا لا تضلوا بعدى أبدا ..

فتنازعوا - ولا ينبغى عند نبى أن يتنازع -

فقالوا : ماشأنه أهجر[٢١] ! استفهموه

فذهبوا يعيدون عليه

فقال : دعونى فما أنا فيه خير ما تدعونى اليه[٢٢] .

- جرى الحديث التالى بين عباس بن عبد المطلب وعلى بن ابى طالب فى الأيام الأخيرة من مرض موت الرسول صلى الله عليه وسلم ..

قال العباس : انى أرى رسول الله سيتوفى فى وجعه هذا ، وانى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، فاذهب الى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر ؟ فان كان فينا علمنا ذلك ، وان كان فى غيرنا أمر به فأوصى بنا ..

قال على . والله لئن سألناها رسول الله فمنعناها (أى الخلافة) لا يعطيناها الناس أبدا ، والله لا أسألها رسول الله أبدا .

ولو كان على بن أبى طالب رضى الله عنه يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيأمر بأن تكون الخلافة فى آل محمد لتقدم وسأل النبى صلى الله عليه وسلم .

---

(٢١) أهجر : أى اختلف كلامه بسبب المرض .

(٢٢) الطبرى - جزء ٣ ـ ص ١٩٣ مرجع سابق .

- ثبت أنه فى مرض موت الرسول صلى الله عليه وسلم خرج الى المسجد عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ماتكلم به أن صلى على أصحاب أحد واستغفر لهم وأكثر الصلاة عليهم .

ثم قال : ان عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ففهمها أبو بكر وعلم أن نفسه يريد ، فبكى ..

وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا .

فقال : على رسلك يا أبا بكر ، أنظروا هذه الشوارع اللافظة(٢٣) فى المسجد ، فسدوها الا باب أبى بكر ،فانى لا أعلم أحدا كان أفضل عندى فى الصحبة يدا منه(٢٤) .

فاستثناء باب أبى بكر رضى الله عنه يفصح عن مكانته لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- توضح أم المؤمنين عائشة أمر رسول الله لما اشتد مرضه بأن يصلى أبو بكر بالناس فقالت : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبابكر فليصل بالناس ..

قلت : يا نبى الله ان أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت كثير البكاء اذا قرأ القرآن .

قال : مروه فليصل بالناس .

(قالت) : فوالله ما أقول ذلك الا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر ..

---

(٢٣) اللافظة فى المسجد : النافذة اليه .

(٢٤) الطبرى - جزء ٣ - ص ١٩١ مرجع سابق .

وكان أبو بكر غائبا . فقال أحد المسلمين وهو عبد الله بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد : قم ياعمر فصل بالناس ..

فقام فلما كبر سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته وكان عمر رجلا مجهرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون .

فبعث الى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس ..

قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر « ويحك ماذا صنعت بى يابن زمعة ، والله ماظننت حين أمرتنى الا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ولولا ذلك ما صليت بالناس ..

قال عبد الله بن زمعة : قلت والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس(٢٥) .

فالرسول أناب عنه أبا بكر فى الصلاة ، والصلاة عماد الدين والانابة فى عماد الأمور يكفى للافصاح عن اطمئنان من ينيب للثقة فيمن أنابه ، وأنه كفيل بأن يقوم مقامه فى الأقل من الامور ، وأكد الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك حينما اعترض على صلاة عمر بالناس وسبب اعتراضه بأن الله يأبى ذلك والناس وأكد الاباء بالتكرار ..

ـ ومما يؤيد انابة الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى بكر عنه ما أورده البخارى عن جبير بن مطعم ان امرأة أتت النبى صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع اليه ..

قالت : أرأيت ان جئت فلم أجدك ..

قال : ان لم تجدينى فأتى أبابكر(٢٦) .

---

(٢٥) السير النبوية لابن هشام ـ الجزء الرابع ـ طبعة دار الجيل بيروت ص ٢٢١ .

(٢٦) البخارى ـ جزء ٦ ـ مرجع سابق ص ٨١ .

ـ وكان أبو بكر رضى الله عنه أول أمير للحج بعث به النبى صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة وكان ذلك سنة تسع من الهجرة ، وحج البيت لمن استطاع اليه سبيلا أحد أركان الاسلام الخمس ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أنابه فى ركنين من أركان الاسلام لهما صله بامامة المسلمين وهما الصلاة والحج .

ـ ثم ان ما قدمه أبو بكر فى مؤازرته الرسول والدعوة فى حياته صلى الله عليه وسلم تزكى بيعته التى تمت من المهاجرين والأنصار ..

فقد اتفقت الأقوال على أنه كان أول من أسلم من الرجال وهناك قول بأنه كان أول من أسلم اطلاقا ، فلما اتصل نبأ الدعوة بأبى بكر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فسأله : يا أبا القاسم ما الذى بلغنى عنك ؟

فسأله النبى : وما بلغك عنى يا أبا بكر ؟

قال : بلغنى أنك تدعو الى توحيد الله ، وزعمت أنك رسول الله

قال النبى : نعم يا أبا بكر . ان ربى جعلنى بشيرا ونذيرا وجعلنى دعوة ابراهيم ، وأرسلنى الى الناس جميعا .

فقال أبو بكر : والله ما جربت عليك كذبا ، وانك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك وحسن فعالك . مد يدك فانى مبايعك(٢٧) .

ونوه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن استجابة أبى بكر للدعوة فقال :

« ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت منه عنده كبرة ونظر

---

(٢٧) عبقرية الصديق ـ عباس العقاد ص ١٠٧ .

وترددت ، الا ماكان من أبى بكر ، ماعكم عنه حين ذكرته له ، وماتردد فيه »(٢٨) .

وأسلم على يدى الصديق رهط من أكبر السادة وأكبر القادة فى الاسلام ، فقد أسلم على يديه عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص ، وعثمان بن مظعون ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عبد الأسد أبو سلمة ، وخالد بن سعيد وجعل لا يهدأ أو لا يستريح حتى أدخل فى الاسلام أمه وأباه وذويه(٢٩) .

ومن مواقفه التى كانت لها أثرها فى تأييد دعوة الاســـــلام مايلى :

● صدق أبو بكر رسول الله صلى الله عليه وســـلم فى خبر الاسراء ، فلما أذاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد أسرى به ، أحاط بعض المشركين بأبى بكر متهكمين ساخرين عابثين وقالوا له : هل لك الى صاحبك ؟ انه يزعم أنه أســـرى به الليلة الى بيت المقدس !

فقال أبو بكر : أى قد قال ذلك ؟ لئن قال ذلك لقد صدق !

فعادوا يسألونه : أتصدق أنه ذهب الليلة الىبيت المقدس وعاد قبل أن يصبح .. ؟

قال أبو بكر : نعم ! انى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك من خبر السماء فى غدوه أو روحه ..

ثم ذهب أبوبكر الى النبى صلى الله عليه وسلم فطفق يسمع منه ويصدقه .

ويقول : أشهد أنك لرسول الله(٣٠) ..

---

(٢٨) المرجع السابق ص ٩٢ .
(٢٩) المرجع السابق ص ١٢٣ .
(٣٠) المرجع السابق ص ٦٤ ، ٦٥ .

فعل هذا وأهل مكة مكذبون وكان بعض من أسلم قد ارتد لما سمعوا حديث الاسراء ..

● كان أبو بكر رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه فى الهجرة وأقبل عليها بروحه ونفسه وأمدها بماله .

فتقول ابنته السيدة عائشة رضى الله عنها :

« ما شعرت قبل ذلك أحدا يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكى حين أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحبته » .

وقالت ابنته أسماء رضى الله عنها :

« لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهاجر أبو بكر معه احتمل أبو بكر ماله كله خمسة آلاف درهم أو ستة ، فدخل علينا جدى أبو قحافة وقد ذهب بصره وقال : والله أنى لأراه فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه ..

قلت : كلا يا أبت انه قد ترك لنا خيرا كثيرا ..

وأخذت أحجارا فوضعتها فى كوة البيت الذى كان أبى يضع فيه ماله ، ثم وضعت عليه ثوبا ثم أخذت بيده .

وقلت : يا أبت ، ضع يدك على هذا المال

فوضع يده عليه وقال : لابأس اذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن وفى هذا بلاغ لكم .

وتكمل أسماء حديثها فتقول « ولا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكن الشيخ »(٣٠م) .

● وكان الصديق أقرب المقاتلين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات .

(٣٠م) المرجع السابق ص ١١٢ .

ففى غزوة أحد حينما ولى من تولى واستشهد من استشهد وذاع بين المسلمين أن محمدا قد قتل وقال البعض ما تصنعون بالحياة بعد رسول الله ، كان من الثابتين الراسخين ونظر الى حلقة من درع نشبت فى جبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكب عليها لينزعها ، لولا أن أقسم عليه أبو عبيدة ليسبقه هو الى نزعها ، فجذبها أبو عبيدة بثنيته جذبا رقيقا حتى نزعها وسقطت ثنيته(٣١) ٠

- وفى صلح الحديبية ، لم يرض بعض المسلمين عن شروطه ، وكان منهم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فكان يقول : اننا على الحق فلم نعطى الدنية فى ديننا ، ولكن أبو بكر كان من المؤيدين المساندين لما عقده الرسول صلى الله عليه وسلم من صلح وكان يقول : انى أشهد أنه رسول الله ، فلم لا أتبعه فيما ارتضاه ؟(٣٢) ٠

- وفى غزوة حنين ، أعجبت المسلمين كثرتهم ، وقالوا لن نهزم اليوم من قلة ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ثم ولى البعض مدبرين ، ولكن كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه من الثابتين الملازمين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

تاريخ مجيد لأبى بكر الصديق متصل الحلقات من التضحية والفداء والاخلاص والثبات للدعوة ولصاحب الدعوة جعلت خلافة الصديق أمرا محتما لا يجوز فيه التردد ولا الاهتزاز ٠

ماضى أبى بكر أنقذ الدولة الاسلامية من الفتنة :

ولقد وقى تاريخ أبى بكر الدولة الاسلامية فتنة كانت من الممكن أن تقع بسبب تمسك كل من الأنصار والمهاجرين بالخلافة ، فقد كانت حلقات تاريخ الصديق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تتوالى بخاطر الأنصار حينما استمعوا اليه فى سقيفة بنى ساعدة ، فخففت رويدا رويدا من تصميمهم ، وحدت من غلوائهم ومما يفصح عن مكانة أبى بكر الصديق فى قلوب المسلمين ماوراه ربيعة الأسلمى ٠٠

---

(٣١) المرجع السابق ص ٤٤ ، ٤٥

(٣٢) المرجع السابق ص ٧٠ ٠

قال ربيعة الأسلمى: جرى بينى وبين أبى بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها وندم ..

فقال أبو بكر : ياربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا ..

قلت : لا أفعل

قال : لتقولن أو لاستعدين عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

فقلت : ما أنا بفاعل

فانطلق أبو بكر

وجاء أناس من أسلم

فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ، فى أى شىء يستعدى عليك وهو الذى قال لك ما قال :

فقلت : أتدرون من أبو بكر الصديق ؟ هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شيبة فى الاسلام . اياكم لا يلتفت فيراكم تنصرونى عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه ، فيغضب الله لغضبهما فيهلك ربيعة ..

وانطلق أبو بكر وتبعته وحدى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدثه الحديث كما كان . فرفع الى رأسه

فقال : ياربيعة ! مالك والصديق ؟

فقلت: يارسول الله ، كان كذا وكذا ، فقال لى كلمة كرهتها ، فقال لى : قل كما قلت حتى يكون قصاصا فأبيت .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل لا ترد عليه ، ولكن قل : قد غفر الله لك يا أبا بكر ..

ومما ساعد على مرور مبايعة أبى بكر دون فتنة بين الأنصار والمهاجرين ، التنافس القديم بين قبيلتى الأنصار الأوس والخزرج ،

فقد أنطق الله بالحق لسان بشير بن سعد وهو من زعماء الخزرج ٠

فقال : انا والله وإن كنا أول فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة هذا الدين ، ما أردنا به الا رضـــاء ربنا ، وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا ، فما ينبغى لنا أن نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى من الدنيا عرضا ، فان الله ولى النعمة علينا بذلك ٠ ألا ان محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش وقومه أحق به وأولى ٠ وايم الله لا يرانى الله أنازعهم فى هذا الأمر أبدا ٠ فاتقوا الله ولاتخالفوهم ولاتنازعوهم،

فما أن سمع النقيب أسيد بن حضير وهو من زعماء الأوس حتى التفت الى قومه وقال لهم « والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة ، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيبا أبدا ، قوموا فبايعوا أبا بكر ٠٠ »(٣٣) ٠

والأنصار جميعا كانوا فى قرارة نفوسهم يعلمون أن المهاجرين مقدمون عليهم ٠٠

فقد قال جل وعلا :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان » (التوبة / من / ١٠٠)

هذا ونحلل فيما يلى صفات الصديق لنتبين أى صفاته كانت الزم لمعالجة المالية العامة المهتزة ٠

---

(٣٣) الصديق ابو بكر ـ محمد حسين هيكل ص ٦٠ ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف ـ بمصر ٠

الفصـــــل الثانى

صفات الصديق وضرورة بعضها لمعالجة المـالية العامة المهتزة

نبذة عامة عن الخليفة الأول للمسلمين(١) :

نقدم فيما يلى نبذة عن نشأة الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم والذى بايعه المسلمون واختاروه اماما لهم واميرا على الدولة الاسلامية :

مولده :

ولد بعد الفيل بثلاث سنوات .

اســـــمه :

عبد الله وقيل له عتيق من عتق ، وقال بعضهم انه قيل له ذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال له « أنت عتيق من النار » .

---

(١) البيانات ماخوذة من الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق صفحات ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

اسم أبيه :

عثمان وكنيته أبو قحافة ٠

اسم أمه :

أم الخير أو سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ابن مره ٠٠

كنيتــــه :

عبد الله بن عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك

أخـــــواه :

معتق وعتيق

نســــاؤه :

تزوج فى الجاهلية :

قتيلة ابنة عبد العزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى

وتزوج أيضا فى الجاهلية :

أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث ابن غنم بن مالك بن كنانة ٠

وقال بعضهم هى :

أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة ابن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة ٠٠

وتزوج فى الاســــلام :

أسماء بنت عميس ــ وكانت قبله زوجة لجعفر بن أبى طالب ــ وهى أسماء بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن كعب بن مالك

ابن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نسر بن وهب الله ابن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل ـ وهو خشعم ..

وتزوج أيضا فى الاسلام :

حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير من بنى الحارث من الخزرج .

أولاده :

عبد الله وأسماء : من زوجته الأولى قتيلة

عبد الرحمن وعائشة : من زوجته الثانية أم رومان

محمد : من زوجته الثالثة أسماء

أم كلثوم : من زوجته الرابعة حبيبة وكانت حاملا حين توفى أبو بكر فولدت أم كلثوم بعد وفاته ..

وصـــــفه :

وصفته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت :

رجل أبيض نحيف خفيف العارضين أجنأ(٢) لايستمسك ازاره يسترخى عن حقويه(٣) معروق(٤) الوجه ، غائر العينين ، ناتىء الجبهة عارى الأشاجع(٥) ..

ووصفه آخر وهو على بن محمد فقال :

انه كان أبيض يخالطه صفرة ، حسن القامة نحيفا أجنأ ، رقيقا

---

(٢) الأجنـأ : الأحـدب .

(٣) الحقو : الخصر .

(٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف .

عتيقا أقنى ، معروق الوجه ، عائر العينين ، حمش الساقين(٦) ، ممحوص الفخذين ، يخضب بالحناء والكتم ..

اختصاصه فى الجاهلية :

كان لكل من القبائل المقيمة بمكة اختصـــاص فكانت الديات والمغارم أحد هذه الاختصاصات وقد آل أمر الديات فى الجاهلية الى أبى بكر حين اشتد ساعده فتولى الزعامة فى قبيلته ، لذلك كان اذا احتمل شيئا منها فسأل قريشا صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وان احتملها غيره خذلوه(٧) ..

مهنتـــــه :

يقول ابن هشام :

كان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه ، محببا سهلا ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر ، وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف ، وكان قومه يحبونه لأكثر من واحدة : لعلمه وتجارته وحسن مجالســـته ، لذلك نجدت تجارته نجاحا كبيرا ، وبلغ مدخـــره من المال قبل الاســـلام أربعين ألف درهم(٨) .

صـــفاته :

ـ وصف رسول الله صلى الله عليهوسلم ابابكر رضى الله عنه باللين ..

فقد استطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى أبى بكر وعمر وعبد الله بن رواحه رضى الله عنهم فى كيفية معاملة أسرى بدر ..

---

(٦) حمش الساقين : دقيقهما .
(٧) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ ص ٢٧ .
(٨) هذا وصف ابن هشام صاحب السيرة ـ المرجع السابق ص ٩٢ .

فقال أبو بكر : يارسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والأخوان وهم قومك وأهلك ، أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذنا منهم قوة وعسى الله أن يهديهم فيكونون لنا عضدا ..

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماترى يا ابن الخطاب ؟

فقال عمر : يارسول الله كذبوك واخرجوك ، وهم صناديد الكفار وقادتهم فأرى أن تضرب أعناقهم ..

وقال عبد الله بن رواحة : يارسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم فيه ثم أحرقه عليهم نارا .

فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبهم ثم دخل ،

فقال ناس : يأخذ بقول أبى بكر ..

وقال ناس : يأخذ بقول عمر ..

وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحه ..

ثم خرج فقال : ان الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين ، وان الله ليشدد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ، وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال (فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم) (ابراهيم/من ٣٦) .

ومثلك ياعمر مثل نوح قال : (رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) (نوح/من ٢٦) .

ومثلك يا ابن رواحة كمثل موسى قال : (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) (سورة يونس/من ٨٨) .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منكم الا بفداء أو ضرب عنق فلما كان الغد أنزل الله عز وجل : (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا . والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم ، لولا

كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) (الأنفال/٦٧ ، ٦٨) .

وتأكد لين أبى بكر رضى الله عنه حينما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين حينما اجتمعت قريش لصده وصد المسلمين عن البيت ..

فنادى بالناس : « أشيروا أيها الناس على . أترون أن أميل الى عيالهم وذرارى هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت ، فان فاتونا كان الله قد قطع علينا من المشركين ، والا تركناهم محروبين ؟)

فقال أبو بكر : « يارسول الله ، خرجت عامدا لهذا البيت ، لا تريد قتال أحد ولا حربا فتوجه له فمن صدنا قاتلناه »

فقد رأى الصديق الاقتصار على قتال من صد المسلمين عن البيت الحرام وعدم قتال من لم يصده .

ومما يدل على أن اللين طبع من طباع الصديق وصفة من صفاته ، أنه لما خرج مرة عن صفة اللين ندم وهو فى مرض الموت على ما فعل .

ففى خلافته جاءه الفجاءة أو اياس بن عبد ياليل وطلب منه السلاح لقتال المرتدين . فاعطاه السلاح ، فأخذه واستخدمه فى قطع الطريق والافساد فى الأرض وقتل من صادفه من المسلمين أو المرتدين، وتفاقم شره وعظم ظلمه ، فكذب على الخليفة وخدعه وقتل المسلمين بسلاح الخليفة ، فلما وقع فى الأسر وجىء به الى الخليفة فأمر به أن يلقى فى نار توقد له فى مصلى البقيع ..

وفى مرض موته كان مما قاله رضى الله عنه « انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فعلتهن وددت أنى تركتهن .. » ومن هذه الثلاث ود أنه لم يحرق الفجاءة السلمى(٩) وأنه كان قتله سريحا(١٠) أو خلاه نجيحا ..

---

(٩) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٤٣٠ .

(١٠) السريح : السهل أو العجلة .

هذا ويقول الله جل وعلا فى جزاء من يفسدون فى الأرض ٠٠

« انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخـــرة عذاب عظيم » (المائدة/٣٣) ٠٠

ـ وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الصديق رضى الله عنه أنه يأخذ بالحزم ٠٠

فمن المعروف أن صلاة الوتر تقضى من بعد العشاء الى ما قبل الفجر وهى سنة واجبة ٠٠

فقد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر : متى توتر ؟

قال أبو بكر رضى الله عنه : من أول الليل ٠٠

وسأل رسول الله صلى الله عليهوسلم عمر بن الخطاب : متى توتر ؟

فقال عمر رضى الله عنه : من آخر الليل ٠٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : أخذت بالحزم :

وقال رســـــول الله صلى الله عليه وســــــلم لعمر : أخذت بالعزم(١١) ٠

وقد بان حـــــزمه فى أمر الدين فى مناقشـــــــة بينه وبين ابنه عبد الرحمن عن ما وقع ببدر وكان ابنه لم يسلم بعد وحارب مع المشركين ضد المسلمين ٠٠

فلما أسلم قال عبد الرحمن لأبيه : لقد أهدفت لى يوم بدر فضدفت عنك ـ أى عدلت عنك ـ ولم أقتلك ٠٠

فقال له أبو بكر : لكنك لو أهدفت لى (أى صرت لى هدفا) لم أضف عنك(١٢) ٠

---

(١١) عبقرية الصديق ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٠ ٠

(١٢) المرجع السابق ص ٥٢ ٠

وسيبين فيما بعد ان أبا بكر أخذ بالحزم فى شـــريعة مالية أساسيه من شرائع الاسلام حينما أصر حازما على محاربة المرتدين عن أدائها بالرغم من رأى بعض الصحابة بعدم حربهم خشية تفكك الدولة ..

ـ وصف الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق بأنه من ذوى الفضل فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوما بالمسجد وحوله أصحابه فأقبل على بن أبى طالب فوقف وسلم ثم نظر مجلسا فالتفت عليه الصلاة والسلام يرى أيهم يوسع له

وكان أبو بكر على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسرع وتزحزح عن مجلسه وهو يقول : هاهنا يا أبا الحسن !

فبدأ السرور فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا أبا بكر ، « انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل »

ـ ومن صفات أبى بكر الصديق رضى الله عنه كتمانه للأسرار خصوصا أسرار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حدث أن تأيمت حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعرضها على عثمان بن عفان رضى الله عنه ليتزوجها .

فقال عثمان : سأنظر فى أمرى

وبعد أيام لقى عمر وأخبره انه لا يريد الزواج فى ذلك الوقت

فعرضها عمر على أبى بكر رضى الله عنه ، فلم يرجع أبو بكر الى عمر بالرأى

ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

وبعدها لقى أبو بكر عمر فقال له : لقد وجـــدت على حين عرضت على حفصة فلم أرجع اليك شيئا ..

قال عمر رضى عنه : نعم

قال أبو بكر رضى الله عنه : لم يمنعنى أن أرجع اليك فيما عرضت على الا أننى كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد ذكرها ، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ولو تركها رسول الله قبلتها (١٣) .

— هم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد اسلامه أن يهجر مكة الى الحبشة ، فلقيه ابن الدغنة فأجاره لدى قريش وعدد بعض مكارم أبى بكر رضى الله عنه فقال :

« أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق »(١٤) .

وقد تأكدت بعض هذه المكارم فى حديث بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه فكان من عادته عليه الصلاة والسلام أن يسأل أصحابه حينا بعد حين عما قدموه من الخيرات فصلى الصبح ذات يوم فلما قضى صلاته سأل : أيكم أصبح اليوم صائما ؟

قال عمر : أما أنا يارسول الله فقد بت لا أحدث نفسى بالصوم وأصبحت مفطرا ..

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، بت الليلة وأنا أحدث نفسى بالصوم ، فأصبحت صائما ..

ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم : أيكم اليوم عاد مريضا ؟

فقال عمر : انما صلينا الساعة ولم نبرح ، فكيف نعود المريض ؟

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، أخبرونى أن أخى عبد الرحمن ابن عوف مريض ووجع فجعلت طريقى عليه ، فسألت عنه ، ثم أتيت المسجد ..

ثم سأل النبى : فأيكم تصدق اليوم بصدقة ؟

قال عمر : يارسول الله ، مابرحنا معك مذ صلينا فكيف نتصدق ؟!

---

(١٣) المرجع السابق ص ٧٣ .

(١٤) المرجع السابق ص ٤٢ .

وقال أبو بكر : أنا يارسول الله ، دخلت المسجد ، فاذا سائل يسأل وابن لعبد الرحمن بن أبى بكر معه كسـرة خبز ، فأخذتها فأعطيتها السائل ..

فقال النبى : فأبشر بالجنة . أبشر بالجنة ..

وفى ذلك يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ماسابقت أبا بكر الى خير قط الا سبقنى اليه .

ولعله مما يتصل بهذا النوع من مكارم الأخلاق التى تمتد الى رعاية الغير أنهكان قبل أن يتولى الخلافة تعود أن يساعد الضعفاء فكان يحلب لهم أغنامهم كرما منه ورفقا بهم وكان يقيم بالسنح على مقربة من المدينة .

ولما بويع بالخلافة سمع جارية تقول : اليوم لا تحلب لنا .

فسمعها فقال : بلى لعمرى لأحلبنها لكم

فكان وهو خليفة يحلبها ..

ـ كان الصديق يبغض الخيلاء فقد خشى على نفسه أن يكون به خيلاء فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفاها عنه ،

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة »

فقال أبو بكر : ان أحد شقى ثوبى يسترخى الا أن أتعاهد ذلك منه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« انك لست تصنع ذلك خيلاء »(١٥) .

ـ وكان مطعم أبى بكر من حلال وكان يشتد فى التأكد من ذلك

---

(١٥) البخارى جزء ٦ ص ٨٤ طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

ليرضى ضميره فكان له مملوك يغل عليه ، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة ..

قال المملوك : ما لك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟

قال : حملنى على ذلك الجوع .. من أين جئت بهذا ؟

فأنبأه المملوك أنه مر بقوم كان يرقى لهم فى الجاهلية فوعدوه ، فلما أن كان ذلك اليوم مر بهم فاذا عرس لهم فأعطوه ذلك الطعام .

قال الصديق : ان كدت لتهلكنى ..

وأدخل يده فى حلقه فجعل يتقيأ - وجعلت اللقمة لا تخرج -

فقيل له : ان هذه لا تخرج الا بالماء ..

فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها .

قيل له : يرحمك الله ! كل هذا من أجل لقمة ؟

فقال : لو لم تخرج الا مع نفسى لأخرجتها(١٦) .

- وكما كان الصديق كاتما للأسرار كان موفيا للوعود ، فقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته عائشة حين ذكرتها له خولة بنت حكيم . وكان المطعم بن عدى قد خطبها من أبى بكر قبل ذلك لابنه ..

فقال أبو بكر لزوجه أم رومان : ان المطعم بن عدى قد كان ذكرها على ابنه والله ما أخلف أبو بكر وعدا قط ..

ثم أتى أبوبكر مطعما ومعه امرأته فسأله : ماتقول فى أمر هذه الجارية ؟

فأقبل مطعم على امرأته وسألها : ما تقولين ؟

فأقبلت على أبى بكر وقالت : لعلنا ان أنكحنا هذا الصبى اليك تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ..

---

(١٦) عبقرية الصديق - مرجع سابق - ص ٤٧ .

فلم يجبها أبو بكر وسأل المطعم بن عدى : ماتقول أنت ؟

فقال مطعم : انها تقول ما تسمع(١٧)

فلما رأى أبو بكر رضى الله عنه أن الزوج والزوجة تحللا من خطبتهما لعائشة بما يخشيانه على ابنهما من أن يدخله أبو بكر الاسلام ، تحلل أبو بكر عند ذلك من وعده ، ولم يتحلل منه قبل ذلك على ما فى نسب الرسول من شرف لا يعلوه شرف ، وما فى قلبه من محبة لا تفوقها محبة ·

ـ كان أبو بكر رضى الله عنه عالما بأنساب العرب(١٨) ، ويعرف محامد ومثالب القبائل العربية ، وكان يساعد النبى صلى الله عليه وسلم فى التعرف على القبائل ودعوتهم للاسلام ، ويوضح على بن أبى طالب رضى الله عنه ذلك ، فيذكر نموذجا لمناقشة جرت بين أبى بكر واحدى القبائل فى أول الدعوة الاسلاميه حينما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل ·

فيقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« فرفعنا الى مجلس من مجالس العرب ، فتقدم أبو بكر فسلم ، وكان مقدما فى كل خير ، وكان رجلا نسابه ··

فقال (أبو بكر) : ممن القوم ؟

قالوا : من ربيعة ؟

قال : وأى ربيعة أنتم ؟ أمن هاماتها أو من لهازمها ؟

قالوا: من هامتها العظمى ؟

قال : وأى هامتها العظمى أنتم ؟

قالوا : من ذهل الأكبر ··

---

(١٧) المرجع السابق ص ٤٤ ·

(١٨) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٧ ·

قال : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه لا حـــر بوادى عوف ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم المزداف الحر صاحب العمامة الفردة ؟

قالو : لا ..

قال : فمنكم بسطام بن قيس ابو القرى ومنتهى الأحياء ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم جساس بن مرة حامى الذمار ومانع الجار

قالوا : لا ..

قال : فمنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالب أنفسها ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم أصهار الملوك فى كنده ؟

قالوا : لا ..

قال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟

قالوا : لا ..

قال أبوبكر : فلستم ذهلا الاكبر ، انما أنتم ذهل الأصغر

وقد اشتهر بهذا النوع من العلم ، حتى أن المشـــركين كانوا ينسبون اليه تلقين شعراء المسلمين فى ردهم على ما جاء بهجاء شعراء المشركين(١٩) .

ـ وكان بأبى بكر رضى الله عنه حدة وكان يعلم ذلك ، ويحاول أن يغالبها وأعلن عنها فى خطبة له بعد مبايعته فقال :

---

(١٩) عبقرية الصديق ـ مرجع سابق ص ١٨٩ .

(... اعلموا أن لى شيطانا يعتريني ، فاذا رأيتموني غضبت فاجتنبوني ..)(٢٠)

ويوم السقيفة رغب عمر بن الخطاب أن يتكلم قبل أبى بكر ليدارى منه بعض الحدة

فقال « وكنت أدارى منه بعض الحد ـ أى الحدة)(٢١) .

ومن مظاهر حدته ، أن كان يوما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة رضى الله عنها كلام ..

فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ترضين أن يكون بيني وبينك ؟ أترضين بأبى عبيدة بن الجراح ؟

قالت : ذلك رجل هين لين يقضى لك

قال : أترضين بأبيك

قالت : نعم

فلما جاء أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقصصى ..

فقالت : بل أقصص أنت

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اعادة ماجرى بينهما من كلام ..

وبدرت من عائشة كلمة لا تعنيها فقالت : أقصد (أى التزم القصد ولا تزد فى الرواية) ..

فرفع أبو بكر يده فلطمها وانتهرها مغضبا .

وقال (أبو بكر) : تقولين يابنت أم رومان : أقصد ! من يقصد اذا لم يقصد رسول الله .

---

(٢٠) المرجع السابق ص ٤٢

(٢١) المرجع السابق ص ٤٢

وجعل الدم يسيل من أنفها ورسول الله يحجز بينهما ٠

ويقول لأبى بكر : انا لم نرد هذا

فلما أنصرف أبو بكر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة ماصنعناه ٠ رأيت كيف أبعدك الله منه !(٢٢) ٠٠

على أن حدة الصديق كانت تقوده أحيانا للدفاع المتحمس عن دين الله والرد على جحود الكافرين ، ويبين ذلك ممايلى :

قال محمدبن اسحاق عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال :

دخل أبو بكر الصديق بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرة قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع ٠٠

فقال له أبو بكر : ويحك يافنحاص اتق الله واسلم ، والله انك لتعلم أن محمدا رسول من عند الله قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل ٠٠

فقال فنحاص : والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من حاجة الى من نقر ، وانه الينا لفقير ، ما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم. ينهاكم عن الربا ولو كان غنيا ما أعطانا الربا ٠٠

فغضب أبو بكر رضى الله عنه فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ٠٠

وقال : والذى نفسى بيده لولا الذى بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك ياعدو الله فأكذبونا ما استطعتم ان كنتم صادقين ٠

فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال فنحاص : يامحمد ابصر ما صنع فى صاحبك ؟

---

(٢٢) المرجع السابق ص ١٩٢ ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما حملك على ماصنعت يا أبا بكر

فقال أبو بكر : يارسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه ..

فجحد فنحاص ذلك وقال : ما قلت ذلك ..

فنزلت آية « لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت أيديكم ، وأن الله ليس بظلام للعبيد »[٢٣] (آل عمران / ١٨١ ، ١٨٢)

ولقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضى الله عنه درسا يعالج به دوافع الحدة فى نفسه ..

فبينما رسول لله صلى الله عليه وسلم جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبى بكر فآذاه ، فصمت عنه ، ثم آذاه الثانية فصمت عنه ، ثم آذاه الثالثة فانتصر منه ..

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتصر أبو بكر .

فقال : أوجدت على يارسول الله !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نزل ملك من السماء يكذبه بما قال ، فلما انتصرت وقع[٢٤] الشيطان .

جماع صفات الصديق :

مما سبق يتضح أن أبا بكر رضى الله عنه اتصف بالصفات التالية بالاضافة الى مناقبه ..

---

(٢٣) ورد فى مختصر تفسير ابن كثير جزء ١ ـ اختصار وتحقيق ـ محمد على الصابونى .

(٢٤) عبقرية الصديق ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧ .

- لين مادام اللين يعالج الأمور
- حازم فى أداء الواجبات
- من ذوى الفضل يعرف الفضل لأهل الفضل
- معوان للضعفاء والبؤساء
- متواضع يكره الخيلاء
- يتحرى الحلال ويمج الحرام
- عالم بالانساب
- له حدة يعمل على ترويضها ..

بعض صفات أبى بكر كانت ضـــرورية لنجاح قيادة المالية العامة المهتزة :

أوضحنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف أبا بكر الصديق رضى الله عنه بأنه يأخذ بالحـــزم ، وكان الحزم صـــفة ضرورية لمن يتولى أمور الأمة وادارة ماليتها العامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد أوشك أحد أركانها كما رأينا - وهو الزكاة - أن يسقط نتيجة رغبة بعض القبائل فى عدم ادائها وسنرى أنهم أعلنوا الخليفة بذلك جهرا وهم متجمهرون . بل وصل الأمر ليزحفوا على عاصمة الدولة الاسلامية وقتئذ وهى المدينة لفرض طلباتهم بالقوة، فلا يرغم الممتنعين ولا يردهم الى الطاعة الا سياسة حازمة من رئيس دولة حازم يتخذ كل الاجـــراءات الكفيلة بتدفق أموال الزكاة للدولة لتنفق منها على مصارفها المحددة بالقرآن ، وتحمى حقوق الطبقات الضعيفة من الفقراء والمساكين التى استحقت فى أموال أغنياء أرادوا أن يضيعوها نتيجة حبهم المال حبا جما ولو أدى ذلك الى اهدار ركن من أركان الاسلام .

ومما اتصف به أبو بكر رضى الله عنه أنه يكســـب المعدوم ويحمل الكل ويعين على نوائب الحق ويعود المرضى وهى مهام من مهام الســـياسة المالية العامة العادلة . فالدولة تفرض الفرائض

والضرائب على القادرين وتحصلها وتوجهها لصـــالح المعدومين والضعفاء ، اما على هيئة خدمات عامة مجانية تؤدى لهم أو فى صورة معاشات واعانات نقدية تدفعها لهم . وزكاة الاموال تقوم بطبيعتها بهذه الوظائف ، فمن أموالهـــا ما يعود على الفقــراء والمساكين ومن أموالها ما يعين على نوائب الأيام كأموال الزكاة التى توجه لمنح الحرية للعبيد والأسرى ولفك أزمة الغارمين . واذا لم تكف أموال الزكاة لتغطية وظائفها الاجتماعية ، جاز للخليفة وولى الأمر أن يفرض فرائض أخرى ويوجه أموالا عامة أخـــرى لكفالة حقوق هذه الطبقات الضعيفة وكفالة ضرورات الحياة لهم .

فعن ابن عمر رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلكم راع وكلكم مســئول عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع عليهم وهومسئول عنهم ، والرجل راع على أهل بيته ، وهو مسئول عنهم ، وامرأة الرجل راعية على بيت زوجها وولدها ، وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئون عنه ، ألا فكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته »(٢٦) .

واتصاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه بهذه الصــفات الحانية على الضعفاء يوجهه نحو العمل بكافة الوســـائل لاعادة حقوقهم فى أموال بعض الأغنياء التى ضاعت بامتناع الأخيرين عن أداء الزكاة المفروضة وتمكنه من أداء أمور الرعاية العامة التى هى من مسئولية الأمير على الناس والمنوه عنها بحديث رســـول الله صلى الله عليه وسلم .

واتصف ابو بكر رضى الله عنه كذلك بتحرى الحلال عموما وخصوصا فى مطعمه ، وهى صفة تقود من يتولون أمور الدول وأمور ماليتها العامة الى التنزه عن النيل من المال العام بطرق مباشرة أو غير مباشـــرة ، وتوجيههم الى التعفف عن أية مزايا أو منافع أو

(٢٦) الأموال لأبى عبيد ص ١٠ ، ١١ .

عوائد تأتيهم بغير حق من بيت مال المسلمين · وكانت هذه الصفة ضرورية فيمن يتولى أمر الدولة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أمر بمبادىء طهارة الأموال العامة والخاصة ، حتى يمتد عهد الطهارة الذى اتسمت به الدولة فى عهد الرسول صـــلى الله عليه وسلم ، وحتى تظل تعاليمه المستقاة من القرآن الكريم وخلقه العظيم والتى تغلف المال العام ومعاملاته بالطهارة ، سارية بعد وفاته ·

واذا كان رئيس الدولة يتحرى الحلال فى المال العام ، كان قدوة طيبة وصاحب سنة حســـنة يقتدى بهما العاملون بالدولة ، وتشمر بهما الرعية ، فتستقيم أمور المال العام وعملياته بين الحكام والمحكومين ··

الباب الثانى

الدولـــة الاســـلامية
وسمات سياستها المالية
فى عهـــد الصــــديق

الفصـــل الأول

نظام الدولة الاسلامية فى عهد الصديق

ارتباط سياسة المالية العامة بالدولة :

سياسة المالية العامة كباقى السياسات العامة ترتبط وتنبع من طبيعة نظام الدولة التى تتبناها ، لذلك ينبغى التعرف على طبيعة نظام الدولة فى عهد الصديق قبل مناقشة السياسة المالية فى عهده ، وسنناقش ذلك النظام فى ضوء المفاهيم الحديثة ·

سلطات الدولة فى خلافة الصديق(١) :

كان نظام الدولة الاسلامية فى عهد الصديق رضى الله عنه يقوم على السلطات التالية :

ـ رئيس للدولة ·

---

(١) انظر هذا الموضوع بصفة عامة فى « مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية للمستشار عمر الشريف ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية ص ٣٨ وما بعدها ·

- السلطة التشريعية .

- السلطة التنفيذية .

- السلطة القضائية

الخليفة رئيس الدولة الإسلامية :

الخليفة يخلف النبى صلى الله عليه وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا ، وهو يجمع بين رئاسة الدولة والحكومة أى السلطة التنفيذية فى المفهوم الدستورى الحديث ، فيخضع الوزراء خضوعا تاما له وحده ، وله الحق المطلق فى اختيارهم وفى عزلهم ، وعموما فهو نظام ترجح فيه كفة رئيس الدولة فى ميزان السلطات .

والخليفة يمارس سلطته بحكم مسئوليته عن الرعية أمام الله والناس ، ويتناول نظير عمله أجرا من بيت المال .

السلطة التنفيذية للدولة فى عهد الصديق :

هذا ولا يستطيع الخليفة ممارسة شئون الحكم وحده ، بل يتحتم عليه الاستعانة بغيره ، ويقوم المعاونون بعملهم بمقتضى التفويض من الخليفة اليهم نظير أجور تؤدى لهم من بيت مال المسلمين وتتكون السلطة التنفيذية من هؤلاء المعاونين ، فيزاولون القيام بالأنشطة العامة التى يمول بيت مال المسلمين حاجتها للتمويل . وهذه الأنشطة تكون عادة كما يلى :

- حفظ الدين على أصوله المستقرة فى القرآن والسنة وتعليم ونشر مبادئه ..

- الجهاد فى سبيل الله بالدفاع عن الأمة الاسلامية والدعوة للاسلام بالوسائل السلمية .

- جباية الأموال والزكوات وصرفها فى مصارفها الشرعية .

- اقامة شعائر الدين باقامة المساجد للصلاة وتعيين من

يلزمها من الأئمة والعاملين وتيسير الحج وضمان أداء المسلمين لصوم رمضان ·

ـ ادارة الأمور العامة للأمة ·

ـ الدفاع عن الدولة فى مواجهـــة الأعــداء باعداد الجيش وتحصين الثغور ·

ـ المحافظة على الأمن والنظام العام فى الدولة ·

ـ الاشراف على اقامة العدل بين الناس

ـ الاشراف على الادارة المالية لضمان تحصيل حقوق بيت المال بالعدل وانفاق الأموال فى مصارفها ·

ـ ويختار الخليفة عماله على الأسس السليمة وأعلى درجة من الصلاحية(٢) ·

تدرج الاختصاصات العامة فى عهد أبى بكر :

وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه كانت الاختصاصات تتدرج على النحو التالى بين معاونى الخليفة ·

ـ معاونون لهم اختصاصات تقارب اختصاصات الوزراء من أمثال أبى عبيدة الجراح وعمر بن الخطاب ، فلما تولى أبو بكر الخلافة ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال ، وقال عمر : أنا أكفيك القضاء ، وكان يكتب له زيد بن ثابت ويكتب له الأخبار عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان يكتب له من حضر(٣) ·

ـ معاونون لهم اختصاصات عامة محصورة فى نطاق اقليم

---

(٢) المرجع السابق ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ نقلا عن الأحكام السلطانية للماوردى ·

(٣) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ ·

معين وهم ولاة الاقاليم والبلدان وكانوا فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه هم :

عتاب بن أسيد : على مكة

عثمان أبى العاصى : على الطائف

المهاجر بن أبى أمية : على صنعاء

زياد بن لبيد : على حضرموت

يعلى بن أمية : على خولان

أبو موسى الأشعرى : على زبيد ورمع

معاذ بن جبل : على الجند

العلاء بن الحضرمى : على البحرين

وبعث جرير بن عبد الله : الى نجران

وبعث عبد الله بن ثور أحد بنى الغوث : الى ناحية جرش

وبعث عياض بن غنم الفهرى : الى دومة الجندل(٤)

ـ معاونون لهم ولاية خاصة فى أعمال عامة كقواد الجيوش، وفى عهد أبى بكر الصديق كان بالشام مثلا أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد(٥) .

ـ معاونون ذو اختصاص محدود فى عمل كقاضى البلد أو المصدق جامع الصدقات . على أن الفصل التام بين هذه الاختصاصات على أساس التقسيم السابق لم يكن كاملا كما هو فى الدول الحديثة ، فلم تكن الدولة الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق متسمة الاتساع الذى بلغته فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه

(٤ ، ٥) المرجع السابق ص ٤٢٧ .

ومن بعده من الخلفاء الراشدين ، كانت مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قصيرة كما سبق أن ذكرنا ٠

السلطة التشريعية للدولة الاسلامية فى عهد الصديق :

السلطة التشريعية هى الجهة التى تملك عمل التشريع ٠٠

أصل التشريع الاسلامى من عند الله سبحانه وتعالى أنزله على رسوله فى القرآن المجيد أو ألهمه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فصدرت عنه سنة قولية وعملية أقره الله سبحانه وتعالى عليها ، ثم جاء المجتهدون من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة المجتهدين فاستنبطوا من نصوص القرآن والسنة تشريعا سنوه ٠

وبعد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى خلافة أبى بكر تولى السلطة التشريعية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا يوضحون للمسلمين تفسير القرآن والسنة وينشرون ماحفظوا من القرآن والسنة ويتصدون للفتوى فيما يجد من وقائع واقضية ٠٠ فبذلك كان الصحابة هم رجال السلطة التشريعية ٠

ولم يكتسبوا سلطتهم من تعيين أو انتخاب وانما كسبوها من صحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظهم للقرآن والسنة ومشارفتهم لأسباب التنزيل ٠

وبذلك كانت مصادر التشريع فى عهد أبى بكر الصديق هى القرآن والسنة واجتهاد الصحابة وكان رجال السلطة التشريعية فى خلافة أبى بكر يتولون سلطتهم التشريعية مجتمعين وما يصدر عنهم يعتبر حكم جماعتهم ٠٠

ويدل على ذلك ما جاء عن البغوى فى مصابيح السنة فقد ورد به مايلى :

« كان أبو بكر اذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله ، فان وجد فيه مايقضى بينهم قضى به ، وان لم يجد فى الكتاب وعلم من

رسول الله فى ذلك الأمر سنة قضى بها ، فان أعياه خرج فسأل المسلمين :

قال : أتانى كذا وكذا ، فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه‌وسلم قضى فى ذلك بقضاء فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر عن رسول الله صلى الله عليه‌وسلم فيه قضاء ٠

فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا

فان أعياه أن يجد فيه سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم ، فان أجمع رأيهم على أمر قضى به »(٦) ٠

السلطة القضائية للدولة الاسلامية فى عهد الصديق :

السلطة القضائية هى السلطة المختصة بتطبيق القانون على المنازعات التى تعرض عليها ٠ والقضاء ضرورة من ضرورات المجتمع ، فالمجتمع مكون من أفراد ، والأفراد لهم من الغرائز والرغبات مايدعوهم الى التنازع ، لذلك كان لزاما أن يوجد القاضى الذى يفصل فى المنازعات ويلزم بالحق ويوقع الجزاء ٠

وفى الدولة الاسلامية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول القضاة وقد تولى القضاء بنفسه ، كما أنه عليه الصلاة والسلام كان يعهد أحيانا بالقضاء لبعض أصحابه ٠

وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه تولى القضاء كما سبق أن ذكرنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمكث سنة منذ خلافة أبى بكر لم يخاصم اليه أحد(٧) ٠

---

(٦) مذكرات فى نظام الحكم والادارة فى الدولة الاسلامية للمستشار عمر الشريف ـ مرجع سابق ـ ص ٧٨ ، ٧٩ ٠

(٧) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢٦ ٠

ويروى أحد المتقاضين(٨) وقائع قضـــية له فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه فيقول :

عارمت(٩) غلاما من أهلى فعض أذنى فقطع منها

فرفع شأننا الى أبى بكر

فقال : اذهبوا بهما الى عمر فلينظر ، فان كان الجارح قد بلغ فليقد منه ٠

فلما انتهى بنا الى عمر رضى الله عنه ٠

قال : لعمرى لقد بلغ هذا ! أدعو لى حجاما

فلما ذكر الحجام

قال : أما انى سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « قد أعطيت خالتى غلاما وأنا أرجو أن يبارك الله لهافيه وقد نهيتها أن تجعله حجاما أو قصابا أو صائغا »

فاقتص منه ٠ (أى كان الحكم هو القصاص من الجانى)

صحابة رسول الله دعموا حكم الصديق والدولة الناشئة :

أوضحنا أنه كان للصديق الرأى الأخير فى مسائل الدولة ، ولكنه لم يكن وحده ، بل كان حوله رجال عاونوه فى ادارة شئون الدولة معاونة مباشرة بقيامهم بمزاولة بعض أنشطتها العامة أو معاونة غير مباشرة بتقديم المشورة وابداء الرأى ، أو كانوا بماضيهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتبرين رقباء على أعمال الدولة، وقد أهلهم جميعا للقيام بالمعاونة المباشرة وغير المباشرة فى أمور الدولة ، انهم كانوا من جماعة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تعلموا فى مدرسته وتفقهوا فى أمور الدين وتعاليم القرآن

---

(٨) الذى تقاضى هو ابن ماجدة الهمى والقضـــية وردت فى الطبرى جزء ٣ ــ مرجع سابق ــ ص ٣٨٦ ٠

(٩) عارمت : اى خاصمت ٠

بين يديه، وعاصروا سنته ووعوها ، فصـــار منهم رواة الحديث وأهل الفتوى وفقهاء الدين والمجاهدون فى سبيل الله ٠

وقد أنزل الله فيهم جل وعلا آيات منها :

« والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيهاأبدا ذلك الفوز العظيم » (التوبة / ١٠٠)

وقال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« خير الناس قومى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته »(١٠) ٠

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لا تسبوا أصحابى فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »(١١) ٠

والمراد بالحديث أن السابقين الأولين من الصحابة لا يلحقهم من بعدهم فى الفضل والثواب مهما بذلوا(١٢) ٠

ونوضح فيما يلى باختصار فضل البعض منهم وقدراتهم على تدعيم الدولة فى عهد الصديق :

عمر بن الخطاب :

أعز الله به الاسلام

شديد فى الحق

من الملهمين

محدث الأمة

---

(١٠) البخارى جزء ٦ – مرجع سابق – ص ٧٥ ٠

(١١) المرجع السابق ص ٨٩ ٠

(١٢) المرجع السابق ص ٨٩ ٠

من المبشرين بالجنة

مالقيه الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فجه(١٣)

فهذه الصفات تجعله من الأكفاء المميزين القادرين على المشاركة فى أمور الأمة فى عهد الصديق ٠

عثمان بن عفان :

ذو النورين

حفر بماله بئر رومة

جهز بماله جيش العسرة

هاجر الهجرتين

سفير الرسول للمشركين يوم عمرة القضاء

من كتاب الوحى

بشره الرسول بالجنة

فوجوده بين الصحابة فى عهد الصديق وكفاءته يرشحانه ليكون سندا للدولة فى أعمالها(١٤) ٠

---

(١٣) هذه المواصفات مقتبسه من مناقب عمر بن الخطاب التى تضمنتها أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وردت بجزء ٣ من البخارى — مرجع سابق — فى ص ٩٤ حتى ص ١٠٣ ٠

(١٤) مواصفات عثمان مقتبسة من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن مناقبه الواردة فى البخارى — مرجع سابق — من ص ١٠٣ الى ص ١١٢ وبعض المراجع الأخرى ٠

علی بن أبی طالب :

أول المسلمين من الصبيان(١٥)

الصديقون ثلاثة وهو أفضلهم(١٦)

الرسول مدينة العلم وعلى بابها(١٧)

قال له الرسول : أنت منى وأنا منك(١٨)

قال له الرسول فى خيبر : ليأخذن الراية غدا رجلا يحبه الله ورسوله ، وأعطاها لعلى ففتح الله عليه(١٩) .

أعز الله به الاسلام

معلمه وكفاءته وتقواه تفيد فى المعارف فى ادارة الدولة الاسلامية فى عهد الصديق ..

عبد الرحمن بن عوف :

أسلم قبل أن يدخل رسول الله دار الأرقم

هاجر الهجرتين

شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول لله صلى الله عليه وسلم

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة

كان كثير المال كثير الصدقة

قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عبد الرحمن بن عوف أمين فى السماء والأرض »(٢٠) .

(١٥ ، ١٦ ، ١٧) من كتاب مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم تأليف عبد المنعم حمادة ص ١٠٣ وما بعدها .

(١٨ ، ١٩ ، ٢٠) مقتبسة من البخارى ــ مرجع سابق ــ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ .

فمن وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأمانة فى السماء والأرض يكون أمينا على أمور الأمة وأموالها العامة وتنبعث رقابته من تقوى خالصة لوجه الله جل وعلا .

الزبير بين العوام :

حوارى النبى صلى الله عليه وسلم(٢١)

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب لجهاده « فداك أبى وأمى »(٢٢)

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢٣) .

ندب الرسول أبا بكر والزبير يوم أحد لتعقب جيش قريش ومطاردته(٢٤) .

أبو ذر الغفارى :

- من غفار ، كان اسلامه مبكرا ، وحين أسلم كان الرسول صلى الله عليه وسلم يهمس بالدعوة .

- بعد اسلامه عاد الى عشيرته ودعا الى الاسلام .

- بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة جاء بقبيلته غفار وقبيلة أسلم للرسول وأفراد القبيلتين جميعا رجالا ونساءا وصبيانا وأطفالا مسلمين .

فقال عليه الصلاة والسلام

« غفار غفر الله لها » « وأسلم سالمها الله »

- قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم :

(٢١ ، ٢٢) البخارى - جزء ٦ - مرجع سابق ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(٢٣ ، ٢٤) مقتبسة من كتاب - رجال حول الرسول - تأليف خالد محمد خالد ص ٤٣٩ وما بعدها .

« ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضـــراء أصدق لهجة من أبى ذر » .

– علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم رقابة الفىء فألقى عليه يوما هذا السؤال :

« يا أبا ذر ، كيف أنت اذا أدركك أمراء يستأثرون بالفىء ؟ »

فأجاب قائلا :

« اذا والذى بعثك بالحق لأضربن بسيفى » .. !!

فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أفلا أدلك على خير من ذلك .. ؟

اصبر حتى تلقانى »

ومضى عهد الرسول ومن بعده عصر أبى بكر ، ولم يرفع صوته لأنه كان عصر السمو الكامل على مغريات الحياة ، فلم يجد مخالفات ولو وجد لخرج الى معاقل السلطة والثروة وأنذرها وقال لهم كما كان يقول فى عهد عثمان بن عفان « بشر الكانزين الذين يكنزون الذهب والفضة بمكاو من نار تكوى بها جباههم وجنوبهم يوم القيامة »(٢٥) .

بلال مؤذن الرسول :

– حبشى كان عبدا لأناس من بنى جمح .

– ذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

– عذبه أسياده بأقسى ألوان التعذيب فكان يردد « أحد أحد »

– دفع أبوبكر ثمن تحريره فأخذ مكانه بين الأحرار .

---

(٢٥) رجال حول الرسول – خالد محمد خالد – دار الريان للتراث ص ٦٥ وما بعدها .

ـ وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم للمدينة وقع عليه اختياره ليكون أول مؤذن فى الاسلام ٠

ـ ويوم فتح مكة دخل الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة مصطحبا معه بلالا وأمره أن يعلو المسجد ويؤذن ٠

ـ شهد مع رسول الله المشاهد كلها ٠

ـ فى عصر أبى بكر ذهب اليه وطلب منه أن يرابط فى سبيل الله حتى يموت فأجابه لطلبه(٢٦) ٠

سعد بن أبى وقاص :

ـ جده أهيب بن مناف ، عم السيدة آمنة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ـ أسلم وهو ابن سبع عشرة سنة وكان اسلامه مبكرا وكان يقول عن نفسه ٠

« ولقد أتى على يوم وانى لثلث الاسلام »

ـ أول من رمى بسهم فى سبيل الله وأول من رمى أيضا

ـ يوم أحد ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

« ارم سعد ٠٠ فداك أبى وأمى »

ـ دعوته مستجابة فقد دعا له الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الدعوة ٠٠

« اللهم سدد رميته ٠٠ وأجب دعوته »

ـ كان غنيا وعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتصدق بثلثي ماله فلم يوافق فعرض أن يتصدق بالنصف فلم يوافق، فعرض أن يتصدق بالثلث ٠

---

(٢٦) المرجع السابق ص ٨٦ وما بعدها ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« نعم ، والثلث كثير ‥ انك ان تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وانك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت بها ، حتى اللقمة تضعها فى فم امرأتك »

– كان كثير البكاء من خشية الله

– قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما لأصحابه :

« يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة »

فطلع عليهم سعد بن أبى وقاص(٢٧) ٠

فاولئكم الذين يعرضون التصدق بجزء كبير من أموالهم كسعد كفيلون برقابة أنشطة الدولة فى عهد أبى بكر خصوصا الأنشطة المالية ٠

صهيب بن سنان :

– كان أبوه حاكم « الابله » ووليا عليها لكسرى

– سبى لما تعرضت بلاده لهجوم الروم ، وصار من الرقيق ، وبيع بمكة لعبد الله بن جدعان أعجب به سيده فاعتقه وحرره وهيأ له فرصة الاتجار معه ٠

– كان من الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وأسلموا ‥

– لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هجرته للمدينة بعد ان تنازل عن كل ماله لقريش ليتركوه ٠

– لم يكد رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه حتى ناداه متهللا :

---

(٢٧) المرجع السابق ص ١٢٣ وما بعدها ٠

« ربح البيع أبا يحيى

ربح البيع أبا يحيى »(٢٨) .

ومثل صهيب الذى فدى دينه بماله جدير ان يشارك فى الاداء العام للدولة فى عهد الصديق .

عبد الله بن مسعود :

سادس ستة أسلموا واتبعوا الرسول عليه السلام

— كان يرعى غنما لعقبة بن أبى معيط ، فجاء النبى صلى الله عليه وسلم وابو بكر

فقالا : ياغلام ، هل عندك من لبن تسقينا ؟

فقال : انى مؤتمن ولست ساقيكما

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل عندك من شاة حائل ، لم ينز عليها الفحل ؟

قال : نعم

فآتاهما بها ، فاعتقلها النبى ومسح الضرع ودعا ربه فحفل الضرع .. ثم أتاه أبو بكر بصخرة متعقرة ، فاحتلب فيها ، فشرب أبو بكر ثم شرب بن مسعود .

ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم للضرع : اقلص فقلص .

فأتى ابن مسعود النبى بعد ذلك وقال له : علمنى من هذا القول

فقال له : انك غلام معلم

— أسلم وكان أول من جهر بالقرآن

— صار من فقهاء الأمة وعميد حفظة القرآن .

---

(٢٨) المرجع السابق ص ١٣٩ وما بعدها .

- قال عن نفسه « أخذت من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة لاينازعنى فيها أحد » .

- كانت تأخذه الرعدة الشديدة اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

- شهد المشاهد كلها والغزوات جميعها(٢٩) .

فقرآنية ابن مسعود تجعله أنسب المعاونين لدولة دستورها القرآن .

أبو عبيدة بن الجراح :

- قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ان لكل أمة أمينا ، وان أمين هذه الآمة أبو عبيدة بن الجراح

- اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح

- دافع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، سقطت منه ثنيتان نزع بهما حلقتان دخلتا فى وجنتى النبى .

- أرسله الرسول مع وفد نجران بعد أن أسلموا الى اليمن يعلمهم القرآن والسنة والاسلام .

- وبعد الرسول جاهد كجندى فى سبيل الله وولاه عمر بن الخطاب أميرا على الجيش بدل خالد بن الوليد .

- قال عنه عمر بن الخطاب لما جاءه الناعى بموته .

« لو كنت متمنيا ، ماتمنيت الا بيتا مملوءا برجال من أمثال أبى عبيدة .

- وقال عمر بن الخطاب عنه وهو يجود بأنفاسه :

---

(٢٩) المرجع السابق ص ١٩٥ وما بعدها .

« لوكان أبو عبيدة بن الجراح حيا لاستخلفته فان سألنى ربى عنه :

قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله »(٣٠) ٠

فالأمناء فى الأمم كأبى عبيدة يؤدون ما تعهد به الدولة اليهم من أعمال باخلاص وتفان وأمانة ٠

نوع حكومة الصـــديق :

أوضحنا فيما سبق نظام الدولة الاسلامية والســـلطات التى تتكون منها فى ظل المسميات الحديثة ، ويتبع ذلك تحديد نوع هذه الحكومة بالمفهوم العصرى الحديث ٠

حكومة أبى بكر حكومة اسلامية ، القرآن الكريم دستورها العام وسنة الرسول توضح ما جاء مجملا فى القرآن الكريم ، والقرآن الكريم والسنة مصدران من مصادر التشريع والشورى أساس من الأسس الهامة للدولة فقد أمر الله رسوله أن يشاور فى الأمر فقال تعالى :

« فبما رحمة من الله لنت لهم ،ولو كنت فظا غليظ القلب لأنفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران/من ١٥٩) ٠

وقد نشأت حكومة أبى بكر على الشورى فقد بويع الصديق بالانتخاب العام ولم يطلب البيعة لنفسه بل كان يرشـــح عمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح ليبايع المسلمون أيهما شاءوا وكان يرشحهما والأنصـار ينازعون المهاجـرين الأمر ، وتم ذلك كله فى اجتماع عام ثم تمت مبايعته ، فهى اذا بيعة أنشأتها الشورى ٠

---

(٣٠) المرجع السابق ص ٢٥٨ وما بعدها ٠

والشورى أســـاس من أسس الديمقراطية فى العهد الحديث فحكومة أبى بكر قامت على نفس الأساس فهى شكل من أشكال الحكومات الديمقراطية .

ولمتكن حكومة الصديق حكومة يدعى فيها الحاكمون صفة الهية لاشباع أهدافهم وحرصهم على الاحتفاظ بالسلطان ، فيزعمون أن أرادتهم من ارادة الله وأنها لذلك هى القانون بل هى فوق القانون وقد نفى الصديق ذلك من أول الأمر ، فقد ناداه أحدهم « ياخليفة الله » فأنكر ذلك وقال : « أنا خليفة رسول الله »

وليست حكومة أبى بكر أتوقراطية وهى حكومة الفرد المستبد ، فمناقب أبى بكر وصفاته التى أوردناها لا يمكن تصور أنها تؤدى به الى أن يكون حاكما مستبدا ، وقد أوضحنا كذلك أن الصحابة لهم سلطة الرقابة على الحاكم وقد تعلموا فى مدرسة الرسول أصول الشورى وواجبات الأمير فى الرعاية ومسئوليته عن رعيته .

وليســـت حكومة أبى بكر حكومة الفئة القليلة من الأعيان والسادة ذوى المطامع والأهواء لأن الصديق يحكم بالقرآن وقد نهى الله جل وعلا عن اتباع الأهواء .

فقال جل وعلا :

« فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا .. » (المائدة / من ٤٨)

تشكل السياسة المالية لأبى بكر الصديق بشكل حكومته :

تتلاءم السياسة المالية لأى دولة مع شكل الحكومة التى تضعها فبناء على ماسبق من أن حكومة أبى بكر حكومة دستورها القرآن ومصدر أحكامها القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .. وقامت على الشورى ، فان السياسة المالية فى عهده ينبغى أن تقوم على الأسس التالية :

ـ القرآن مصدر السياسة المالية الأول ٠

ـ السنة المصدر الثانى للسياسة المالية ٠

ـ السـياسة المالية تخضـــع لرقابة الأمة مادامت الأمة قد انتخبت الخليفة فى ظل مبدأ الشورى ٠

ونوضح فيما يلى مدى مطابقة هذه الأسس لما يســتنتج من الخطاب الأول للخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

سمات السياسة المـالية للدولة الاسلامية فى عهد الصديق

الخطاب الأول للخليفة الأول كمفتاح لسياسته المالية :

بعد أن بايع الناس الخليفة الأول للمسلمين ، وكان على منبر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، خطب فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله :

« أما بعد أيها الناس ، فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، الصـــدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . لا يدع أحد منكم الجهاد فى سبيل الله ، فانه لا يدعه قوم الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشـــة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء .. أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم رحمكم الله !(١) .

---

(١) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٠ .

فالخطبة صدرت من الخليفة الأول للأمة الاسلامية عامة متسمة بتواضع الخليفة ، متمسكة بالمبادىء الفاضلة داعية للجهاد فى سبيل الله . محذرة من الفاحشة مقررة حق الرقابة للأمة الاسلامية ، ولم يرد بها تفاصيل سياساته العامة ومنها سياسة المالية العامة ، فلم يكن مألوفا أن يتضمن الخطاب الأول لرؤساء الدول فى ذلك الوقت هذه التفاصيل كما هو متبع فى الأزمنة الحديثة ، بل ان بعض الممالك والامبراطوريات التى كانت قائمة فى زمن الخليفـــة الأول كالروم والفرس كانت تحت حكم مطلق لا يعنى الحكام فى ظله أن يحيطوا الشعب بسياساتهم العامة ٠

على أنه مما يعين فى التعرف على السياسات المستقبلة لرؤساء الدول سلوكياتهم التى كانوا عليها قبل ولايتهم أمور الأمم ، وبتتبع مناقب وفضائل الخليفة الأول للمسلمين قبل الخلافة وبربطها بما ورد فى خطابه الأول من خطوط عامة ، يمكن التنبؤ بالسمات العامة التى ستتسم بها سياسته المالية للدولة الاسلامية بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك على النحو التالى :

السياسة المالية للخليفة الأول مصدرها القرآن :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه مرتبطا بالقرآن ارتباطا كاملا ويتجلى تكامل هذا الارتباط على النحو التالى :

ـ كان الصديق احد القلائل الذين يحفظون القرآن وساعده على الاحاطة به صحابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ـ نزل قرآن كريم فى مصاحبته لرســـول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار بعد أن أخرجه المشركون من مكة ، فيقول الله جل وعلا :

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » (التوبة / من ٤٠)

ـ ذكرنا ان أبا بكر الصديق رضى لله عنه كان أول من أسلم

من الرجال وصدق بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنزل الله جل وعلا على رسوله صلى الله عليه وسلم الآية التالية :

« والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون » (الزمر/ ٣٣) ٠

فقالوا ان الله يريد بالآية رسول الله وأبا بكر الصديق ٠

ـ كان المشركون فى أول الدعوة يعذبون من أسلم من الأرقاء والعبيد والجوارى فكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يشتريهم من ماله الخاص ليخلصهم من العذاب ثم يعتقهم يريد بذلك ما عند الله. فنزلت بشأنه اية :

« فأما من أعطى واتقى ٠ وصـــدق بالحسنى ٠ فسنيسره لليسرى » (الليل / ٥ ، ٦ ، ٧)

ـ كان ممن أعتقهم من العبيد بلالا الحبشى ، فادعى المشركون أن ما أعتقه الا ليد (أى نعمة) كانت لبلال عنده ، فقال تعالى :

(وما لأحد عنده من نعمة تجزى ، الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) (الليل / ١٩ ، ٢٠ ، ٢١) ٠

ـ كان ممن خاض فى حديث الافك عن ام المؤمنين عائشة رضى الله عنها قريب مسكين لأبى بكر الصديق اسمه مسطح وكان ينفق عليه ، فلما نزلت من الله جل وعلا ايات ببراءتها أعلن أبو بكر أنه لن ينفق على مسطح شيئا أبدا ٠٠

فنزلت من الله جل وعلا الآيات التالية :

« ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم »(النور / ٢٢)

فقال أبو بكر (والله انى لأحب أن يغفر الله لى)

وأعاد الى مسطح نفقته

ـ كان أبو بكر متعمقا فى تفسير القرآن الكريم

فعن آية :

« يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » (المائدة / من ١٠٥)

قال أبو بكر للناس انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ان القوم اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه والمنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه ٠

وقال الصديق يوما لاصحابه ما تقولون فى هاتين الآيتين :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحـــزنوا وابشـــروا بالجنة التى كنتم توعدون » (فصلت/ ٣٠)

« الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (الانعام / ٨٢) ٠

قالوا « ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٠٠٠٠ » أى آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم الخطيئة ٠

قال أبو بكر رضى الله عنه : لقد حملتموها على غير المحمل ثم قال :

(قالوا ربنا الله ثم استقاموا ٠٠) فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم بشرك ٠

ـ تحمل أذى المشركين مؤثرا تلاوة القرآن فقد سبق أن ذكرنا انه بسبب أذاهم فى أول الدعوة عزم على الهجرة للحبشة فقابله أحد كبار حلفاء قريش فأجاره لدى المشركين منقريش فقبلوا على أن يعبد أبو بكر ربه فى داره ، فكان يتعبد ويقرأ القرآن ويصلى فى مسجد أقامه بداره ، وكان صوت ترتيله القرآن الخاشع المتهدج يصـــل لأسماع من بخارج الدار فيجذب الأطفال الأبرياء للسماع ، والنساء الحانيات للاصغاء ، فينجذب الأطفال لمايسمعون وتتأثر النسوة لما يصغين ، فروع مشركوا مكة ، وذهبوا الى من أجاره ليطلب منه عدم الجهر بترتيل القرآن ٠

فقال له أبو بكر « فانى أرد اليك جوارك وأرضى بجوار الله عز وجل » ..

وهكذا كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه حافظا للقرآن تاليا له مفسرا لآياته ونزلت فيه بعض تلك الآيات ..

فاذا تولى أمر الأمة بعد من نزل عليه القرآن الكريم ، يكون القرآن الكريم دستور هذه الأمة ، تنبثق منه سياساتها العامة ومنها السياسة المالية .

وهذا ما ورد بالخطاب الأول للخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم حينما جعل شرط طاعته لله ورسوله أساسا لطاعة الأمة لله فقال :

« أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

وقرآنية مصدر المالية العامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه يجعلها تقوم بصفة عامة على أساس :

تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن الموارد العامة .

تطبيق آيات القرآن الكريم التى وردت به عن الانفاق ومنه الانفاق العام ..

تطبيق آيات القران الكريم التى وردت به عن ادارة المالية العامة ..

السنة هى المصدر الثانى للسياسة المالية للصديق :

أعلن الصديق انه سيطيع الله ورسوله ، وطاعة الرسول تستوجب الأخذ بسننه ومنها سننه فى الأموال العامة فقد بلغ ونفذ رسول الله صلى الله عليه وسلم آياتها بالقول وبالفعل فأعلم الناس بها وبأحكامها ، وفيمايلى نوضح بعض سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن تطبيقات أسس السياسة المالية للدولة الاسلامية الأولى :

بعض سنن الرسول فى الايرادات العامة :

شملت الايرادات العامة للدولة الاسلامية فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة وخمس الغنائم والخراج والجـــزية وفيما يلى بعض اجراءات الرسول بشأن كل منها :

الـــــزكاة :

ـ بلغ آيات الزكاة وأكد الالتزام بادائها :

ـ حدد الرسول المادة الخاضـــعة للزكاة وهى الأموال التى يملكها المسلم ٠

ـ حدد عليه الصلاة والسلام الفئات أى الأسعار التى تسرى على كل وعاء من أوعية أنواع الزكاة ٠

ـ حدد النصاب الذى تجب فيه الزكاة وما دونه عفو والعفو فى الزكاة يقابل حدود الاعفاء فى الضـــرائب الحديثة كالاعفاء لحد الكفاف أو للأعباء العائلية أولهما معا ٠٠

ـ حدد الأوقات التى تؤدى فيها الزكاة كما تتحدد مواعيد أداء الضرائب الحديثة ٠٠

ـ أرسل ممثلين عن الحكومة الاسلامية لجمع زكاة الأموال ممن تجب عليهم(٢) ٠

خمس الغنـــائم :

خمس الغنائم ورد فى الآية ٤١ من سورة الأنفال وهى :

(وأعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير) ٠

---

(٢) انظر كتابنا السياسة المالية الرسول ـ صفحة ٥٠ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

ولتطبيق هذه الاية اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم عدة اجراءات منها مايلى :

- أبلغ آيات الجهاد فى سبيل الله
- صدرت عنه أحاديث عن ثواب الجهاد
- قام بالغزوات وأمر بالسرايا فى سبيل الله
- أبلغ ايات الأنفال وأن الغنائم أحلت للمسلمين
- أبان الحكم فى السلب
- أعلن عقوبة الغلول من الغنائم
- نظم أسس توزيع الغنائم بين الفاتحين بعد تجنيب الخمس طبقا للآية(٣)

الخــــــراج :

مما قام به رسول الله صـــلى الله عليه وسلم بشأن الأرض ما يلى :

- نظم خراج أرض خيبر بعد فتحها
- أقطع الأرض للغير
- أوضح أن الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار
- قال : لا حمى (أى للأرض) الا لله ورسوله
- حرم تقسيم أرض مكة بين الفاتحين بعد فتحها(٤)

الجــــــزية :

مما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بشأن فرض الجزية فى آية :

---

(٣) انظر تفصيل ذلك فى المرجع السابق فى الصفحات من ٩٧ الى ١٣٦ .

(٤) انظر تفصيل ذلك فى المرجع السابق الصفحات من ١٥٢ - ١٧٦ .

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة/ ٢٩) مايلى :

- بعث الكتب لأهل الكتاب موضحا أحكام الآية .

- أوضح لقادة الجيوش الغازية فى سبيل الله أحكام الجزية

- حدد قيمة الجزية

- عقد الصلح مع بعض أهل الكتاب ، وتضمنت العقود أحكاما بشأن الجزية وتنظيم ادائها (٥)

النفقات العامة :

مما أجراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأن النفقات العامة للدولة الاسلامية مايلى :

- نظم الرسول وجوه انفاق الزكاة على مصارفها المحددة بالقرآن

- عين عمال جمع الصدقات

- حرم الانفاق من الصدقات على آله

- قضى بمحلية الانفاق من الزكاة فتنفق على فقراء البلدة التى جمعت من أغنيائها (٦)

- عالج الرسول الانفاق من خمس الغنائم على وجوهه المحددة بالقرآن (٧)

---

(٥) التفاصيل فى كتابنا السابق من صفحة ١٣٩ حتى ١٥١ .

(٦) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ١٧٩ حتى ١٩٥ .

(٧) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ١٩٦ حتى ٢١٠ .

- أجرى من الخمس على ذوى القربى وهو أحد أسهمه على بعض بنى هاشم وبنى المطلب

- أنفق من الخمس على حاجيات الدولة الآخرى كالغزوات والسرايا(٨) .

ادارة المـــال العـــام .

أدار الرسول صلى الله عليه وسلم المالية العامة للدولة الاسلامية الاولى تخطيطا وتنظيما وتعبئة للموارد العامة ورقابة بآيات القرآن الكريم وبمبادىء خلقه العظيم(٩)

صحبة الصديق للرسول تعينه على تطبيق سننه فى المال العام :

واذا كان الصديق قد أعلن فى خطابه الاول أنه سيطيع الله ورسوله ومنها طاعة رسول الله فى تطبيق أقواله وأعماله التى صدرت عنه فى السياسة المالية والتى أوردنا نماذج منها فى البند السابق ، فانه أقدر الناس على تطبيق ذلك ، لأنه كان رضى الله عنه أكثر الناس صحبة للرسول صلى الله عليه وسلم .

فقدصاحب الصديق الرسول من أول الدعوة .

وفى ذلك يقول عمار بن ياسر :

« رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومامعه الا خمسة اعبد وامرأتان وأبو بكر »(١٠) .

وصاحب الصديق الرسول فى الغار على النحو الذى أوضحنا

وصاحبه فى غزواته وسائر المواقف مما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينوه عن ذلك فقال فى حديث طويل :

---

(٨) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ٢١٠ حتى ٢٢٤ .

(٩) التفاصيل فى المرجع السابق من صفحة ٢٢٧ حتى ٢٦٤ .

(١٠) البخارى – جزء ٦ – مرجع سابق – ص ٨١ .

« ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدق وواسانى بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لى صاحبى ... »(١١)

واعتبر الرسول الصديق أخا وصاحبا

فعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« لو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبابكر ولكن اخى وصاحبى »(١٢) .

وكان جديرا بحب الرسول .

فقد كان الصديق رضى الله عنه أحب الرجال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمرو بن العاص ـ رضى الله عنه ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثنى على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت : أى الناس أحب اليك ؟

قال : عائشـــــة

فقلت : من الرجال

فقال : أبوها

قلت : ثم من ؟

قال : ثم عمر بن الخطاب فعد رجالا(١٣)

وبذلك استحق الصديق الجنة فقد بشره الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء صحبته له بالجنة .

---

(١١) المرجع السابق ص ٨٢ .

(١٢) المرجع السابق ص ٨٠ .

(١٣) المرجع السابق ص ٨٣ .

فمن حديث طويل لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، أنه عزم أن يكون بواب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم .

فجاء أبو بكر فدفع الباب

فقلت : من هذا ؟

فقال : أبو بكر

فقلت : على رسلك

ثم ذهبت فقلت : يارسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن

فقال : ائذن له وبشره بالجنة

فأقبلت حتى قلت لأبى بكر : أدخل ، ورسول الله صلى الله يبشرك بالجنة ٠ فدخل أبو بكر ، فجلس عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠(١٤)

وسيدعى أبو بكر للجنة من جميع أبوابها :

قال أبو هريرة رضى الله عنه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« من أنفق زوجين من شىء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبواب – يعنى الجنة –

يا عبد الله هذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام (و) باب الريان »

فقال أبوبكر : ما على هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة ٠٠ ؟

---

(١٤) المرجع السابق ص ٩٠ .

وقال : هل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟

قال : نعم وأرجو أن تكون منهم يا أبابكر(١٥)

التنبؤ بصحبة أبي بكر للرســــول :

ـ ويحكى ابو بكر الصديق عن صحبة الرســـول صلى الله عليه وسلم والتنبؤ بها قبل وقوعها فى أحد رحلاته للتجارة باليمن قبل البعثة فيقول عما حدث له في هذه الرحلة ..(١٦)

« .... فنزلت على شيخ من الأزد عالم قد قرأ الكتب ، وعلم من علم الناس كثيرا فلما رآني

قال : أحسبك حرميا (من أهل الحرم)

قلت : نعم ، أنا من قريش

قال : وأحسبك تيميا

قلت : نعم أنا من تيم بن مرة . أنا من ولد كعب بن سعد بن تيم بن مرة . أنا عبد الله بن عثمان .

قال : بقيت لى فيك واحدة

قلت : ماهى ؟

قال : تكشف عن بطنك

قلت : لا افعل او تخبرني لم ذاك ؟

قال : أجد فى العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث فى الحرم، يعاونه على أمره فتى وكهل ، فأما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات (يقصد على ابن أبى طالب رضى الله عنه) ، وأما الكهل ، فأبيض نحيف ، وعلى بطنه شامة (حسنة) وعلى فخذه اليسرى

---

(١٥) المرجع السابق ص ٨٥ .

(١٦) الصديق أول الخلفاء ـ عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفصل السابع .

علامه ، وما عليك أن تريني ماسألتك ، فقد تكاملت لى فيك الصفة الا ماخفى على ٠

فكشفت له عن بطنى فرأى شامة سوداء فوق سرتى ٠٠

فقال : أنت هو ورب الكعبة ، وانى متقدم اليك فى أمر فأحذره
قلت : وما هو ؟

قال: اياك والميل عن الهدى ٠وتمسك بالطريقة المثلى الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك

السياسة المالية للصديق ستدعم الجهاد ويدعمها الجهاد :

ومما تضمنته الخطبة الأولى لأبى بكر الصديق رضى الله عنه الحض على الجهاد ، مما ينبغى معه على السياسة المالية فى عهده أن تساهم فى تمويل الجهاد فى سبيل الله ، وان كان النصيب الأكبر من التمويل فى عهده كما كان فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سيقع على الأفراد المجاهدين سواء أكان الجهاد بالمحاربة فى ميدان الحرب أو بحراسة المجاهدين للثغور والحـــدود والمرابطة فيها أو بالجهاد باللسان لاشعال حماسة المحاربين وشـــن الحملات على الأعداء أو بالجهاد بالمال لشراء الأسلحة والدروع والزاد والخيل وكافة مستلزمات المعارك ، وذلك تلبية لآيات القرآن المجيد ولأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهى كثيرة نقتطف منها مايلى :

يقول الله جل وعلا :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون » (التوبة / ٤١)

وقوله جل وعلا :

« يا أيها الذين امنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » (الصف ١٠، ١١)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلي :

- « ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ، وان لكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الربط فى نحور العدو »(١٧) .

- « مثل المجاهد فى سبيل الله - والله أعلم بمن يجاهد فى سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد فى سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة أو يرجعه سالما مع أجر أو غنيمة »(١٨) .

- « من جهز غازيا فى سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا فى سبيل الله بخير فقد غزا »(١٩) .

- « لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة فى رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا على ماكنتم عليه » (٢٠) .

وبجانب مساهمة الافراد فى تمويل الجهاد سيساهم بيت المال أيضا فى حدود الموارد المتاحة وهى من المصادر التالية :

- سهم الرسول وذوى القربى الوارد فى آية الخمس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد ثبت أنه خصص بعد وفاته للكراع والسلاح .

- سهم فى سبيل الله من أموال الزكاة استنادا لآية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) .

---

(١٧) الحديث ورد فى كتاب الجهاد - محمد أحمد الحوفى - ص ٤٢ .

(١٨) الحديث عن أبى هريرة ورد فى كتاب الجهاد والسنة لفضيلة الشيخ حامد محمد .

(١٩) المرجع السابق ص ٤٦ .

(٢٠) كتاب الجهاد - للدكتور محمد الحوفى - مرجع سابق - ص ٤٣ .

... ب أرض بني نضير وكانت كما يقول عمر بن الخطاب مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله ، وحيث أن الانبياء لا يورثون فتؤول لبيت مال المسلمين لينفق منها فى الكراع والسلاح كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

ويبدو أن الجهاد كان يستحوذ اهتمام الخليفة الأول لأنه خصه بالذكر دون باقى الأنشطة العامة ولعل ذلك مرجعه الى الفراغ الذى تركه موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوء ظاهرة ارتداد المرتدين وتحفز اليهود والنصارى للكيد للاسلام والمسلمين ، وانتظار جيش اسامه الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم للجهاد ولكنه لما علم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مازال قريبا من المدينة عاد ينتظر تعليمات الخليفة الجديد ، فالجهاد واستمراره كان هو الحل لتلك المشاكل العامة التى واجهها الخليفة الجديد ٠

واذا كانت السياسة المالية ستدعم الجهاد ، فان الجهاد سيدعمها بما يفىء الله به على بيت المال من فىء وزكاة من أسلم وجزية أهل الكتاب ٠٠

السياسة المالية للصديق ستتسم بالعدل :

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خطابه الأول «والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شـــاء الله والقوى منكم الضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء » ٠

وبذلك نوى أبو بكر الصديق رضى الله عنه أن يحكم بالعدل بين الناس والعدل فى أمور المال العام ضرورة لصيانة عملياته من الانحراف والمخالفات سواء بمعرفة المولين أو من يديرون أموره ، فبدون العدالة مثلا تهتز العلاقة بين بيت المال والمولين اهتزازا يؤدى الى وقوع الظلم على أحدهما أو كليهما ٠

فقد يتخذ الظلم من جانب المولين فى المالية العامة الاسلامية المظاهر التالية :

ـ عدم أداء المسلمين للزكاة التى فرضها الله .

ـ انقاص ما يؤديه المسلمون من زكاة لبيت المال عن الواجب أدائه كاملا .

ـ اداء دافع الزكاة ردىء المال لبيت المال ، فيقدم من زكاة الأنعام مثلا المريض منها أو العجفاء أو المعيبة والمفروض أن يقدم صاحب الانعام زكاتها من أواسطها .

ـ ارتكاب الغلول فى الغنائم فينقص خمسها الذى يؤول لبيت المال طبقا لآية الخمس .

ـ عدم اداء أهل الكتاب الجزية .

ـ مخالفة أهل الكتاب شروط الصلح التى تعقدها معهم دولة الاسلام وعدم تطبيق نصوصها التى تتضمن الزاما بأداء الجزية لبيت المال .

ـ تقليل أهل الكتاب القائمين على أرض الخـــراج من قيمته التى هى من حق بيت المال .

وقد يتخذ الظلم من جانب بيت المال فى عـــلاقته بالمولين الأوضاع التالية :

ـ المغالاة فى تقدير قيمة ما يستحق على المسلمين من زكاة .

ـ أخذ زكاة الأنعام من أجودها لا من أواسطها .

ـ تحديد وعاء زكاة الزروع دون أن يترك المصدق الثلث أو الربع كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ـ تعذيب أهل الكتاب عند استئداء الجزية منهم .

ـ المغالاة فى قيمة الجزية المفروضة ..

ـ اخذ الجزية من أهل الكتاب بالرغم من اسلامهم ، وقد قرر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ليس على مسلم جزية .

ـ المغالاة فى تحديد خراج على الأرض فلا تطيقه ٠

ـ اتباع نظام التقبل فى تحصيل بيت المال لمستحقاته على قرية من القرى ، فيدفع أحد الأشخاص الأموال العامة المستحقة على القرية لبيت المال دفعة واحدة ، ثم يقوم بتحصيلها لحسابه فيأخذ أكثر من المستحق عليهم لبيت المال فتزيد أعباؤهم وتزداد متحصلاته بظلم المولين ٠

فالمالية العامة فى عهد الخليفة الأول ستكون مبرأة من الظلم متسمة بالعدالة شأنها شأن باقى الأمور العامة والخاصة ، والعدالة يعتبرها علماء المالية العامة المحدثون أحد المؤشرات الهامة لجودة الفرائض والضرائب العامة ٠

السياسة المالية للصديق ستخضع لرقابة الأمة :

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه موجها الخطاب للأمة الاسلامية ٠

« قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى »

وقال :

« أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم »

وبذلك يرسى الخليفة مبدأ هاما من مبادىء الرقابة ، وهى الرقابة السياسية ومنها الرقابة على الأموال العامة وهو مبدأ لم يعتبر من حقوق الشعوب الا بعد عهد الخليفة بمئات السنين ، ويتم مزاولة هذا المبدأ حديثا عن طريق المجالس النيابية المنتخبة من أفراد الشعب ولها حق الرقابة على الأموال العامة بكافة الطرق ، وتقرر الدساتير العامة هذا الحق ، فتقوم المجالس النيابية فى اتخاذ الاجراءات الرقابية التالية :

- مناقشة الموازنات العامة التى تتضمن نفقات الدولة وايراداتها عن سنة مالية مقبلة واعتمادها قبل العمل بها ٠

- مناقشة الحسابات الختامية لهذه الموازنات العامة التى تعبر عن الصورة التنفيذية لما تم انفاقه من نفقات عامة فعلية ، ولما تم تحصيله من ايرادات عامة فعلية خلال السنة المالية ٠

- تقديم الأسئلة والاستجوابات لأعضاء السلطة التنفيذية بشأن أى تصرف غير سليم من تصرفات المال العام ٠

وفى سبيل ذلك المجالس النيابية الحق فى طلب أية بيانات أو تقارير والاطلاع عليها ٠

وفى بعض البلاد يكون بجانب المجالس النيابية المركزية مجالس نيابية محلية تناقش وتزاول رقابة المال العام فى دائرة الوحدة المحلية المختصة بها ٠

وقد سبق أن أوردنا دور صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النشاط الرقابى العام لسياسات الدولة ومنها سياسة المالية العامة ونوهنا عن بعض مناقب هؤلاء الصحابة التى تجعلهم جديرين بتقديم المشورة فى أمور الدولة ٠

السياسة المالية للصديق ستتسم بالتثبيت وليس التحديث :

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون ، فان يك فى أمتى أحد فانه عمر »[٢١] ٠

ولقد كان صفة المحدث - أى الملهم كأنه حدث من الملأ الأعلى بما يجرى على لسانه وبما يجريه من أعمال - أثرها على عهد عمر ،

---

(٢١) صحيح البخارى جزء ٦ - مرجع سابق - ص ٩٩ ، ١٠٠ ٠

فقام بأعمال في أمور الأمة نبعت من هذا الوصف الذى خلعه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الأمور مسائل المال العام وسياسة المالية العامة . فقد طورها وعدلها وجدد فيها كما يتضح مما يلى :

الايرادات العامة :

ـ أصدر العديد من الفتاوى فى فريضة الزكاة .

ـ فرض الخراج على أرض الفتوح ولم يقسمها بين الفاتحين واستند فى ذلك لآيات من سورة الحشر .

ـ نظم أسعار الجزية على أهل الكتاب وجعلها تصاعدية لتتناسب مع المقدرة التكليفية للخاضعين لها .

ـ أنف بنو تغلب من دفع الجزية وكانوا أهل حروب ، فطلبوا منه رفعها ودفع الزكاة ، والا تركوا الجزيرة العربية وحاربوا المسلمين مع الاعداء ، فضاعف الجزية عليهم وقبلوا ، وبذلك منعهم من قتال المسلمين مع الأعداء .

ـ أضاف للايرادات العامة ايرادا جديدا وهو عشور التجارة على السلع الواردة مع تجار أهل الحرب عند دخولهم بلاد الدولة الاسلامية وذلك تطبيقا لمبدأ المعاملة بالمثل فقد كانت هذه الضريبة تفرض على التجار المسلمين اذا دخلوا بلاد الحرب .

النفقات العامة :

ـ أوقف عمر فى عهده الانفاق من الزكاة على سهم المؤلفة قلوبهم فقد رأى زوال الحكمة من التأليف بعد أن قويت الدولة الاسلامية فى عهده .

ـ أنشأ مدنا جديدة .

ـ أنشأ خليجا بين مصر والجزيرة العربية لسهولة نقل السلع والتجارات .

- طور نظام العطاء وميز فيه السابقين الأولين فى الاسلام عن غيرهم من المسلمين .

ادارة المالية العامة :

- أنشأ ديوانين للعطاء والخراج ، الاول ينظم النفقات العامة للدولة الاسلامية والثانى ينظم تحصيل الايرادات العامة .

- أنشأ التقويم الهجرى واتخذ أساسا لتقويم الدولة الاسلامية(٢٢) .

واذا كانت المالية العامة الاسلامية فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه انعكست عليها صفة المحدث التى اتصف بها عمر ، فان المالية العامة الاسلامية فى عهد الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله قد انعكست عليها صفة التثبيت ، فقد ثبت الخليفة الأول أحد أركانها بعد أن كاد يهوى وهو الزكاة بعد أن أرتد بعض المسلمين عن دفعها ، كما سنرى فيما بعد .

فيض السياسة المالية للصديق سيكون محدودا :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« رأيت فى المنام أنى أنزع بدلو بكرة(٢٣) على قليب(٢٤) ، فجاء أبو بكر فنزع(٢٥) ذنوبا(٢٦) أو ذنوبين نزعا ضعيفا ، والله يغفر

---

(٢٢) يرجع فى التفاصيل الى الأبواب المختصة فى كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(٢٣) لفظ (بكرة) بفتح الكاف على المشهور معناه : الخشبة المستديرة التى يعلق فيها الدلو . ويروى باسكان الكاف على أن المراد نسبة العلو الى الأنثى من الابل وهى الشابة .

(٢٤) القليب : البئر لم تطو .

(٢٥) نزع : أى أخذ من البئر .

(٢٦) الذنوب : الدلو المملئة .

له ، ثم جاء عمر بن الخطاب فاستحالت غربا(٢٧) ، فلم أر عبقريا يفرى فريه حتى روى الناس وضربوا بعطن »(٢٨) ·

وقد تحققت رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسنرى وانه وان تكن حصيلة المال العام زادت نسبيا فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه مما مكنه من توزيع عطاء محدود بالتســاوى على المسلمين ، فانه فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه زادت حصيلة الأموال العامة زيادة كبيرة مكنته من توزيع عطاء كبير من بيت مال المسلمين زاد زيادة كبيرة عن عطاء أبى بكر ، وزادت قيمة العطاء تبعا للأسبقية في الاسلام ، وكان من أثر كثرة الأموال أن بكى عمر ، فلما سألوه لماذا تبكى وقد زادت الأموال العامة زيادة كبيرة ؟

قال : « ما أعطى الله قوما هذا الاتحاسدوا وتباغضــوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا الا جعل بأسهم بينهم شديد »(٢٩) ·

ولم يكن عدم غزارة حصيلة المال العام فى عهد أبى بكر عن ضعف فى الأداء وانما كان بسبب قصر مدة خلافته فقد توفى مساء ليلة الثلاثاء لثمانى ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشر من الهجرة وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال وفى قول آخر أن خلافته كانت سنتين وأربعة أشهر الا أربع ليال(٣٠) ·

بينما كانت خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر وأربع ليال(٣١) اســتطاع خلالها مد حدود الدولة الاسلامية بمعارك تحقق فيها نصر الله للمسلمين وغنموا غنائم كثيرة آل لبيت المال خمسها ووزعت الأربعة أخماس الباقية على الفاتحين

---

(٢٧) عظيما أى صارت دلوا عظيما ·

(٢٨) الحديث ورد فى البخارى جزء ٦ مرجع سابق ص ٩٥ ، ٩٦ ·

(٢٩) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » ص ٤٤ ·

(٣٠) الطبرى — جزء ٣ — مرجع سابق ص ٤٢٠ ·

(٣١) أنظر كتابنا عن السياسة المالية لعمر بن الخطاب ص ٢٣٥ ·

ماعدا غنائم الأرض فلم توزع فآلت للدولة بعد أن فرض عليها خراج ساهم فى تنمية موارد الدولة كما أن أهل البلاد المفتوحة دخلوا فى دين الله أفواجا ، فأدوا للدولة الاسلامية زكاة أموالهم ، ومن آثر البقاء على دينه من أهل الكتاب أدى لبيت المال الجزية ، فساهمت هذه الموارد فى زيادة الأموال فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبذلك تحققت نبوءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وفيما يلى نناقش الايرادات العامة للدولة فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه بادئين بالزكاة ٠

الباب الثالث

ثبت الصديق الزكاة بالجهاد
وأدارهـا بسـنة الرسـول

الفصـــل الأول

تثبيت الصديق الزكاة وايراداتها بالجهاد

أنواع الايرادات العامة للدولة فى عهد الصديق :

تظهر الايرادات العامة المقدرة لأى دولة عن سنة مالية فى أحد جانبى موازنتها العامة ، ذلك أن الموازنة العامة للدولة هى بيان معتمد بتقديرات ايراداتها العامة ونفقاتها العامة عن سنة مالية ، ولم تكن تعد موازنات عامة للمالية العامة للدول وقت خلافة أبى بكر ، اذ لم يعرف نظام الموازنات العامة الا بعد ذلك بمئات السنين · ازاء ذلك يتعذر التوصل لبيان بالأرقام لمبالغ أنواع الايرادات العامة فى عهد الصديق رضى الله عنه ·

وكانت أنواع الايرادات العامة فى عهده هى :

زكاة الأموال

خمس الغنـــائم

جـــزية أهل الكتاب

خــــراج الأرض

ونناقش فيمايلى الايرادات العامة من الزكاة :

الزكاة ملزمة للمسلمين :

الزكاة فريضة الزامية لا خيار للانســـان المسلم فى تركها وتستحق عليه اذا استوفيت الشروط اللازمة لادائها ، وسند الزامها أن الله جل وعلا فرضها بآيات كثيرة ساندتها أحاديث كثيرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمن الآيات القرآنية مايلى :

« وأقيموا الصـلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين » (البقرة / ٤٣)

« وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير » (البقرة / ١١٠)

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » (البقرة / ١٧٧) .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجـرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (البقرة / ٢٧٧)

وقد يشار الى الزكاة بلفظ الصدقة كما فى الآية التالية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠)

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ما يلى :

ـ عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« بنى الاسلام على خمس .. شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والحج وصوم رمضان » .

ـ وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذ الى اليمن ليدعوهم الى الاسلام قال :

« أدعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » .

ـ والزكاة حق الفقراء كما يتضح من الحديث التالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة يقولون : ربنا ظلمونا حقوقنا التى فرضت لنا عليهم : فيقول الله عز وجل « وعزتى وجلالى لأدنينكم ولأ بعدنهم » .

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية :

« والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » (المعارج ٢٤ ، ٢٥)

ارتداد عن اداء الزكاة بالرغم من الزامها :

بالرغم من الآيات القرآنية التى نزلت بالالزام باداء الزكاة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى توجبها فانه بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدة أيام تجمعت قبائل من العرب قريبا من المدينة وبعثوا ممثلين عنهم للمدينة ونزلوا على وجهائها ضيوفا ماعدا العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم فقد أبى أن يضيف أحدا لأنه علم أنهم يريدون مقابلة الخليفة ليطلبوا اعفاءهم من دفع الزكاة ، وذهب بهم أهل المدينة لأبى بكر الصديق وأعلنوا أنهم يقرون بالصلاة ويمنعون الزكاة ، فرفض أبو بكر وقال « لو

منعونى عقالا لجاهدتهم عليه »(١) وبذلك صمم أبو بكر الصديق على استئداء بيت المال لكل حقوقه التى كان يحصل عليها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم من حصيلة الزكاة ولو كان قدرا يسيرا لأن العقال هو الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ فى الصدقة فى بعض الأقوال وأقوال أخرى ترى أن العقال هو صدقة العام(٢) .

تصميم الصديق على استئداء الزكاة ورفضه لرأى عمر :

صمم أبو بكر على مجاهدة الممتنعين عن أداء الزكاة ، فاقبل عمر بن الخطاب عليه .

فقال : اذا منعك العرب الزكاة فاصبر عليهم .

فغضب أبو بكر غضبا شديدا وقال : والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه ، والله لأقاتلن من فرق بين الزكاة والصلاة .

قال عمر : مع من تقاتلهم

قال أبو بكر : والذى نفسى بيده لو لم يبق فى القرى غيرى لقاتلتهم بمفردى ..

قال عمر : ياخليفة رسول الله تألف الناس وترفق بهم ، فانهم اليوم بمنزلة الوحى .

فقال الصديق محتدا لعمر : رجوت نصرتك وجئتنى بخذلانك ، أجبار فى الجاهلية خوار فى الاسلام بماذا أتألقهم ؟ بشعر مفتعل أو بسحر مفترى ؟ هيهات هيهات ، مضى النبى صلى الله عليه وسلم وانقطع الوحى ، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف فى يدى .

قال عمر : علام تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن

(١ ، ٢) الطبرى — جزء ٣ — طبعة ثانية ص ٢٤٤ .

محمدا رسول الله ! فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحقها ·

قال أبو بكر ! ان الزكاة حق المال والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ·

قال عمر وهو يتذكر فيما بعد ما كان من هذا الأمر : فما هو الا ان رأيت الله شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق ·

مشاورات ومناقشات أخرى وتصميم من أبى بكر على الزكاة :

قال نفر من الصحابة لأبى بكر : ياخليفة رسول الله . ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العرب بالوحى والملائكة يمده الله بهم ، واليوم قد انقطع كل ذلك فالزم بيتك ومسجدك فانه لا طاقة لك بالعرب ··

فقال أبو بكر : أو كلكم رأيه هذا ؟

قالوا : نعم ··

فقال أبو بكر · والله لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير أحب الى من أن يكون هذا رأيى ، قد انقطع الوحى ، وتم الدين ، أينقص وأنا حى ؟

خطاب للصديق باعلان الحرب على مانعى الزكاة المرتدين :

صعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وكبر ، وصلى على النبى وقال موجها كلامه للناس :

« أيها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت

أيها الناس ، الآن كثر أعداؤكم وقل عددكم ، والله ليظهرن هذا الدين على الأديان كلها ولو كره المشركون قوله الحق ووعده الصدق ·

(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) (الأنبياء / ١٨) ٠

و « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) (البقرة من ٢٤٩)

أيها الناس ، لو أفردت من جمعكم لجاهدتهم فى الله حق جهاده حتى أبلغ من نفسى عذرا أو أقتل مقتلا ٠٠

أيها الناس ان من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم ، ولم يكونوا فى دينهم – وان رجعوا اليه – أزهد منهم يومهم هذا ، ولم تكونوا فى دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما تقدم من بركة نبيكم صلى الله عليه وسلم ٠ وقد وكلكم الى المولى الكافى الذى وجده ضالا فهداه وعائلا فأغناه ٠

« وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » (آل عمران من / ١٠٣) ٠

والله لا أدع أن أقاتل على أمر الله حتى ينجز الله وعده ويوفى لنا عهده ، ويقتل من يقتل منا شهيدا من أهل الجنة ، ويبقى من بقى منا خليفته وذريته فى أرضه ٠

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض » (النور / من ٥٥)

و « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه » (المائدة / من ٥٤)

فتأثر الصحابة المعارضون وانصاعوا لرأى الخليفة راشدين ٠

تصميم الخليفة أنقذ الدولة من فتنة هوجاء :

أصر الخليفة وصمم على مجاهدة الممتنعين عن أداء الزكاة فوفى بما وعد فى خطابه الأول بطاعة الله ورسوله ووقى باصراره الاسلام والمسلمين من صدع كان سيحدث شروخا فى عقيدة الاسلام وكان سيخل بتوازنات فى المجتمع يحققها أداء الزكاة ٠

فعدم أداء الزكاة يهدم أحد الأركان الخمس التى يقوم عليها الاسلام ويؤدى الى عصيان الله بعدم طاعته فيما أمر به من أداء الزكاة ومخالفة رسول الله فيما سنه من تطبيقات لأنواع الزكاة ، ويعرض المخالفين لعقاب الله وسخطه فى الدنيا والآخرة ، ولو استجاب لهم الخليفة الأول لتحمل أمام الله عاقبة اقرارهم لما طلبوا ٠

وعدم أداء الزكاة يضيع حقا قرره الله سبحانه وتعالى للفقراء والمساكين فى أموال الأغنياء ويضيع فرصا كانت ستتاح للعبيد والاماء ليتمتعوا بالحرية كسائر المسلمين باعتبارهم من مصارف الزكاة وهو مصرف « وفى الرقاب » والامتناع عن أداء الزكاة كان أيضا يهدر مجالات لامكانية اصلاح حال الغارمين الذين ركبهم الدين فى عمل مشروع وعجزوا عن الوفاء وقد ذكرهم الله جل وعلا ممن نؤدى لهم الزكاة ٠

واذا كانت الزكاة تحقق التكافل الاجتماعى فى المجتمع بين الأغنياء والفقراء ، الاولون بما أعطوا والآخرون بما أخذوا وتمنع الحسد والبغضاء بينهم ، وتدعم المجتمع الاسلامى بما ينفق منها على المؤلفة قلوبهم فيألفون الاسلام والمسلمين ويمنعون عنهم حقدهم وشرورهم ، وتعين المسلم الغريب المنقطع عن أهله وماله حتى يصل الى بلده ، فان الامتناع عن الزكاة يخل بتوازن المجتمع لانعدام التكافل الاجتماعى ولانحسار تآلف القلوب ولانقطاع حبال التعاون بين الأفراد ٠

ثم ان بيت المال كانت ستقل موارده بسبب انقطاع حصيلة الزكاة من الممتنعين عن الأداء وكان من الممكن أن يقتدى المستجيبون للأداء بالممتنعين لو أقر الخليفة الأول امتناعهم ٠ فاصرار الخليفة الأول على جهاد الممتنعين عن أدائها وقى الاسلام والمسلمين فتنة هوجاء كانت ستموج موج البحر :

معـــارك تثبيت الزكاة :

عرف رسل مانعى الزكاة أن جند المسلمين بالمدينة قليل ، فقد أمر الخليفة جيش أسامه بن زيد الذى أعده رسول الله صلى الله

عليه وسلم بتنفيذ أوامر الرسول قبل موته فغادر المدينة ، فلما عاد الرسل لقبائلهم زينوا لهم مهاجمة المدينة لاجبار أبى بكر على الموافقة على امتناعهم عن أداء الزكاة وعدم مطالبتهم بها ..

وبفراسة المؤمن أحس الخليفة فى وجود رسلهم الغدر فاحتاط لهم فجعل على حدود المدينة حراسا من الصحابة لحراستها وهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبد الله وعبد الله ابن مسعود .

وعبأ أهل المدينة حتى لا يؤخذون على غرة فأمرهم بحضور المسجد ، فلما حضروا وقال لهم :

« ان الأرض كافرة(٣) وقد رأى وفـــدهم منكم قلة ، وانكم لا تدرون أليلا تؤتون أم نهارا ! وادناهم منكم على بريد ، وقد كان القوم يأملون أن نقبل منهم ونوادعهم وقد أبينا عليهم ، ونبذنا عليهم عهدهم فاستعدوا وأعدوا » ..

بعد ثلاثة أيام أغار المرتدون على المدينة ليلا فتصدى لهم من كانوا على حدودها وأخبروا أبابكر بزحفهم فأرسل اليهم أن الزموا أمكانكم ففعلوا ، وخرج الى المغيرين فانهزم العدو وفشلت غارتهم فأتبعهم المسلمون على ابلهم وردوهم عن المدينة .

غيرأن جموع مانعى الزكاة تمكنوا بحيلة صـــنعوها لابل المسلمين من حملها بمن عليها على العودة الى المدينة فقد كانت الابل التى يحارب عليها المسلمون ليست ابل حرب ولا خبرة لها بمكايد الحرب وحيلها ، فجاءوا بجلود رقيقة ونفخوها وأحكموا اغلاقها فأصبحت كرات كبيرة ، ثم قذفوا بها ابل المسلمين فاضطربت وفرت مذعورة للمدينة ..

ظن مانعوا الزكاة بالمسلمين الوهن وبعثوا الى أهل ذى القصة يخبرونهم بذلك فقدموا عليهم وانضموا لهم .

---

(٣) كافرة أى مظلمــة .

غير أن أبا بكر لم ينم ليلته وصـــار يتهيأ لاعادة الكرة على الأعداء وعبأ الناس ثم خرج اليهم ليلا ، فما طلع الفجر الا وهم والعدو فى صعيد واحد وكان العدو فى سبات عميق فلم يســـمع للمسلمين همسا ولا حسا فوضع المسلمون فى الأعداء الســـيوف وأمعنوا فيهم القتل ، فما طلعت الشمس حتى ولوا الأدبار وتبعهم أبو بكر حتى نزل بذى القصـــة وهم يفـــرون أمامه ٠ وكان أول الفتح(٤) ٠

القبائل الممتنعة تؤدى الزكاة طائعة للخليفة الأول :

ازداد المسلمون فى المدينة بالانتصار عزا وثباتا على دينهم وأقبل كثير من وفود القبائل تؤدى زكاتها الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنين التزامهم باقامة الصلاة وايتاء الزكاة ، ومن هذه الوفود وفود صفوان والزبرقان وعدى ٠

وتجلى للمسلمين منزلة أبى بكر وحسن اختيارهم له وفى ذلك قال عبد الله بن مسعود :

« لقد قمنا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما كدنا نهلك فيه لولا أن الله من علينا بأبى بكر ، أجمعنا ألا نقاتل على ابنة مخاض وابنة لبون ونعبد الله حتى يأتينا اليقين فعزم الله لأبى بكر على قتالهم فوالله ما رضى منهم الا بالخطـــة المخـــزية أو الحـــرب المجلية »(٥) ٠

الخليفة الأول خير قدوة لتعقب المتهربين حاليا من الضرائب :

واذا كان بعض الممولين حديثا يتهربون من أداء الضـــرائب التى فرضتها الدولة عليهم بطرق عديدة كالتحايل والتدليس والغش واخفاء أنشطتهم الخاضعة للضرائب كليا أو جزئيا وعدم اثبات

---

(٤) مقتبسة من الطبرى جزء ٣ مرجع سابق ص ٢٤٤ ــ ٢٤٦ ٠

(٥) الخلفاء الراشدون ــ تأليف د/ عبد المقصود نصار وأخرى ص ٢٣ نقلا عن ابن الأثير الكامل جـ ٢ ص ٢٤٣

كافة الحقائق فى دفاترهم التى تصور انشطتهم ، فمن الواجب على الدولة أن تتعقبهم بكافة الطرق لكشف طرق تهربهم حتى يؤدوا ما عليهم من التزامات مالية للوطن طائعين .

ومن بيدهم أمر الدولة لهم فى الخليفة الأول أبى بكر الصديق قدوة حسنة حينما حارب الممتنعين عن أداء الزكاة وهزمهم وأدوها راغمين ، بل لقد تقدم بنفسه الصفوف وصمم على القيادة بالرغم من خشية الصحابة عليه .

فقد قالوا له : ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك، فانك ان تصب لم يكن للناس نظام ومقامك أشد على العدو فابعث رجلا فان أصيب أمرت آخر .

فقال : لا والله لا أفعل ولا أواسينكم بنفسى(٦) .

جهـــاد باقى المرتدين :

انتصار الخليفة فى معركته الأولى مع الممتنعين عن أداء الزكاة وأرادوا غزو المدينة ، أوضح جليا أن الجهاد هو الحل للمشـــاكل العامة التى أحاطت بالدولة بسبب الردة ، فاســتمر الخليفة يدبر بنفسه عملية الجهاد تخطيطا وتعبئة وتنظيما ورقابة ليقضى على الردة فى انحاء الجزيرة العربية ويستأصلها من جذورها وذلك على النحو التالى :

تخطيط الصديق للجهاد :

ففى تخطيطه لجهاد المرتدين أعد البعوث وعقد أحد عشر لواء على النحو التالى :

عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد فاذا فرغ سار الى مالك ابن نويرة بالبطاح .

---

(٦) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٧ .

وعقد لعكرمة ابن أبى جهل وأمره بمسيلمة ·

وعقد للمهاجر ابن أمية وأمره بجنود العنسى

وعقد لخالد بن سـعيد بن العاص وبعثه الى الحمقتين من مشارف الشام ·

وعقد لعمرو بن العاص وبعثه الى جماعة قضاعة ووديعة والحارث ·

وعقد لحذيفة بن محصن الغلفانى وبعثه الى أهل دبا ·

وعقد لعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة ·

وبعث شرحبيل بن حسنة فى أثر عكرمة بن أبى جهل وقال له « اذا افرغت من اليمامة فالحق بقضاعة وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة » ··

وعقد لطريفة بن حاجز وأمره ببنى سليم ومن معهم من هوزان

وعقد لسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن ·

وعقد للعلاء بن الحضرمى وأمره بالبحرين ·

فكانت خطة شاملة تهدف الى استـئصال الردة من المجتمع الاسلامى ، وقد قامت الخطة على تحديد مناطق المرتدين وارسال مجاهدين لكل منطقة تحت أمره قيادة قادرة على سحق المرتدين اذا لم يستجيبوا الى الرجوع لدين الله طائعين بعد ان يتلو القائد كتابا أعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه وزود به القواد ليتلوه كل منهم على المرتدين فى منطقته التى وجه اليها يدعوهم فيه الى العودة لدين الله والا قاتلهم القائد وجنوده وأحرقهم بالنار وسـبى النسـاء والعذراى(٧) ·

---

(٧) المرجع السابق ص ١٤٩ ــ ٢٥١ ·

تنظيم الصـــديق للجهـــاد :

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحسن اختيار القيادات على النحو الذى رأينا باعتبار أن القائد الكفء أحد عناصر النصر ، فكان قواد المجاهدين فى عصره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهدون فى سبيل الله حق جهاده وينضم اليهم الجنود المجاهدون ومنهم من غزا مع الرسول فى غزواته وسراياه فتدربوا تدريبا وافيا على الجهاد والصبر حتى يجىء نصر الله والفتح ويدخل الناس فى دين الله أفواجا ٠

وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يزودهم بتعليماته على النحو الذى أوضحناه فى الفقرة السابقة ، وبعد ذلك يفوض القواد فى ادارة المعارك وعقد الصلح اذا أراد الأعداء عدم القتال ودفع الجزية ان كانوا من أهل الكتاب وجمع الغنائم وارسال الخمس الى بيت مال المسلمين وتوزيع الأربعة أخماس بين المجاهدين على نسق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أسس التوزيع ٠

ونوضح فيما يلى نص عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه لكل أمير من الأمراء الاحد عشــر الذين اختارهم لقيادة الحملات الموجهة لمحاربة أهل الردة :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا عهد من أبى بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لفلان حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الاسلام ، وعهد اليه أن يتقى الله ما استطاع فى أمره كله سره وعلانيته ، وأمره بالجد فى أمر الله ومجاهدة من تولى عنه ، ورجع عن الاسلام الى أمانى الشيطان بعد أن يعذر اليهم فيدعوهم بداعية الاسلام ، فان أجابوه أمسك عنهم ، وان لم يجيبوه شن غارته عليهم حتى يقروا له ، ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ،فيأخذ ماعليهم ويعطيهم الذى لهم ، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم ، فمن أجاب الى أمر الله عز وجل وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف ، وانما

يقاتل من كفر بالله على الاقرار بما جاء من عند الله ، فاذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به ، ومن لا يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد شيئا أعطاه الا الاسلام ، فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه ، ومن أبى قاتله ، فان أظهــره الله عليه قتل فيهم كل قتله بالسلاح والنار ، ثم قسم ما أفاء الله عليه ، الا الخمس فانه يبلغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألا يدخل فيهم حشوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ، لا يكونوا عيونا ، ولئلا يؤتى المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم فى السير والمنزل ويتفقدهم، ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوحى بالمسلمين فى حسن الصحبة ولين القول(٨) ٠

متابعة الصديق المعارك ورقابة نتائجها :

وكان الصديق يتابع المعارك وتأتيه نتائجها وترسل اليه خمس الغنائم ، ويسائل القواد اذا بلغه عنهم مالا يرضى ٠

فمن ذلك أنه بلغه أن خالد بن الوليد اثناء حربه المرتدين قتل مالك بن نويرة مع أنه فى رأى البعض كان قد أسلم ثم تزوج امرأته ، وكانت العرب تكره زواج النساء فى الحرب ، فلما علم بذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه أخبر الصديق رضى الله عنه بذلك وطلب منه أن يقيد خالد بن الوليد ٠

فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : هيه ياعمر تأول فأخطأ فارفع لسانك عن خالد ودفع الصديق دية مالك بن نويره ٠

وكتب الى خالد أن يقدم عليه ففعل وأخبره خبره فعذره وقبل منه وعنفه فى التزويج الذى كانت تعيب عليه العرب ٠

وكان عذر خالد أن مالك بن نويره كان بين الأسرى وفى ليلة ازداد بردها طلب من معاونيه تدفئة الأسرى فقتلوهم ومنهم مالك

---

(٨) الطبرى ــ مرجع سابق ــ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ٠

ظنا منهم أن خالد أراد بذلك قتلهم ، وكانت فى لغة كنانة اذا قالوا : دثروا الرجل فأدفئوه أى اقتلوه(٩) ٠

– وبعد انتصار خالد على مسيلمة الكذاب فى حرب الردة تزوج ابنة مجاعة بن مرادة بعد الصلح مع من بقى فى اليمامة ، فبلغ ذلك أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فكتب اليه كتابا يقطر بالدم جاء فيه :

« لعمرى يابن أمخالد ، انك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتى رجل من المسلمين لم يجفف بعد »

فلما نظر خالد فى الكتاب جعل يقول :

هذا عمل الأعيسر – يعنى عمربن الخطاب – (١٠)

حـــــروب الردة :

ونوضح فيما يلى ملخصا للحروب التى وقعت فى عهد الصديق مع المرتدين باعتبارها لها علاقة بالمال العام وأحد مصادر موارده من الزكاة ومن خمس الغنائم اذا تحقق النصر وجمعت الغنائم :

قتل الأسود العنسى مدعى النبوة :

كان الأسود العنسى كاهنا يقيم بجنوب اليمن ويصطنع فنونا من الحيل يستهوى بها وبعباراته الجماهير ، لقب نفسه رحمان اليمن، وكان يزعم ان له شيطانا يظهره على خطط أعدائه ، وقد قيل انه تنبأ وظهر أمره وقتل فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقيل أنه قام بثورته على الاسلام بعد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فيقول اليعقوبى فى تاريخه « أما الأسود بن عنزه العنسى فقد كان تنبأ على عهد رسول الله ٠ فلما بويع أبو بكر ظهر أمره واتبعه

---

(٩) الطبرى جزء ٣ – مرجع سابق – ص ٢٨٧ ٠

(١٠) المرجع السابق ص ٣٠٠ ٠

على ذلك قوم ، فقتله قيس بن مكشوح السرادى وفيروز الديلمى ، دخلا عليه منزله وهو سكران فقتلاه ٠

ويقول الطبرى فى احدى الروايات : « فأول حرب كانت فى الردة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم كانت حرب العنسى ، وكانت حرب العنسى باليمن »(١١) ٠

هزيمة طلحة الأســـدى مدعى النبوة (١٢) :

ـ ادعى طليحة الأسدى النبوة فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحرار بن الأزور ليتحد مع من بقى مسلما من بنى أسد ويقضى عليه وكاد يقضى عليه لولا موت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ عظم أمره بعد وفاته ، فقد انضمت اليه بالبزاخة قبيلة عبس وذبيان بعد أن هزمهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه بذى القصة ، وأنضم اليه ناس من طى وجديلة وكذا عيينه بن حصن الفزارى فى عطفان وبذلك كبر سلطان طليحة وزادت جماعة المرتدين ٠

أرسل اليه أبو بكر الصديق خالد بن الوليد رضى الله عنهما يقود أربعة آلاف من المجاهدين من المهاجرين والأنصار ٠ فرق الله جماعة طليحة ، فقد تمكن عدى بن حاتم الطائى الذى كان فى جيش المسلمين أن يثنى قبيلة طى وجديلة عن متـــابعتهم طليحة الكذاب وانضموا لجيش خالد وقاتل جيش خالد وجيش طليحة قتالا ضاريا فانصرف عنه عيينه بن حصن وجماعته بعدما اكتشفوا كذب طليحة وفر طليحة الى الشام حيث رجع بعد ذلك الى الاسلام وحسن اسلامه، وأسر خالد عيينه من حصن وأرسله الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فعفا عنه ٠

وعادت القبائل الى الاسلام وطبق خالد القصاص فعاقب الذين اعتدوا على المسلمين أثناء ردتهم ٠

---

(١١) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ص ٧٦ وما بعدها ٠

(١٢) مقتبسة من الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٣ ، ٢٥٧ ٠

غنيمة شـــرعية من المرتدين :

لما هزم طليحة بن خويلد الاسدى قدم الى أبى بكر وفد من قبيلة أسد وغطفان على ابى بكر يسألونه الصلح ·

فخيرهم أبو بكر بين الحرب المجلية (أى الخروج عن جميع المال) والسلم المخزية (وهى القرار على الذل والصغار)

فقالوا له : هذه الحرب المجلية قد عرفناها ، فما الســلم المخزية ؟

فقال : أن تنزع منكم الحلقة (السلاح) والكراع (الخيل) وتتركوا أقواما يتبعـون أذناب الابل ، حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرا يعذرونكم به · ونغنم ما أصبنا منكم (أى يصير ما أصبناه منكم غنيمة شرعية) وتردوا الينا ما أصبتم منا (أى يردوا ما نهبوا من عسكر المسلمين أثناء القتال) ، وتدوا قتلانا (أى تدفعوا دية قتلانا) وتكون قتلاكم فى النار ·

فقام عمر بن الخطاب فقال : انك قد رأيت رأيا وسنشير عليك، أما ما رأيت أن تنزع منهم الحلقة والكراع فنعم ما رأيت ·· وأما ما ذكرت أن يتركوا أقواما يتبعون أذناب الابل حتى يرى الله خليفة نبيه والمهاجرين أمرا بعذروتهم به فنعم مارأيت · وأما ما ذكرت أن نغنم ما أصبنا منهم ويردوا الينا ما أصابوا منا فنعم ما رأيت ، وأما ما رأيت أن يدوا قتلانا وتكون قتلاهم فى النار ، فان قتلانا قتلوا على أمر الله ، أجورهم على الله ليست لهم ديات ·

فتابع القوم عمرا

هزيمة مالك بن نويره المرتد (١٣) :

ـ كان مالك بن نويره فى البطاح قد وادع سجاح بنت الحارث التى ادعت النبوة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت بالجزيرة فى بنى تغلب فاستجاب لها البعض وأقبلوا معها لتغزى

---

(١٣) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ·

المدينة وفى طريقها راسلت مالك بن نويره ودعته الى الموادعة فأجابها وثناها عن غزو المدينة وحملها على غزو أحياء من بنى تميم ·

وصل خالد بن الوليد الى البطاح وبث سراياه فجاءته سرية بمالك بن نويره فقتله خالد وتزوج امرأته وقد أوضحنا الشك الذى أحاط باسلامه ومحاسبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد ·

هزيمة مسيلمة المرتد ومدعى النبوة(١٤) :

ـ ادعى مسيلمة الكذاب النبوة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ، وقد ساعد على انتشار أمر مسيلمة نهار الرجال بن عنفوة وكان قد هاجر الى النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ القرآن وفقه فى الدين فبعثه الرسول صلى الله عليه وسلم معلما لأهل اليمامة ويشد من أمر المسلمين ويهاجم ادعاءات مسيلمة ،ولكنه انقلب على عقبيه ، وادعى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « انه قد أشرك معه » فصدقه الناس واستجابوا لمسيلمة مادام قد أشرك مع رسول الله طبقا لما رواه كذبا الرجال بن عنفوة وزاد أمره وكثر أتبـــاعه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وجه أبو بكر الصديق رضى الله عنه عكرمة بن أبى جهل فى جيش الى مسيلمة وأردفه بلواء شرحبيل بن حسنة ، الا أن عكرمة أسرع لملاقاة مسيلمة فهزم ، فوجه اليه الصديق رضى الله عنه خالد ابن الوليد فى جيش بلغ ثلاثة عشر ألفا فالتقى بجيش مسيلمة الكذاب الذى بلغ أربعين ألفا فى حرب شرسة واستمر القتال ثم برز خالد أمام صفوف المسلمين ودعاهم للمبارزة ، فكان لايبرز منهم أحد الا قتله ودعا خالد مسيلمة وأرهقه فأدبر وعلاهم المسلمون فكانت هزيمة المرتدين وقتل مسيلمة وفقد المرتدون أكثر من عشرين ألف قتيل وكان قتلى المسلمين ألفا ومائتين ·

وتتابع الباقون من اتباع مسيلمة على الاسلام والبراءة مما كانوا فيه بعد أن صالح خالد بن الوليد من فى الحصون على الذهب

---

(١٤) مقتبسة من الخلفاء الراشدين ـ تأليف عبد المقصود نصـــار واخرين ـ ص ٢٩ ·

والفضة ونصف السبي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة على أن يسلموا(١٥) ·

ويعتبر النصر على مسيلمة أهم خطوة فى القضاء على الردة حيث تم النصر لبقية القواد فى الجهات الباقية وهى :

ارتداد البحرين ونصر المسلمين :

ارتد أهل البحرين عن الاسلام ففر عامل الدولة الاسلامية العلاء بن الحضرمى هاربا ، وفى عهد أبى بكر رده ثانية الى البحرين على رأس لواء من الألوية الاحد عشر لقتال المرتدين فيها فلما بلغ هو وجيشه البحرين وخندق المسلمون وخندق المرتدون ، كانوا يتبادلون القتال ثم يعودون الى خنادقهم . وفى ذات ليلة وكان جيش المرتدين ممعنين فى الشراب ، اقتحم المسلمون عليهم عسكرهم ووضعوا السيوف فيهم ، وفر الذين نجوا الى دارين ، وتبعهم المسلمون والتقوا بالفارين . فقاتلوهم أشد القتال وانتصروا عليهم وسبوا العذراى وساقوا الأموال التى بلغت كثرتها حدا جعل سهم الفارس ستة الاف والراجل ألفين(١٦) ·

ارتداد عمان ونصر جيوش أبى بكر :

كان قائد الردة فى عمان ذو التاج لقيط بن مالك الأزدى ، وقد ادعى النبوة فوجه أبو بكر الى عمان حذيفة بن محصن الغلفانى ووجه عرفجة بن هرثمة البارقى الى مهرة وأمرهما أن يسيرا معا وأن يبدءا بعمان وأمر أبو بكر عكرمة بن أبى جهل ليلحق بهما ·

التقى جيش المسلمين بجيش المرتدين وكاد الظفر يتوج المرتدين لولا أن أقبل على المسلمين مدد عظيم من قبائل البحرين مما ضاعف قوتهم وانتصر المسلمون(١٧) ·

---

(١٥) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٩٨ ·

(١٦) الصديق أبو بكر — محمد حسين هيكل ص ١٦٢ ·

(١٧) المرجع السابق ص ١٦٥ ·

ارتداد مهرة وانتصار جيوش الصديق :

ترك عكرمة حذيفة بعمان وسار الى مهرة حيث ارتد الناس وبلغ مهرة ، فلقى جمعين يدعو كل منهما الآخر للاذعان لرئاسته . وانضم أحد الجمعين الى عكرمة ، وقاتلوا الجمع الآخر قتالا عنيفا وانتصر المسلمون وأسروا وغنموا وكان فيما غنموا ألفا نجيبه وبعث عكرمة الخمس الى أبى بكر(١٨) .

تطهير اليمن من الردة :

كانت باليمن حركة للردة فلم ينه موت العنسى هذه الحركة ، وقد شد من أزر الحركة التنازع على السلطان نتيجة للتنافس القديم بين اليمن والحجاز على من تكون له الكلمة العليا ، فسار عكرمة ابن أبى جهل من مهرة الى اليمن وسار المهاجر بن بنى أمية كذلك من المدينة الى اليمن فلما سمع أهل اليمن بمقدم هذين القائدين تخاذلوا ، وقبض المهاجر على قائدين كانا يتنافسان على الحكم وهما قيس بن عبد يغوث وعمرو بن معد بن كرب ، وأرسلهما أسيرين الى أبى بكر .

ثم سار المهاجر حتى نزل صنعاء وتعقب العصابات المتمردة وكان عكرمة قد اســـــتقر بجنوب اليمن وبذلك عاد الأمن لليمن كلها(١٩) .

قتال المرتدين فى كنده وحضرموت :

قبض رسول الله وكان عماله على تلك البلاد ، وكانت كنده لمجاورتها اليمن قد استجابت لدعوة الأسود العنسى ، فلما مات النبى فشت الردة أراد زياد بن لبيد قمعها ونجح فى ذلك ، ولكن أحد زعماء البلاد الأشعث بن أيس قاتل زيادا ، فاستنصر زياد

---

(١٨) المرجع السابق ص ١٦٧ .

(١٩) مقتبسة من المرجع السابق ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

بالمهاجر بن أمية فأتاه من صنعاء ، وسار عكرمة أيضا بجيشه فالتقيا بمأرب ، فاستخلف المهاجر عكرمة على الجيش والتقى بجيش زياد فهاجم الأشعث وهزمه وقتل رجاله ففروا منه والتجأوا الى أحد الحصون ٠

انضم عكرمة بجيشة الى جيش زياد والمهاجر وانتصر جيش المسلمين وأسر الأشعث وأرسل الى أبى بكر فأسلم وعفا عنه ٠

وأقام المهاجر وعكرمة بحضرموت وكنده حتى اطمأنت الأمور واستقر الأمن ،فكان ذلك آخر حروب الردة(٢٠) ٠

النصر في حروب الردة ثبت المالية العامة للدولة :

بانتهاء حروب الردة بنصر المسلمين تم ترابط الدولة الاسلامية بانضواء القبائل المنشقة تحت لوائها ، واستقر الاسلام فى النفوس المرتدة ٠ وثبت ركن الاسلام الذى أصابه الاهتزاز وهو الزكاة ، وبثباته عادت للمالية الاسلامية ثباتها وزال عنها اهتزازها ، فاستقر فى نفوس الملزمين بها أنها فريضة فرضها الله جل وعلا ، ولم تكن تؤدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بصفته الشخصية ، وأنها مستمرة بعد وفاته وتؤدى طواعيه واذا امتنع بعض المسلمين عن أدائها يكرههم رئيس الدولة الاسلامية على الأداء وأيقن الذين كانوا ممتنعين عن أدائها أنها ليست جزية أو أتاوة تدفع للحكومة بالمدينة، فلترسل الدولة بعد انتصارها على المرتدين مصدقيها لجمع الزكاة كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وليؤديها المسلمون كاملة غير منقوصة كما كانوا يؤدونها للرسول ولا ينقصونها عقالا واحدا كما قال الصديق حينما صمم على قتال المرتدين ٠

أما أعناق أهل الكتاب التى كانت قد اشرأبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم لتستطلع تطور الأحوال وتنتهز الفرصة

---

(٢٠) مقتبسة من المرجع السابق ص ١٧٣ وما بعدها ٠

لتتحلل من الأعباء المالية التى فرضتها عليهم معاهدات الصلح مع الدولة الاســـلامية ، هذه الأعناق عادت الى الاعتدال فعليهم أن يؤدوا ما استحق عليهم من جزية وهم صاغرون ، ولن تبغى عليهم الدولة الاسلامية أو تعذبهم فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وخليفته يطبق القرآن ويتبع السنة فى ادارة الدولة وفى جبايات أموالها ، زكاة من المسلمين وجزية وخراجا من أهل الكتاب .

مجاهدون جاهدوا لتثبيت الزكاة مع الصـــديق (١)

نماذج من ابطال جاهدوا المرتدين وثبتوا الزكاة :

تحقق نصر الله على مدعى النبوة والمرتدين ، وعلت كلمة الله ، وتماسكت الدولة الاسلامية وتثبتت ماليتها العامة ، وعادت الزكاة المفروضـــة تتدفق ثانية للدولة بتصميم الخليفة الأول على الجهاد وادارته الراشدة لسياسته ، واســتماتة المجاهدين لتحقيق النصر ، واستشهد بعضهم وعلت كلمة الله .

ونورد فيما يلى نماذج من بعض هؤلاء المجاهدين :

عمار بن ياســر :

ـ كان اسلام عائلته مبكرا وأخذوا نصيبهم الأوفى من عذاب قريش وأهوالها تحت رمضاء مكة الملتهبة وكان نصيب أمه سمية فادحا وكان عمار يعذب حتى لا يدرى ما يقول .

---

(١) بيانات الأبطال الذين ورد ذكرهم تباعا مقتبسة من كتاب حول الرسول ـ خالد محمد خالد طبعة دار الريان للتراث .

ـ كان الرسول يخرج الى أسرة ياسر وقال لهم « صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة » ٠

ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمار :

« ان عمارا ملىء ايمانا الى مشاشه (أى الى ما تحت عظامه) ٠

« من عادى عمارا عاداه الله ، ومن ابغض عمارا أبغضه الله »

« اقتدوا بالذين من بعدى أبى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار » ٠

ـ وبعد أن ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى جاهد فى سبيل الله وفى يوم اليمامة قطعت احدى أذنيه بسيوف المرتدين فى حرب اليمامة ، وكان يوم اليمامة من أيام عمار المجيدة ٠

يقول عبد الله بن عمر رضى الله عنهما :

« رأيت عمار بن ياسر يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح :

يامعشر المسلمين ٠٠ أمن الجنة تفرون ٠٠؟ أنا عمار بن ياسر ، هلموا الى ٠٠٠٠ فنظرت اليه ،فاذا أذنه مقطوعة تتأرجح ، وهو يقاتل أشد القتال » !!

زيد بن الخطاب :

أخو عمر بن الخطاب الأكبر

سبقه الى الاسلام

لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مشهد أو غزاة

يوم اليمامة دفع خالد بن الوليد لواء الجيش اليه

عندما مالت المعركة أول الأمر على المسلمين ، علا ربوة هناك وصاح فى اخوانه :

«أيها الناس .. عضوا على أضراسكم واضربوا فى عدوكم .. وامضـــوا قدما .. والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله ، أو ألقاه سبحانه فأكلمه بحجتى »

أطاح بسيفه رأس الرجال بن عنفوة وكان الرجال ـ كما سبق أن ذكرنا ـ قد أرسله أبو بكر لأهل اليمامة ليثبتهم على الاسلام ولكنه انقلب على عقبيه ودعم سلطان مسيلمة وادعى أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل موته « انه أشرك مسيلمة بن حبيب فى الأمر » فكان لموته أثر كبير فى تحقيق النصر .

بعدها سقط زيد شهيدا فى معركة اليمامة .

البراء بن مالك :

هو أخو أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه :

« رب أشعث أغبر ذى طمرين ، لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك .. »

انطلق يوم اليمامة يجندل أتباع مسيلمة الكذاب .

لما سرى فى صفوف المسلمين شىء من الجزع صاح البراء :

« يا أهل المدينة ..

لا مدينة لكم اليوم ..

انما هو الله والجنة »

ولما احتمى المرتدون بحديقة كبيرة دخلوها ولاذوا بها ، اعتلى جدار الحديقة وألقى بنفسه داخل الحديقة واقتحمته جيوش الاسلام. وتلقى جسده بضعا وثمانين ضربة وظل بعد المعركة شهرا كاملا يشرف خالد على تمريضه ..

استشهد فى عصـــر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى موقعه تستر ..

ثابت بن قيس :

ـ كان ثابت خطيب رسول الله والاسلام

ـ شهد مع رسول الله غزوة (أحد) والمشاهد بعدها .

ـ لما نزلت الآية الكريمة « ان الله لا يحب كل مختال فخور » (لقمان من / ١٨) أغلق عليه بابه وظل يبكى لأنه كان يحب الثياب الجميلة وخشى أن يكون من المختالين ، فلما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك قال له :

« انك لست منهم .. بل تعيش بخير .. وتموت بخير .. وتدخل الجنة »

ـ ولما نزل قول الله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى .. ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ، أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون) (الحجرات / ٢)

أغلق ثابت عليه داره وطفق يبكى لأنه كان جهير الصوت

فلما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال له :

« انك لست منهم .. بل تعيش حميدا .. وتقتل شهيدا .. ويدخلك الله الجنة » .

ـ وفى موقعة اليمامة ، كان يحمل راية الانصار لما رأى هجوم جيش مسيلمة الكذاب الخاطف على المسلمين أول المعركة صاح ثابت بصوته الجهير :

« والله ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم »

ثم تحنط وكبس أكفانه وصاح مرة أخرى

« اللهم انى ابرأ اليك مما جـــاء به هؤلاء .. (يعنى جيش مسيلمة الكذاب)

« واعتذر اليك مما صنع هؤلاء .. (يعنى تراخى المسلمين فى القتال) .

وانضم اليه (سالم) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحمل راية المهاجرين .. وحفر الاثنان لنفسيهما حفرة عميقة ثم نزلا فيها قائمين ، ووقفا نصـــــف كل منهما غائص فى الرمال ونصفهما الأعلى يستقبلان جيوش المرتدين ..

وراحا يضربان بسيفيهما كل من يقترب منهما من جيش مسيلمة حتى استشهدا فى مكانهما .

نســــــيبة بنت كعب :

- بايعت رسول الله فى بيعة العقبة الثانية .

- أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنها حبيب بن زيد الى مسيلمة الكذاب برده على رسالته بأنه أشرك فى الأمر مع رسول الله وأنه له نصف الأرض ، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

- عذب مسيلمة الكذاب الرسول وقطع جســـده قطعة قطعة وعضوا عضوا لما لم يشهد أنه رسول الله .

- أطلقت أمه نسيبة بنت كعب يمينا لتثأرن لولدها من مسيلمة الكذاب .

- خرجت مع جيش أبى بكر الذاهب لليمامة لملاقاة جيش مسيلمة ..

- ألقت بنفسها فى خضم المعركة فى يمناها سيفا وفى يسراها رمح ...

- ولما قتل مسيلمة كان جسدها قد ملىء بالجراح وطعنات الرماح ، ووفت بيمينها .

عباد بن بشــــر :

ـ عندما نزل « مصعب بن عمير » المدينة ليعلم الانصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام كان عباد بن بشر رضى الله عنه واحدا من الابرار الذين أنار العلم قلوبهم ٠

ـ بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم كان فى الصفوف الأولى مع المجاهدين ٠

ـ قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها :

« ثلاثة من الأنصار لم يجاوزهم فى الفضل أحد

« سعد بن معاذ

« وأسيد بن حضير

«وعباد بن بشر »

ـ فى حروب الردة وقبل أن تبدأ معركة « اليمامة » بيوم رأى فى منامه أن السماء قد فرجت له ثم أطبقت عليه ، فكان يوم اليمامة يصيح بالأنصار :

« احطموا جفون السيوف وتميزوا من الناس ٠٠ »

فلبى أربعمائة منهم نداءه فقادهم ثم استشهد وصدقت الرؤيا وتفتحت أبواب السماء لتستقبله ٠

خالد بن الوليد :

ـ كان يفتك بالمسلمين يوم أحد

ـ ثم هداه الله فذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بالنبوة فرد عليه السلام بوجه طلق فأسلم وشهد شهادة الحق ٠

فقال الرسول : قد كنت أرى لك عقلا رجوت ألا يسلمك الا الى خير ٠٠

وبايع رسول الله وقال : استغفر لى كل ما أوضعت فيه من صد عن سبيل الله ٠

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : ان الاسلام يجب ما كان قبله ٠٠

فقال خالد : يا رسول الله على ذلك ؟

فقال الرســـول صلى الله عليه وسلم : اللهم اغفر لخالد بن الوليد كل ما أوضع فيه من صد عن سبيلك ٠

ـ قاد جيش المســـلمين فى غزوة مؤتة بأرض الشـــام بعد استشهاد أبطالها الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله ابن رواحة وقد نعاهم الرسول صلى الله عليه واحدا بعد الآخر ، ثم حمل الراية خالد بن الوليد :

قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله ، فتح الله على يديه » ٠

ـ وفى فتح مكة كان خالد أميرا على الجناح الأيمن من جيش المسلمين ٠٠

ـ وبعد أن لحق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى وواجه الخليفة الأول المرتدين كان خالد بن الوليد أحد المختارين لمجموعة ضخمة من المجموعات الاحدى عشر لجيوش المسلمين وقال له الخليفة :

« سمعت رسول الله يقول : نعم عبد الله ، وأخو العشيرة ، خالد ابن الوليد ، سيف من سيوف الله ، سله الله على الكفار والمنافقين »

ـ وفى اليمامة لما لم توفق بعض القوات المسلمة فى الانتصار على جيش مسيلمة الكذاب أمر الخليفة خالد أن يسير اليه ، وسار اليه خالد بالجيش ورجحت كفة الاعداء فى أول الأمر ، فاعتلى بجواده ربوة قريبة وأدرك نقاط الضعف فى جيش الاعداء ، فأعاد تنسيق مواقفه على أرض المعركة ونادى قواته :

« امتازوا ، لنرى اليوم بلاء كل حى »

وامتاز المهاجرون والأنصار جميعا

وتحول اتجاه المعركة وقتل « مسيلمة » وطويت الى الأبد راية الكذاب ٠

ـ وسنرى أن الخليفة وجهه ليمضى بجيشه صوب العراق ثم بعد نصره أمره بالتوجه الى الشام ليقابل جيوش الروم وأبلى أحسن البلاء وقاد جيوش الاسلام الى النصر ٠

ـ وفى أثناء قيادته جيش المسلمين فى معركة اليرموك فوجىء بالبريد القادم من المدينة يحمل كتاب الخليفة الجديد عمر بن الخطاب يبلغ تحية الفاروق للجيش وينعى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه والأمر بتنحية خالد عن القيادة وتولية أبى عبيدة بن الجراح مكانه ، فانتظر خالد حتى تحقق النصر وتقدم خالد من أبى عبيدة وقدم تحية الجندى لقائده ٠٠

ـ لم يكن أمير المؤمنين يأخذ على خالد من سوء ولكن كان يأخذ على سيفه التسرع وبكاه يوم مات بكاء كثيرا ٠

ادارة الصديق الزكاة بسنة الرسول

تطبيق الصديق سنة الرسول فى مسائل الزكاة :

لم يشغل جهاد الصديق الممتنعين عن أداء الزكاة والمرتدين ، عن ادارة أمور الزكاة طبقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان يبدى الرأى لعماله فيما يرد اليه من مسائلها مستندا الى السنة ، ويتضح ذلك مما يلى :

تعليمات مكتوبة من الخليفة الأول بشأن زكاة بعض الأموال :

كان الخليفة الأول يكتب كتبا توضح أحكام الصـــدقة لعماله الذين يوجههم لأمور الولايات التابعة للدولة الاسلامية ٠

فيقول ثمامة بن عبد الله بن أنس ، أن أنسا حدثه ، أن أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ كتب له هذا الكتاب لما وجهه الى البحرين :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فريضة الصدقة التى فرض رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ على المسلمين ــ والتى أمر الله بها رسوله ، فمن سئلها من المسلمين على وجهها ، فليعطها ، ومن سئل فوقها فلا يعط :

فى أربع وعشرين من الابل فما دونها من الغنم من كل خمس شاة ، اذا بلغت خمسا وعشــــرين الى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض[1] أنثى[2] ، فاذا بلغت ستا وثلاثين الى خمس وأربعين ففيها بنت لبون[3] أنثى ، فاذا بلغت ستا وأربعين الى ستين ففيها حقة طروقة الجمل[4] ، فاذا بلغت واحدة وستين الى خمس وسبعين ففيها جذعة[5] ، فاذا بلغت يعنى ستا وسبعين الى تسعين ففيها بنتا لبون ، فاذا بلغت احدى وتسعين الى عشــــرين ومائة ففيها حقتان[6] طروقتا الجمل ، فاذا زادت على عشرين ومائة ففى كل أربعين بنت لبون ، وفى كل خمسين حقة ، ومن لم يكن معه الا أربع من الابل فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها ، فاذا بلغت خمسا من الابل ففيها شاة .

وفى صدقة الغنم فى سائمتها[7] اذا كانت أربعين الى عشرين ومائة شاة ، فاذا زادت على عشرين ومائة الى مائتين شاتان ، فاذا زادت على مائتين الى ثلاثمائة ففيها ثلاث[8] ، فاذا زادت على ثلاثمائة ففى كل مائة شاة ، فاذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة الا أن يشاء ربها .

---

(١) بنت المخاض : هى التى اتمت حولا ودخلت الثانى .

(٢) وصفها بالأنثى للتاكيد .

(٣) بنت لبون : ما أتمت حولين ودخلت الثالث .

(٤) طروقة الجمل : أى استحقت ان يطرقها ويغشاها الفحل .

(٥) الجذعة : بفتح الجيم والذال هى ما اتمت الرابعة .

(٦) الحقــة : بكسر الحـاء هى ما أتمت الثالث .

(٧) السائمة : الراعية لا المعلوفة .

(٨) أى ثلاث شياه .

وفى الرقة(٩) ربع العشر فان لم تكن الا تسعين ومائة فليس فيها شىء الا أن يشاء ربها(١٠) »

وبدراسة هذا الكتاب يمكن ابداء ما يلى :

ـ كان من الممكن للخليفة الأول رضـــى الله عنه أن يحيط العاملين باحكام الزكاة شفويا ولكنه آثر ابلاغهم كتابة باحكامها ، حتى يتحقق لمن يجبون الصـــدقات ومن يؤدونها التيقن من هذه الأحكام ، واليقين أحد السمات الهامة للفرائض المالية ، حتى لا تنشأ خلافات بين بيت المال وممثليه والمولين الذين يؤدون الصدقات ٠

ـ أوضح الكتاب أن الصدقة على المسلمين ، ومن المعروف أن الزكاة غير مفروضة على غير المسلمين ٠

ـ فتح الكتاب الباب للتطوع ، فبعد أن حدد النصاب وهو ما دونه عفو ليس عليه زكاة ، ترك لأصحاب الأموال اذا شاءوا أن يؤدوا ما يرون من الصدقات ، فقد يرى البعض أداء صدقات غير مفروضة على سبيل التطوع لوجه الله سبحانه وتعالى استجابة لقوله جل وعلا ٠

« ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم » (البقرة / من ١٥٨)

ـ لم يشمل الكتاب زكاة البقر وهى من الأنعام الخاضـــعة للزكاة ، ولم يذكر كذلك فئات زكاة الذهب واقتصر على الفضـــة ولم يذكر أنواعا أخـــرى من الزكاة كزكاة الزروع ، وقد يكون ذلك ورد بكتب أخرى للخليفة ، وقد يكون ذلك لوضـــوح فئاتها ومعرفة العاملين والمولين بها ، وقد يكون هذا الكتاب ردا على استفسار كان قاصرا على الأمور التى وردت به ٠

---

(٩) الرقــة : أى الفضــة ٠

(١٠) صحيح البخارى ـ الجزء الرابع ص ٤٠ ، ص ٤١ ـ اصـدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- لتبسيط تطبيق ما ورد بكتاب الخليفة الأول يمكن ايضاح النصاب وهو ما دونه عفو والفئات الخاضعة ومقدار الزكاة الواجبة فى جداول فيسهل حساب الزكاة المفروضة(١١) ٠

ترجيح اخضاع مال اليتيم للزكاة فى عهد الصديق :

تجب الزكاة على كل مسلم باعتبارها فريضة مالية وعبادة من العبادات الاسلامية ، ولما كانت الزكاة عبادة مالية ، نشأ فى عهد الصديق رضى الله عنه خلاف فى مدى خضوع مال اليتيم للزكاة ٠

فرأى بعض الصحابة أن الزكاة عبادة من العبادات ، واليتيم هو من مات أبوه وهو طفل لم يبلغ الحلم ، فهو غير مكلف بالعبادات ومنها الزكاة اذا بلغ ماله نصابها ، وهم أولى بالرعاية والمواساة ، خصوصا وأن بعض آيات القرآن الكريم تدعو الى العطف على اليتامى والتحذير من اهانتهم الى الحد الذى جعل دع اليتم (أى دفعه بعنف وجفوة) مظهرا من مظاهر التكذيب بالدين ، فقال تعالى :

« أرأيت الذى يكذب بالدين ، فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين) (الماعون ١ ، ٢ ، ٣)

كما أن بعض الآيات تعرضت لأموال اليتامى فنهت فى حالة ادارة أموالهم عن الأخذ منها الا بالمعروف اذا كان من يدير فقيرا أما اذا كان غنيا فليستعفف ، وأن من يأكل أموال اليتامى ظلما انما يأكل فى بطنه نارا وسيصلى سعيرا ٠

وكان رأى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، خضوع مال اليتيم اذا بلغ نصابا للزكاة ، لأن الزكاة حق على المال وحده لأنواع من الناس حددهم فى سورة التوبة فى آية :

« انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠)

---

(١١) تم اعداد هذه الجداول فى كتاب السياسة المالية للرسول ص ٦٦ ، ٦٧ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

فحكمة فرض الزكاة تزكية المال وتضييق ما بين الاغنياء والفقراء من فروق ومنع الأحقاد بينهم ، وتوثيق عرى الأخاء الذى نادى به الاسلام ، ومن حصيلتها ينفق ولى الأمر على الوجوه التى عددتها الآية السابقة ومنها فى سبيل الله فيتمكن من القيام من تمويل رعايته لبعض شرائح الأمة وهو مسئول عن رعايتها ، فالأمر كله يتعلق بالمال فرضا وتحصيلا وانفاقا ٠

وقد أخذ الصديق برأى على رضى الله عنهما (١٢) ٠

الخليفة الأول يصدر تعليمات تفسيرية بشأن تحصيل أنواع من الزكاة :

أرسل أبو بكر الصديق رضى الله عنه كتابا بتعليمات تفسيرية لبعض الحالات العملية التى نشأت فى التطبيق ، فقد تكون أنواع الفئات المستحقة على الأنعام غير موجودة وبها أنواع أخرى موجودة فتقبل من مؤدى الزكاة وتقوم ، فان كانت قيمتها أزيد من قيمة النوع المستحق ، أعطاه المصدق الفرق وان كانت قيمتها أقل أخذ المصدق ما يكملها نقدا من صاحب الأنعام ٠

فقد حدث أنسا رضى الله عنه أن أبا بكر كتب له التى أمر الله ورسوله — صلى الله عليه وسلم(١٣) ٠

« ومن بلغت صدقته بنت مخاض وليست عنده وعنده بنت لبون فانها تقبل منه ، ويعطيه المصدق عشرين درهما أو شاتين ، فان لم يكن عنده بنت مخاض على وجهها(١٤) وعنده ابن لبون فانه يقبل منه وليس معه شىء)(١٥) ٠

ويرجع منشأ ما ورد فى هذا الكتاب الى أن زكاة الأنعام محددة على أساس عينى وتستأدى من نفس النوع الخاضع للزكاة وفى ذلك تسهيل على من يؤدى الزكاة ، وحديثا تؤدى الضرائب التى تفرضها الدول على رعاياها نقدا ٠

---

(١٢) الصديق أول الخلفاء — مرجع سابق — الفصل الثامن ٠

(١٣) أى من حديث الصدقات ٠

(١٤) على وجهها : أى طبقا لفئات الصدقة المستحقة ٠

(١٥) صحيح البخارى — مرجع سابق — جزء ٢ ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

تعليمات الصديق بشأن زكاة الخلطاء :

حدث أنس أن أبا بكر رضى الله عنه ـ كتب له التى فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية

ويتصل بهذا الحديث حديث للرسول صلى الله عليه وسلم رواه الدراقطنى وهو :

« لا يفـــرق بين مجتمع ولا يجمع بين متفرق فى الصدقة ، والخليطان ما اجتمع على الفحل والمرعى والحوض »

فالخلط من العادات المرعية فى الأنعام ، فيكون لدى اثنين أو أكثر قطيع من الغنم أو الابل أو البقر فيتفقان معا على خلط نصيبه كل منهما مع الآخر بحيث يجتمعان معـــا فى الذهاب الى المرعى والعودة منه وفى المشرب وفى المبيت والفحل يكون للجميع كذلك(١٦) .

فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يفرق بين مجتمع » يفسره الأوزاعى بمثال حسابى فيقول « لا ينبغى للمصدق اذا كان نفر ثلاثة لكل واحد منهم أربعون شاة وهم خلطاء أن يأخذ منهم أكثر من شاة واحدة ، ولا يفرق بينهما ثم يأخذ من كل أربعين واحدة » .

وعن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ولا يجمع بين متفرق » يقول الأوزاعى :

اذ كان لكل رجل أربعون شـــاة على حدة فلا ينبغى لهم أن يجمعوها فيجدها المصدق مجتمعة فلا يأخذ منها الا شاة ، والواجب عليهم فيها ثلاث »(١٧) .

(١٦ ، ١٧) من كتاب الأموال ـ لأبى عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد خليل هراس ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦م دار الفكر للطباعة والنشر ص ٤٨٤ .

ويرى البعض أن « لا يفرق بين مجتمع » منصب على الملكية فاذا كانت ملكية الخلطاء محددة بحيث يعرف كل منهم ما يملكه من الأنعام حاسبهم المصدق على أساس ما ملك كل منهم وفى المثال السابق يأخذ المصدق عن كل أربعين واحدة ..

أما اذا كانت الملكية مشاعة وغير محدد مايملكه كل من الخلطاء فيحاسبهم المصدق على أساس العدد الكلى للخليط ، وفى المثال السابق لا يأخذ منهم الا شاة واحدة .

فاذا تحددت قيمة الصدقة طبقا لأحد الآراء السابقة تنشأ مسألة مقدار مايتحمله كل مالك فى الصدقة المؤداة .

فيقرر أبو بكر الصديق رضى الله عنه استنادا لحديث الرسول :

« وما كان من خليطين فانهما يتراجعان بينهما بالسوية »

ونرى أن ينظر للموضوع من ناحية المصدق ومن ناحية المتصدق .

فمن ناحية المصدق يستأدى الصدقة اذا وجدت حالة الخلط على أساس الجمع ولايفرق بين الخلطاء .

ومن ناحية المتصدقين يتحمل كل منهم نصيبه فى الصدقة بنسبة ما يملكه كل منهم اذا كانت الملكية محددة واذا كانت غير محددة فتقسم بينهما بالتساوى(١٨) .

وقد رجحنا هذا الرأى لأنه مطابق لنص الحديثين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضلا عن عدالته فى حالة وضوح ملكية الخلطاء ..

---

(١٨) أنظر الآراء المختلفة فى كتاب الأموال لأبى عبيد ــ مرجع سابق ــ صفحات من ٤٨٤ ــ ٤٩٢ .

الصديق ينهى عن أخذ ردىء الأموال فى الصدقة :

حدث أنس رضى الله عنه أن أبا بكر رضى الله عنه كتب له الصدقة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم .

« ولا يخرج فى الصدقة هرمة ، ولا ذات عوار ، ولا تيس الا ما شاء المصدق » .

والهرمة المسنة التى سقطت أسنانها ..

والعوار ماترد به الأنعام فى الربيع بسبب المرض أو غيره .

والتيس هو الفحل .

ولا تؤخذ الهرمة والعوار لأنها من ردىء الأموال وفى أخذها كصدقة ظلم لبيت المال وظلم للفقراء والمساكين لأن الصدقات حقوق لهم ، فقد يرون بيعها ليشتروا بها سلعا ضرورية لهم فلا يستطيعون لأن المشترين سيرفضونها لأنها مسنة أو ذات عوار ، واذا أكلوا منها قد تضرهم خصوصا اذا كانت مريضة ولا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ ردىء الأموال فى الصدقة .

فعن وائل بن حجر — رضى الله عنه —

أن النبى صلى الله عليه وسلم — بعث ساعيا فأتى رجلا فأتاه فصيلا مخلولا(١٩) .

فقال النبى صلى الله عليه وسلم « بعثنا مصدق الله ورسوله وأن فلانا أعطاه فصيلا مخلولا .. اللهم لا تبارك فيه ولا فى ابله » .

---

(١٩) فصيلا مخلولا : أى ولدا للناقة ضعيفا .

فبلغ الرجل ذلك فجاء بناقة حسناء

فقال (الرجل) : أتوب الى الله عز وجل والى نبيه صلى الله عليه وسلم ·

فقال النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم بارك فيه وفى ابله[٢٠]

وان كانت لا تؤخذ ردىء الأموال فى الزكاة فلا تؤخذ كذلك الزكاة من أجودها بل تؤخذ من أواسطها ·

فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخذ الشافع من الأموال والشافع التى فى بطنها ولدها[٢١] ·

وكانت تعليمات عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمصدقين فى عهده أن لا يأخذوا فى الصدقة « الولود ولا الربى ولا الأكيلة ولا فحل الغنم »[٢٢] لأن الولود من جياد الأنعام لأنها تلد كثيرا فتزيد ثروة صاحب الأنعام ويزيد نتاج الثروة الحيوانية للمجمتع ، والاكيلة وهى التى تعزل للأكل فتعتبر بذلك من أجود الأنعام ، ونهى كذلك عن فحل الغنم (التيس) ·

وقد نهى أيضا أبو بكر الصديق رضى الله عنه لضرورته لحمل الأنثى من الأنعام ·

حجز الزكاة من المنبع فى عهد الصديق :

قال القاسم بن محمد فى حديث له « أما أبو بكر ، فكان اذا أراد أن يعطى الرجل عطاءه ســـأله : هل عنده مال قد حلت فيه الزكاة ؟

---

(٢٠) أخرجه النسائى فى سننه والبيهقى فى السنن الكبرى ـ ورد فى المنتخب من السنة ص ٣٣٢ ـ اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ·

(٢١) للتفصيل يرجع لكتابنا « السياسة المـالية للرسول » اصـــدار الهيئة المصريه العامة للكتاب ص ٧٨ وما بعدها ·

(٢٢) انظر كتاب الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٤٧٩ ـ ٤٨١ ·

فان أخبره أن عنده مالا قد حلت فيه الزكاة قاصه مما يريد أن يعطيه .

وان أخبره أن ليس عنده مال قد حلت فيه الزكاة سلم اليه عطاءه »[٢٣] .

وبذلك سبق أبو بكر الصديق بتطبيق مبدأ الحجز من المنبع . وهو مبدأ يطبق حديثا فى بعض نظم الضرائب ، فتحجز الضرائب المستحقة على الايراد عند قبضه ويصرف الصافى لصاحب الايراد وتورد الضرائب المحجوزة من المنبع لمصالح الضرائب المختصة ، فاذا وزعت مثلا شركة مساهمة عوائد أو أرباح الأسهم على المساهمين وكانت هذه الارباح والعوائد خاضعة للضرائب . خصمت الشركة الضريبة المستحقة ووردتها لمصلحة الضرائب المختصة ويصرف لحملة الأسهم الصافى بعد خصم الضرائب المستحقة .

ابنتا الصديق ساهمتا فى ايضاح أحكام الصدقة :

ــ مما نقلته أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث عن الصدقة فساهمت فى ايضاح بعض أمورها للمسلمين ، فمما روى عنها عن الصدقة الأحاديث التالية :

ــ قالت عائشة رضى الله عنها :

« دخلت امرأة معها ابنتان لها تسأل فلم تجد عندى شيئا غير تمرة ، فأعطيتها اياها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها ، ثم قامت فخرجت ، فدخل النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ علينا ، فأخبرته ..

فقال : « من ابتلى من هذه البنات بشىء كن له سترا من النار »[٢٤] .

---

(٢٣) المرجع السابق ص ٥٤ .

(٢٤) البخارى جزء ٤ ــ مرجع سابق ــ ص ١٩

فلعل هذا الحـــديث يحث أصـحاب الأموال الممتنعين عن أداء الزكاة كلها أو بعضـــها أن يســـارعوا بأدائها لأنها حقوق فقراء ومساكين قد لا يجدون ما يسدون به رمقهم هم وأطفالهم الجياع ٠

ـ وقالت عائشة رضى الله عنها :

أن بعض أزواج النبى ـ صلى الله عليه وسلم قلن للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : أينا أسرع بك لحوقا ؟

قال : « أطولكن يدا »

فأخذوا قصبة يذرعونها ، فكانت ســـودة(٢٥) أطولهن يدا ، فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة ، وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة(٢٦) ٠

ولعل هذا الحديث يدخل فى قلوب زوجات المسلمين حب أداء الزكاة المفروضة على ما يمتلكن من مال والتطوع بمايزيد وحث الأزواج على ســـرعة أداء زكاة أموالهم فيقتدى الأبناء بالآباء والأمهات ٠

ـ وقالت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر رضى الله عنهما : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم :

« اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا »(٢٧) ٠

ويعنى مسروق بحديث عائشة (اذا تصدقت المرأة ٠٠٠٠٠٠ الخ »(٢٨) ٠٠

---

(٢٥) هى أم المؤمنين سودة بنت زمعة ـ رضى الله عنها ٠

(٢٦) البخارى ـ جزء ٤ ـ مرجع سابق ص ١٩ ٠

(٢٧) المرجع السابق ـ ص ٢٢ ، ٢٣ ٠

(٢٨) المرجع السابق ص ٣٠ ٠

والصدقة وردت مطلقة فى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فقد يقصد بها صدقة التطوع أو الصدقة بمعنى الزكاة ، ومثل ذلك أن تقوم الزوجة بأداء جزء من زكاة أموال زوجها على هيئة طعام لفقراء مرضى أو لمساكين جوعى فلها أجرها بما أدت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا ٠

ـ وقالت ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

قال لى النبى ـ صلى الله عليه وسلم :

« لا توكى فيوكى عليك »(٢٩) ٠

والكلام على الاستعارة أى لا تمنعى مافى يدك فيمنع عنك الرزق، لأن من أوكى على ما فى سقاته اذ شده بالوكاء وهو الحبل الذى يربط به رأس القربة »(٣٠) ٠

فلا يمتنعن عن أداء الزكاة ذو مال فما نقص مال من صدقة والله يربى الصدقات ٠

ـ وقالت ذات النطاقين أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما :

أنها جاءت الى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال :

لا توعى فيوعى الله عليك أرضخى ما استطعت »

ومعنى الحديث هو عدم الامساك لأنه من أوعيت الشىء جعلته فى الوعاء حفظا له فأستعير لذلك لمعنى الامساك والرضخ هو العطاء اليسير ، فالرسول صلى الله عليه وسلم ينهى اسماء وسائر المسلمات والمسلمين عن الإمساك ويأمر بالعطاء بدون تبذير(٣١) ٠

(٢٩ ، ٣٠) المرجع السابق ص ٢٦ ٠

(٣١) المرجع السابق ص ٢٧ ٠

والله جل وعلا يقول « فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون ، الذين هم يراءون ويمنعون الماعون » (الماعون / ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) .

فبجانب الزكاة المفروضة ، يمكن للمسلمات تلبية لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعطين عطاء يسيرا ويمتنعن عن الامساك استجابة لنهى الله جل وعلا عنه حتى لا تضيق عليهن ولا على أزواجهن الأرزاق .

الباب الرابع

الايرادات العامة فى عهد الصديق

من :

خمس الغنائم والجزية والخراج

استمرار الايرادات العامة من خمس الغنائم في عهد الصديق

يقين الصديق بفضل الجهاد :

أعلن الصديق فى خطابه الأول اهمية الجهاد وقاوم به مانعى الزكاة والمرتدين وانتصر عليهم ولاشك انه عندما أعلن ذلك كان يدور بخلده فضل الجهاد كما توضحه آيات القرآن المجيد وسنن رسول الله صلى الله وسلم ٠

فالجهاد يحقق فلاح الأمة استنادا لقول الله جل وعلا :

« يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون » (المائدة / ٣٥) ٠

ويحقق فضل الله سبحانه وتعالى كما أوضح فى آية :

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » (المائدة/٥٤)

ويأتى الجهاد بالخير للمجاهدين الذين ينفرون خفافا وثقالا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، كما بينه القرآن المجيد فى قول الله سبحانه وتعالى :

« انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون »(التوبة / ٤١) ٠

والجهاد هو التجارة التى تنجى من العذاب الأليم ، فقد قال تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون » (الصف ١٠ ، ١١) ٠

ويمنع الجهاد مذلة الرقاب ، استنادا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر ،وتبايعتم بالعينة ، ليلزمنكم الله مذلة فى رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا الى الله وترجعوا على ما كنتم عليه »(١) ٠

وللجهاد جزاء مادى فى الدنيا ، فقد أحل الله للمجاهدين الغنائم فقال سبحانه وتعالى :

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (الانفال / ٦٩)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس قبلكم ، كانت تنزل نارا فتأكلها »(٢) ٠

---

(١) كتاب الجهاد للدكتور أحمد محمد الحوفى ص ٤٢ ٠

(٢) الأموال لأبى عبيد ص ٣٨٦ ٠

نظام توزيع الغنائم :

وقد نظم الله ورسوله توزيع الغنائم طبقا للقواعد التالية :

ـ يفرق بين الفيء والغنائم ، فالفيء هو ما حصـــل عليه المسلمون من العدو بدون حرب فلم يوجف المســـلمون عليه بخيل ولا ركاب فكان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أفاء الله عليه بأموال بنى النضير كان ينفق على أهله نفقة سنة وما بقى جعله فى الكراع(٣) والسلاح عدة فى سبيل الله(٤) وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤول للدولة كايراد من ايراداتها العامة ٠

ـ أما الغنيمة أو النفل فهى ما يستولى عليه جيش المسلمين من العدو فى الحرب ، وفيما يلى قواعد التصرف فيه :

ـ اذا انفرد المسلم بقتل المشرك وأقام البينة على ذلك ، فيكون له سلبه كله من غير أن يشركه فيه أحد من سائر المشـــتركين فى المعركة ، ويقصد بالسلب ما كان على القتيل من ثياب أو سلاح وكذلك فرسه الذى قاتل عليه بأداته أى سرجه ولجامه وغيرهما ٠

وذلك استنادا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

فعن أبى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين :

« من قتل قتيلا له بينة فله سلبه »(٥) ٠

ـ إذا عاونت النساء فى المعركة بالسقى ، أو عاون الرعاة والادلاءبارشاد الجيش عن مواقع العدو وآثاره فيعطون من الغنيمة قبل التوزيع شيئا قليلا ولا يضرب لهم بسهم لأنهم لم يحاربوا ٠

---

(٣) الكراع اسم لجميع الخيل والسلاح ٠

(٤) الاموال لأبى عبيد ص ١٥ ٠

(٥) الاموال لأبى عبيد ص ٣٨٦ ٠

– يؤول خمس الغنيمة لمن سماهم الله جل وعلا فى آية الخمس وهى :

« واعلموا أنما غنمتم من شىء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير » (الانفال / ٤١) .

– الأربعة أخماس الباقية توزع على الذين اشتركوا فى المعركة على أساس للفارس ثلاثة أسهم باعتبار أن للفرس سهمين ولصاحبه سهم أو يكون التوزيع للفارس سهمان – للفرس سهم ولصاحبه سهم – ويكون التوزيع سهما واحدا للراجل(٦) .

اتمام بعث اسامه كان أول عمل للصديق :

عاصر أبو بكر الصديق الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعى فضله وشارك فى غزوات الرسول وشاهد بنفسه توزيعه للغنائم ، فلما ولى أمر المسلمين قاد الأمة للجهاد فأعلن ذلك فى خطابه الأول كما ذكرنا وبدأ به أول عمل له فى الدولة فكان أول أمر أصدره بعد أن تمت له البيعة هو :

« ليتم بعث أسامه »

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جهز جيشا من الأنصار والمهاجرين لغزو الروم بعد الذى كان بينهم وبين المسلمين فى غزوة مؤتة واستشهد من قواته زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحه ثم داور خالد بن الوليد بالجيش حتى عاد به الى المدينة سليما وان لم ينتصر .

وأمر الرسول على الجيش اسامه بن زيد بن حارثة وكان حدثا لما يبلغ العشرين ، وولاه الرسول ليجعل له من النصر ما يجزى به استشهاد أبيه بمؤتة ، وليعتاد الشباب الاضطلاع بالمسئوليات .

---

(٦) أنظر الموضوع بتوسع فى كتابنا « السياسة المالية للرسول » الصفحات من ٩٧ الى ١٣٤ .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامه أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين وأن ينزل على أعداء الله فى عماية الصبح وأن يمعن فيهم قتلا وأن يحرقهم بالنار وأن يتم ذلك بسرعة حتى لا تسبق الى أعدائه أنباؤه ، فاذا تم له النصر فليسرع بالعودة غانما مظفرا(٧) ٠

وحين وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن جيش أسامه قد ابتعد عن المدينة مسافة كبيرة ، فلما علم من بالجيش بالوفاة انفرط الجيش وعاد المجاهدون للمدينة باكين ، وكان أسامة فى نحو العشرين وتحت لوائه صحابة من السابقين الأولين فى الاسلام ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فطلب منه أسامة أن يستأذن الخليفة بالرجوع بالجيش ليبقى كبار الصحابة بجواره فى هذه الأزمة التى وقعت بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وطلب من عمر بعض من فى الجيش أن يطلب من الخليفة أن يولى رجلا أكبر سنا من أسامة اذا صمم على مسيرة الجيش ، ذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأبلغ الخليفة ماطلب منه ٠

فقال أبو بكر رضى الله عنه مصمما تصميما قاطعا لا رجعة فيه :

« والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أن الطيور تخطفنا والسباع من حولى تأكلنى ، ولو أن الكلاب جرت بأمهات المؤمنين لاجهزن جيش أسامة ولن أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم »

فلما أظهر عمر خشيته من رحيل الجيش والعرب مرتدون ٠

قال الصديق رضى الله عنه « ياعمر لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشا أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم » ٠

---

(٧) الصديق ابو بكر ـ طبعة سابعة ـ محمد حسين هيكل ص ٨٧ ، ٨٨ ٠

فلما نقل اليه عمر رضى الله عنه رغبة البعض أن يولى عليهم رجلا أقدم سنا من أسامة ·

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه غاضبا غضبا شديدا « تكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب(٨) ! استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ، كيف أؤمر غير من أمر رسول الله » ·

بهذا التصميم أدار الخليفة عجلة الجهاد لتنفيذ ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

وقد حمس أبو بكر الصديق رضى الله عنه جيش أسامة بن زيد بأن صحبه حتى وصل الى الجرف وكان ماشيا يقود دابته عبدالرحمن ابن عوف وأسامة راكب ·

فقال له أسامة : ياخليفة رسول الله والله لتركبن أو لانزلن ·

فقال الخليفة : والله لا تنزل ووالله لا أركب ! وما على أن أغبر قدمى فى سبيل الله ساعة ، فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترتفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة(٩) ·

وكان الصديق يخطب البعوث يذكرهم بآيات الله ويعظهم ويدعوهم الى صالح الاعمال والسباق اليها قبل انتهاء الآجال وأن يأخذوا العبر ممن مات قبلهم فقد خطب وأوصى جيش أسامة فقال :

« يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنى » :

لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا صغيرا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا الا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم فى الصوامع، فدعوهم

---

(٨) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٦ ·

(٩) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٦ ·

وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فاذا أكلتم منها شيئا بعد شىء ، فاذكروا اسم الله عليها ... »(١٠) ٠

وطلب من أسامة أن يترك له عمر بن الخطاب فتركه له وكان عمر فى جيش أسامة ٠

وأوصى الصديق قائد الجيش أسامة بن زيد فقال له :

« اصنع ما أمرك به نبى الله صلى الله عليه وسلم ، ابدأ ببلاد قضاعة ثم ايت آبل ، ولا تقصرن فى شىء من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده » ٠

فمضى أسامة على ذى المروة والوادى وانتهى الى ما أمره به النبى صلى الله عليه وسلم من بث الخيول فى قبائل قضاعة والغارة على آبل ، فسلم وغنم ، وانتهى من مهمته فى أربعين يوما سوى ذهابه وايابه(١١) ٠

فتوح لنشر دعوة الاسلام فى عهد الصديق :

عندما تم للمسلمين القضاء على الردة فى الجزيرة العربية كان عليهم أن يبلغوا الناس بدعوة الاسلام بالقيام بالفتوح المختلفة بهدف نشر الدعوة الاسلامية للأمم وصبغها بالصبغة الاسلامية دون اكراه باعتناقها فاما الاسلام أو الجزية أو القتال ويضاف الى هذا الهدف الأصلى تأمين الدولة الاسلامية الوليدة من دسائس الذين يتربصون بها من اليهود والنصارى الذين اشرأبت اعناقهم بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشار حركة الردة ومن احتمالات اعتداءات الفرس والروم وغيرهم الذين كانوا يتوقون الى اطفاء نور الله بايقاف المد الاسلامى والقضاء على الدولة الاسلامية الوليدة فى عهدها بعد موت مؤسسها الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

---

(١٠) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ ٠
(١١) الطبرى — مرجع سابق — ص ٢٢٧ ٠

وفيما يلى ملخص للفتوح الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

فتح العراق فى عهد الصديق :

ابتدأت الفتوح فى عهد الصديق رضى الله عنه بالجبهة الشرقية من الفرس ووضع تخطيطا دقيقا لفتح العراق ثم مواصلة الجهاد لفتح بلاد فارس بالاستيلاء على عاصمتهم المدائن وقدم الحوافز للقواد الذين بعث بهم للفتح فجعل السابق منهم الى الحيرة هو الأمير على الآخر .

فقد كتب الصديق فى المحرم من السنة الثانية عشر الى خالد ابن الوليد وقد أمره على حرب العراق أن يدخلها من أسفلها ، والى عياض بن غنم وقد أمره على حرب العراق أن يدخلها من أعلاها ، ثم يستبقا الى الحيرة ، فأيهما سبق الى الحيرة فهو أمير على صاحبه .

وقال : « اذا اجتمعتما بالحيرة وقد فضضتما مسالح فارس ، وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما ردءا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم ومستقر عزهم المدائن »(١٢) وقد التقى المسلمون مع الفرس فى عدة مواقع بقيادة خالد بن الوليد تمكن المسلمون من الانتصار فيها مع ضخامة جيوش الفرس بالنسبة لجيش المسلمين ، وذلك كما يبين من المواقع التالية :

موقعة ذات السلاسل :

كان جيش خالد يضم ثمانية عشر الف مسلم بعد أن انضم اليه جند المثنى بن حارثة الشيبانى وأصحابه وبدأت الموقعة فى كاظمة قرب الحفير ، وكان قائد الاعداء هرمز فأراد أن يقضى على خالد فدعاه للمبارزة وأعد له كمينا ليغدر به ولكن خالدا تمكن من قتل هرمز

---

(١٢) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤٧ .

وتمكن حمـــاة خالد من قتل كمين هرمز وانهزم الفــرس وتبعهم المسلمون يقتلونهم ويأسرونهم وأمر أبو بكر خالدا أن يحسن الى الفلاحين فأقرمن لم يقاتل منهم وجعل لهم الذمة(١٣) ٠

موقعـــة المذار :

كانت واقعة المذار فى صفر سنة اثنتى عشرة ويومئذ قال الناس :

« صفر الأصفار فيه يقتل كل جبار على مجمع الأنهار »

فكان هرمز عندما علم بقدوم خالد اخبر أردشير ملك الفرس فأمده بجيش من المدائن بقيادة قارن بن قريانس ، وعندما وصـــل الجيش الى المذار علم بهزيمة هرمز فى ذات السلاسل فانضم اليه فلول جيش هرمز وهم مغيظون لهزيمتهم وعســـكروا بالمذار فخرج اليهم خالد ودار القتال فنصر الله المسلمين وقتل قارن وعدد كبير من الفرس قدر بثلاثين ألفا سوى من غرق فى النهر ٠ وغنم المسلمون فى هذه الموقعة غنائم كبيرة(١٤) ٠

موقعـــة الولجـــة :

بلغ أردشير نبأ هزيمة الفرس فى المذار فأرسل جيشا بقيادة الأندرزغر وأردفه بجيش آخر بقيادة بهمن جاذويه ، وقد ســـار الأندرزغر حتى وصل الى الولجة وعسكر جنود آخرون الى جانب جيشه فى الولجة من أهالى البلاد ٠

سار اليه خالد بعد أن أعد كمينين من جيشه والتقى به فى صفر من نفس السنة ودار بينهما قتال بالغ الضراوة ثم خرج كمينا خالد وهاجما الفرس فحلت بهم الهزيمة وتم نصر الله للمسلمين على الفرس ومن عاونوهم من عرب الضاحية وكانوا من نصارى بكر بن وائل(١٥) ٠

---

(١٣) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥٠ ٠

(١٤) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥١ ، ٣٥٢ ٠

(١٥) المرجع السبق ص ٣٥٣ ، ٣٥٤ ٠

موقعــــة أليس :

غضب العرب لمن قتل منهم في الولجة فكاتبوا الفرس وحضوهم على قتال المسلمين فكتب أردشير الى بهمن جاذويه أن سر حتى تصل أليس بجيشك وانضم الى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب فأرســـل بهمن الجيش بقيادة جابان الى أن يلحق به فنزل بأليس وانضمت اليه المسالح التى كانت بازاء العرب ونصـــارى العرب وبعض عرب أهل الحيرة ·

نهض اليهم خالد فاقتتلوا قتالا شديدا ودعا خالد ربه « اللهم ان هزمتهم فعلى أن لا أستبقى من أقدر عليه حتى أجرى دمائهم فى نهرهم » فنصر الله المسلمين وبلغ قتلى الأعداء سبعين ألفا سال دمهم فى النهر فوفى خالد بنذره(١٦) ·

هــــدم أمغيشــــيا ·

لما فرغ خالد من وقعة أليس أتى أمغيشيا وكان أهلها قد جلوا عنها فأمر خالد بهدمها ، فأصابوا منها أنفالا كثيرة ، فلما بلغ ذلك الصديق رضى الله عنه أخبر قريش بالخبر وقال :

« عدا أسدكم على الأسد فغلبه على خراذيله(١٧) ، أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد »(١٨) ·

فتح الحــــيرة :

انتصار خالد فى أليس فتح له الطريق ليستولى على الحيرة عاصمة العراق وكان مرزبان الحيرة قد احتاط لقدوم خالد فعسكر خارج الحيرة وأمر ابنه ليسد الفرات ولكن خالد قتله وأطلق ماء النهر ، هرب المرزبان وتابع خالد سيره حتى نزل الحيرة فوجد أهلها

---

(١٦) المرجع السابق ص ٣٥٥ ·
(١٧) الخراذيل : قطع اللحم ·
(١٨) المرجع السابق ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ·

قد تحصنوا فى قصورهم فوزع قواته على قصـــــورهم وامرهم ان يبداوهم بالدعوة للاســـلام او الجزية او الحرب ، فأبوا ، فدارت مناوشات انتهت بأن عقد خالد صلحا مع نقباء أهل الحيرة تعهدوا فيه بأن يدفعوا مائة وتسعين الف درهم فى كل سنة وعلى المنعة ولما استقر الأمر بين خالد وأهل الحيرة أتته الدهاقين فصالحوه وتم للمسلمين بذلك الغلبة على أحد جانبى العراق(١٩) ٠

فتح دومة الجنـــدل : (١٩م)

كان عياض بن غنم مكلفا بفتح العراق من أعلاه فطال حصاره لدومة الجندل ولم يتمكن منفتحها فتوجه اليه خالد وفى طريقه مر بالانبار فاستولى عليها بعد مناوشة قليلة مع أهلها ثم توجه الى عين التمر فتصدوا لقتال خالد ولكنه تغلب عليهم وهزمهم واستولى على حصن عين التمر وغنم ما فيه ٠

فلما وصل خالد الى دومة الجندل جعلها بينه وبين معســـكر عياض وانتهى القتال بين المسلمين وبين أهل دومة الجندل بنصـــر المسلمين ، فقد تمكنوا من الاستيلاء على حصنهم وقتل من فيه وقد حاول الأعداء الموتورون الاغارة على المسلمين واسترجاع مابيدهم ولكنهم فشلوا ٠

توجه خالد بعد ذلك الى الفراض وهى تخوم الشام والعراق والجزيرة وقد تجمع بها الفرس والروم والعــــرب من تغلب واياد والنمر وقاتلوا المسلمين فى معركة حامية انتصر فيها المســـلمون وقتلوا من اعدائهم فى المعركة مائة ألف ٠

وقد كانت هذه الموقعة اخر الحروب التى خاضـــها خالد فى العراق ووجه الجيش الى الحيرة وأدى سرا فريضة الحج فبلغ ذلك

---

(١٩) ملخصه من المرجع السابق من ص ٣٥٦ ـ ٣٦٥ ٠

(١٩م) مقتبسة من الطبرى ص ٣٧٨ وما بعدها ٠

أبا بكر الصديق فعاتبه لتركه الجيش وأمره بالتوجه لجموع المسلمين باليرموك(٢٠) بالشام ٠

فتح الشـــــام :

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه قد أرسل فى مطلع السنة الثالثة عشر من الهجرة خالد بن سعيد بن العاص الى تيماء حيث اجتمع له عدد كبير من المسلمين فاستنفرت له الروم بعض القبائل فانتصر خالد بن سعيد فى بعض المواقع ولكن ياهان بطريق الروم تمكن من هزيمته ٠

وجهأبوبكر رضى الله عنه عند ذلك الجيوش الى الشام فأرسل أبا عبيدة بن الجراح بجيش ووجهه الى حمص ويزيد بن أبى سفيان بجيش ووجهه الى دمشق وشرحبيل بن حسنة بجيش ووجهه الى الأردن وعمرى بن العاص بجيش ووجهه الى فلســـطين ، وقد بلغ تعداد هذهالجيوش قرابة ثلاثين ألفا ٠

معـــركة اليرموك : (٢١)

ازاء هذه الجيوش الكثيفة أعد الروم جيوشا لمقابلتها ولكن قادة المسلمين شعروا بخطورة تفرقهم فاســـتقر رأيهم بعد موافقة الخليفة على الاجتماع فى اليرموك ، فلما علم هرقل بذلك أمر جيوشه بنزول الواقوصة على ضفة اليرموك وصار الوادى خندقا لهم ٠

عند ذلك تحول المســـلمون فنزلوا بحذائهم وصـــار الروم محصورين لا طريق لهم الا على المسلمين واستمرت المناوشات بين الفريقين بدون فصل للمعركة قرابة شهرين ، فاســـتشاروا الخليفة فارسل لهم خالد بن الوليد ٠

وكان وصول خالد الى اليرموك ايذانا بنشوب المعركة الفاصلة بين الروم والمسلمين ، فقد حشد الروم ما يتجاوز مائتى ألف جندى

---

(٢٠) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٤ ٠

(٢١) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٤ وما بعدها ٠

وكان جيش المسلمين ما يقارب أربعين ألفا منهم ألف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم مائة من أهل بدر ·

خطط خالد للمعركة فقسم الجيش الى كتائب في كل واحد منها الف جندى وجعل عليه فارسا شجاعا وجعل للجيش ميمنة وميسرة وقلبا ثم عبأ الروح المعنوية بقراءة سورة الجهاد وهى الأنفال ·

وفى جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ التحم الفـريقان فى المعـركة الفاصلة وحملت الروم حملة قوية أزالت المسـلمين عن مواقفهم فتبايع أربعمائة من المسلمين وعلى رأسهم عكرمة بن أبى جهل على الموت فقاتلوا وجرحوا جميعا فتراجعت الروم الى مواقفهم ·

زحف خالد على الروم واشتد القتال وطال فتضعضع الروم فنهد اليهم خالد فى قلب جيشهم وكان بين خيلهم ورجلهم فضـاق المهرب على خيل الروم ثم خرجت بهم فى الصحراء وتفرقت فى البلاد فشدد المسلمون الحملة على رجالة الروم ففروا وهووا فى منخفض الواقوصة ، وبلغ من هوى قرابة مائة وعشرين ألفا سوى من قتل فى المعركة واستمر القتال هزيعا من الليل حتى تم النصر للمسلمين ·

واستشهد من المسلمين فى هذه المعركة ثلاثة آلاف مسلم منهم عدد من الصحابة وأصحاب باع فى الجهاد ·

وكانت النساء المسلمات فى المعركة يداوين الجرحى ويسقين الماء وبعضهن خاض غمرات القتال ومنهم جويرية ابنة أبى سفيان التى اصيبت فى المعركة ·

وكانت هذه المعركة ايذانا بانتشار الاسلام فى الشام ثم امتداده بعد ذلك ، وكانت هذه المعركة خاتمة الأعمال الحربية التى تمت فى حياة أبى بكر رضى الله عنه ·

النتائج المالية للفتوح فى عهد أبى بكر :

كانت للفتوح الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه نتائج هامة لها جوانبها المالية وذلك على النحو التالى :

- بلغت الدعوة الاسلامية الاقاليم المفتوحة وهدى الله الكثير من أهلها لدعوة الاسلام فدخلوا فى دين الله أفواجا وصار عليهم أن يقوموا بأركان الاسلام الخمس ومنها الزكاة . فزادت بذلك حصيلة الزكاة فى عهد أبى بكر الصديق خصوصا بعدما تمكن من رد الممتنعين عن أداء الزكاة فى أول عهده الى الوفاء بها وزاد بذلك المقدار الذى يمكن أن يوزع منها على الفقراء والمساكين وسائر مصارفها المحددة بالقرآن الكريم مما جعلها أكثر قدرة على اداء وظائفها الاجتماعية بجانب وظائفها التعبديه .

ومما يزيد فى فعالية الزكاة أن من أسلم عن حق أصبح من الحاضين لغيره على ادائها باعتباره مكلف بنشر الدعوة بالكلمة وبالجهاد دفاعا عنها بالسيف تلبية لداعى الجهاد اذا دعاه .

- تقليم أظافر الفرس والروم كنتيجة لهذه المعـــارك أطاح بنظمهم المالية العامة التى كانت تقوم على أساس أن رئيس الدولة هو المالك للأموال العامة ولا فصـــل بينهما وبين أمواله الخاصة يسانده فى ذلك حاشية من كبار الاقطاعيين وجماعة من الكهنة ينالون من الاموال العامة قدر ما يستطيعون لاشباع نفوسهم الظامئة للمال والغنى والاكتناز من عرق الفلاحين والعبيد الذين كانوا مسخرين لزراعة الأرض وكانوا مبهظين بالضرائب والأتاوات فلا يبقى لهم من نتيجة عملهم الا القليل الذى لا يكفى معيشتهم وشئون حياتهم .

ونتيجة للفتوح حل النظام المالى الاسلامى العام الذى يقوم على أن المال مال الله ، والشعب مستخلف عليه . فاذا بايع الشعب الخلفية حكم بالقرآن بالسنة وعدل فى أمور المال العام فلا يجبى الا بالحق ولا يصرف الا فى حق ويمنع من الباطل ، والحـــاكم فيه يستعفف عن الأموال العامة فهو كولى اليتيم لا يأكل منه الا بالمعروف نظير أجر عمله وهو فيماعدا ذلك كسائر الرعية يعود عليه ما يعود عليهم ، والممولون أحرار يطيعون ويوفون بالالتزامات المالية العامة عن طواعيه خصوصا اذا كانت ذات طبيعة تعبدية كالزكاة . والشأن فى حاشية الحاكم أن تكون صالحة لخير الدين والدنيا ترشد الحاكم لمسالك المعروف ليسلكها وتنهاه عن دروب المنكر ليتجنبها .

- أدت هذه الفتوح الى اتساع الدولة الاسلامية وعكس هذا الاتساع أثره على الموارد العامة للدولة فبجانب زيادة الزكاة على النحو الذى أوردناه زادت الموارد العامة الأخرى للدولة من الجزية التى أداها أهل الكتاب الذين لم يعتنقوا الاسلام وآثروا الاحتفاظ بدينهم وكان على الدولة الاسلامية أن تدخلهم فى ذمتها وتؤدى لهم من الخـــدمات العامة ما يحقق لهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وذرياتهم ، وأن تعدل بينهم وتدخلهم فى ظلال السماحة الاسلامية التى حض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشـــدون فاوصوا بهم وحرموا اضطهادهم وتعذيبهم ، بل أضفوا عليهم من بيت مال المسلمين ما يكفل لهم المعيشة اذا ألم بهم فقر أو اعترتهم الشيخوخة وكانوا معوزين .

- أحل الله الغنائم للمسلمين ، فاذا جاهدوا وتحقق نصر الله حق لهم أن يأخذوا ما غنموه طبقا للنظام الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغزوات التى غزاها والسرايا التى أمر بها والسابق التنويه عنه .

نماذج من غنائم المعارك فى عهد الصديق :

نوضح فيما يلى نماذج من الغنائم التى حصل عليها القاتلون فى المعارك التى خاضوها فى عهد الصديق رضى الله عنه :

منح الصديق خالد بن الوليد سلب هرمز :

أوضحنا فى موقعة ذات السلاسل أن هرمز طلب مبارزة خالد ابن الوليد فبارزه خالد وقتله وكان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم فى عشائرهم ، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف ، فكان هرمز ممن تم شرفه فكانت قيمة قلنسوته مائة الف ، فنفلها أبو بكر الصديق رضى الله عنه خالد بن الوليد ، وكانت مفصصة بالجواهر ، وكانت للفرس بيوتات سبع تعتبر أعلى[٢٢] البيوتات ،

---

(٢٢) الطبرى جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٣٤٩ .

وتمام شرف احد الفرس أن يكون من احد هذه البيوتات وكان هرمز من احدها ولقد منح أبو بكر الصـــديق رضي الله عنه خالدا هذه القلنسوة لأنها من سلب هرمز وكان مستندا فى هذا المنح لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قتل رجلا فله سلبه »(٢٣) ٠

خالد بن الوليد اعطى الأسلاب لمستحقيها :

وفى عهد أبو بكر الصديق كان خالد بن الوليد يعطى الأسلاب لمستحقيها فى المواقع التى خاضها ففى وقعة المذار مثلا يذكر المؤرخون انه سلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت(٢٤) ٠

خالد بن الوليد كان يرسل خمس الغنائم للخليفة :

كان خالد بن الوليد بعد نهاية المعركة يقســـم الغنائم فيبدأ بالخمس ويرسله لأبىبكر الصديق رضى الله عنه بالمدينة ، فبعد نهاية واقعة ذات السلاسل أرسل خالد بنتيجة المعركة وكانت الفتح ومابقى من الأخماس للخليفة ، فقرىء الفتح على الناس ليعلموه ، وكان مع الأخماس فيل مصنوع كان من ضمن الغنائم فطيف به فى المدينة ليراه الناس ٠

فكانت ضعيفات النساء يقلن : « أمن خلق الله ما نرى » ثم رأينه مصنوعا ٠

وكان زر بن كليب هو مبعوث خالد بالفتح بالخمس والفيل فرد ابو بكر الصديق رضى الله عنه معه الفيل(٢٥) ٠

وفى موقعة المذار بعث خالد بالخمس وبأخبار المعركة للخليفة مع الوليد بن عقبة(٢٦) ٠

---

(٢٣) أنظر حالات عملية على السلب فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتابنا « السياسة المالية للرسول » ص ١٢١ — ١٢٣ ٠

(٢٤) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٣٥٢ ٠

(٢٥) المرجع السابق ص ٣٥٠ ٠

(٢٦) المرجع السابق ص ٣٥١ ٠

وفى وقعة الزميل يبعث خالد بالخمس الى أبى بكر رضى الله عنه مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيبانى(٢٧) ٠

وبعث كذلك بخمس غنائم تغلب الى أبى بكر رضى الله عنه مع الصباح بن فلان المزنى(٢٨) ٠

وبعث أيضا خالد بأخماس غنائم اليرموك الا ما نفل منها مع عمير بن سعد الأنصار لأبى بكر الصديق رضى الله عنه(٢٩) ٠

وهكذا كان القواد فى عهد أبى بكر الصـــديق يطبقون فيما يغنمون بعد النصر نصوص القرآن الكريم بشأن خمس الغنائم ٠

تقدير القيمة الكلية لبعض غنائم الفتوح فى عهد الصديق :

ـ ذكرنا أن جيش خالد بن الوليد فى ذات السلاسل كان يضم ثمانية عشر ألف مسلم ويذكر المؤرخون أن سهم الفارس من الغنيمة فى يوم ذات السلاسل والثنى بلغ ألف درهم والراجل على الثلث عن ذلك(٣٠)

فمن هذا يتضح أن خالد جعل سهم الفارس ثلاثة أمثال سهم الراجل ٠

وفى ضوء هذه المعلومات المتاحة يمكن بطريقة حسابية الوصول الى قيمة تقريبية لغنائم ذات السلاسل والثنى وذلك كما يلى :

عدد المجاهدين المسلمين ١٨٠٠٠ مسلم

لتوزيع عدد المجاهدين بين الفرسان والراجلين نفترض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين فيكون عدد الفرسان ١٨٠٠ فارس ويكون عدد الراجلين ١٦٢٠٠ راجل ٠

---

(٢٧) المرجع السابق ص ٣٨٢ ٠
(٢٨) المرجع السابق ص ٣٨٣ ٠
(٢٩) المرجع السابق ص ٤٠٨ ٠
(٣٠) المرجع السابق ص ٣٣٠ ٠

ومجموع غنائمهم باعتبار أن الفارس أخذ ١٠٠٠ درهم
= ١٫٨٠٠٫٠٠٠ درهم

ومجموع غنائم الراجلين باعتبار أن الراجل أخذ ⅓ الفارس أى ١٦٢٠٠ × ٣٣٣⅓ درهم = ٥٫٤٠٠٫٠٠٠ درهم

مجموع ماحصل عليه المجاهدون وهو يمثل ٤/٥ الغنائم
= ٧٫٢٠٠٠٠٠ درهم

قيمة ١/٥ الغنائم الذى أرسله خالد لبيت مال المسلمين بالمدينة
= ١٫٨٠٠٠٠٠ درهم

مجموع غنائم ذات السلاسل والثنى = ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ درهم

فتكون الموقعة حققت نصر الله وإعلاء كلمة الدين وغنائم بلغت ٩ ملايين درهم ٠٠

– وفى أمغيشيا كان العسكر ١٨٠٠٠ فارس أو يزيدون(٣١) ٠

ويقول الطبرى « لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شىء أصابوه فى أمغيشيا بلغ سهم الفارس ألفا وخمسمائة سوى النفل الذى نفله أهل البلاء »(٣٢) ٠

وباتباع نفس الأساس السابق وهو افتراض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين يكون عدد الفرسان ١٨٠٠ فارس وعدد الراجلين ١٦٢٠٠ راجل ٠

ومجموع غنائم الفرسان وقد أخذ كل منهم ١٥٠٠ درهم × ١٨٠٠ فارس = ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ درهم

ومجموع غنائم الراجلين وقد أخذ كل منهم ⅓ الفارس أى ٥٠٠ درهم أى ١٦٢٠٠ راجل × ٥٠٠ درهم = ٨٫١٠٠٫٠٠٠ درهم

---

(٣١) الطبرى جزء ٣ مرجع سابق ص ٣٥٧ ٠

(٣٢) الطبرى جزء ٣ مرجع سبق ص ٣٥٨ ٠

ويكون مجموع غنائم المقاتلين المسلمين وهو يمثل ٤/٥ الغنائم = ١٠٫٨٠٠٫٠٠٠درهم

قيمة ١/٥ الغنائم الذى أرسله خالد للمدينة طبقا لآية الخمس = ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ درهم

مجموع غنائم امغيشيا = ١٣٫٥٠٠٫٠٠٠ درهم

ويكون ما حققه المسلمون من غنائم فى موقعتين من مواقع العراق وهما ذات السلاسل والثنى وامغيشيا ٩ ملايين درهم + ١٣½ مليون درهم = ٢٢½ مليون درهم ٠

– وفى واقعة اليرموك بالشام كان عدد المجاهدين ٤٦٠٠٠ مقاتل ٠

وكان سهم الفارس يومئذ ألفا وخمسمائة(٣٣) ٠

فبافتراض أن عدد الفرسان ١٠٪ من عدد المجاهدين يكون عدد الفرسان ٤٦٠٠ فارس وعدد الراجلين ٤١٤٠٠ راجل

ويكون مجموع غنائم الفرسان وقد أخذ كل منهم ١٥٠٠ درهم أى ٤٦٠٠ × ١٥٠٠ = ٦٫٩٠٠٫٠٠٠ درهم

ويكون مجموع غنائم الراجلين وباعتبار نصيب الراجل ⅓ نصيب الفارس أى ٤١٤٠٠ × ٥٠٠ = ٢٠٫٧٠٠٫٠٠٠ درهم ٠

ويكون مجموع غنائم المقاتللين هو يمثل ٤/٥ الغنائم

= ٢٧٫٦٠٠٫٠٠٠ درهم

قيمة الخمس الذى يؤول لبيت مال الدولة الاسلامية

= ٦٫٩٠٠٫٠٠٠ درهم

مجموع غنائم واقعة اليرموك = ٣٤٫٥٠٠٫٠٠٠درهم

---

(٣٣) المرجع السابق ص ٤٠٠ ٠

وهكذا كانت فتوحات الاسلام فى عهد ابى بكر الصديق رضى الله عنه خيرا وبركة باعلاء دين الله وبالأموال التى آلت لبيت مال المسلمين ممثلة فى خمس الغنائم ونصيب المجاهدين من الغنائم وكان مرتفعا وهذا غير ما اخذه الأدلاء والنساء اللائى ساعدن فى المعركة .

أنفال من الطعام فى عهد الصديق :

لما هزم الفرس فى واقعة أليس وأخلوا عن عسكرهم ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه وقف خالد على الطعام فقال : قد نفلتموه فهو لكم .

وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على طعام مصنوع نفله وقد نفل يوم خيبر الخبز والطبيخ والشواء[34] .

فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول :

« ماهذه الرقاق البيض ؟! »

وجعل من قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحا :

« هل سمعتم برقيق العيش » ؟

فيقولون : « نعم »

فيقول : « هو هذا »

فسمى الرقاق وكانت العرب تسميه القرى[35] .

هذا وما ذكره خالد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى على طعام مصنوع نفله فمن ذلك ما حدث فى موقعة خيبر ، ففى أثنائها أتى بنى سهم من اسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٣٤ ، ٣٥) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٣٥٧ .

فقالوا : يارسول الله والله لقد جهدنا ، وما بأيدينا شيء ، فلم يجدوا عند رسول الله شيئا يعطيهم اياه .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم داعيا الله : « اللهم انك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة وأن ليس بيدي شيء أعطيهم اياه ، فافتح عليهم حصونها أكثر طعاما وودكا »

فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ وما بخيبر حصن أكثر طعاما وودكا منه(٣٦) .

اعطاء طيلسان مرصع من الغنائم للحسن :

كان مما أرسله خالد بن الوليد الى الصديق في الغنائم طيلسان مرصع وهو كساء أخضر ثمين يلبسه رؤساء الفرس ووجهاؤهم وكان خالد قد غنمه من قرية اسمها بانقيا في ناحية من نواحي الكوفة فأعجب الطيلسان أبا بكر رضي الله عنه ، فكساه الحسن بن علي عليهما السلام(٣٧) .

ولعل مما حدا بالصديق أن يؤثر الحسن بالطيلسان تذكره قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » ولأنه من أهل البيت الذين قال فيهم الله جل وعلا :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » (الأحزاب / من ٣٣)

اذفال من الثياب في عهد الصديق وموعظة :

كان من بين خمس الغنائم الذي أرسل للصديق حلل فاخرة للثريات من نساء العجم والروم فوزع الصديق تلك الحلل بالتساوي بين نساء المدينة وفيهن أمهات المؤمنين ، أزواج النبي رضي الله عنهن .

---

(٣٦) انظر كتابنا « السياسة المالية للرسول » – مرجع سابق – ص ١٠٧ .

(٣٧) الصديق أول الخلفاء – مرجع سابق – الفصل الخامس .

ونال السيدة عائشة رضى الله عنها ثوب من الديباج الموشى وكان طويلا لا عهد لنساء المدينة به وكان لاحـــدى الاميرات ، فبدا عليها وكأنها تختال به ٠

قالتعائشة رضى الله عنها تصف ما كان منها ومن الخليفة فى أمر هذه الثياب :

« لبست ثيابى ، فطفقت أنظر الى ثيابى وذيلى ، فدخل أبو بكر على :

فقال : ياعائشة ، أما تعلمين أن الله لا ينظر اليك الآن

قلت : ومم ذاك ؟

قال : أما علمت أن العبد اذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق هذه الزينة ؟

فنزعته عائشة ، فتصدقت به

قال أبو بكر : عسى الله أن يكفر عنك »(٣٨)

تنظيم توزيع الغنائم فى ارض المعركة :

كان الصديق رضى الله عنه يختار للمعـــركة قائدها ويعظه ويفوضه فى أمر المعركة ويكل اليه تحقيق النصر ، وبعد النصر يتولى تجميع الغنائم مسئول ويقال لما جمع من الغنائم (الاقباض) ، ففى معركة اليرموك كان على الأقباض عبد الله بن مسعود ، وبعد نهاية المعركة يقوم القائد بتجنيب خمس الغنائم وارساله مع مسئول الى الخليفة وتوزيع الباقى على من يستحقه ٠ وكان يجوز للقائد فى عهد الصديق النفل من الخمس قبل ارساله ٠

---

(٣٨) المرجع السابق ـ الفصل الثامن ٠

وفى ذلك يقول الطبرى :

« ولما انتهى الخبر الى خالد عن قارن قسم الفىء على من أفاءه الله ، ونفل من الخمس ماشاء الله وبعث ببقيته وبالفتح الى أبى بكر ٠٠ »(٣٩) ٠

وفى موضع آخر يقول :

« وبعث خالد بالأخماس الا ما نفل منها مع عمير بن سـعد الأنصارى وبمسيره الى الشام »(٤٠) ٠

جواز المفاضلة فى توزيع الغنائم :

كان من اجتهاد الصـديق فى توزيع الغنائم بين الغانمين أن الغنيمة لا تضاف للغانمين اضافة الملك ، ولكن لهم فى الغنيمة حقا ليس لغيرهم ممن لم يحاربوا ، من أجل ذلك أصبح للامام الأعظم وهو ولى الأمر أن يرتب الغنائم ويقدم أمرا على أمر ، ويفضل أحد الغانمين على آخر ، وأمر الصديق كذلك امراء جيوشه أن يفضلوا من الغانمين أولئك الذين أبلوا فى الحرب بلاء حسنا ، وأن يقدموا المجاهدين بقدر بذلهم وبلائهم فى الحرب ٠

ولقد آثر الصديق رجلا أرسله اليه خالد بن الوليد يبشره بالنصر على الفرس فى أحد المعارك المضنية ومعه الغنائم والسبايا فأهداه احدى الجوارى(٤١) ٠

وقد رأينا كيف آثر الحسن بالطيلسان ٠

---

(٣٩) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٥١ ٠

(٤٠) **المرجع السابق ص ٤٠٨ ٠**

(٤١) الصديق أول الخلفاء ـ مرجع سابق ـ الفصل السابع ٠

قراءة سورة الأنفال عند اللقاء تبارك تحقيق النصر والغنائم :

وفى عهد الصديق ، أحيا قواد الجيوش سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد سن الرسول بعد غزوة بدر أن تقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، وهى الأنفال ، وفى موقعة اليرموك كان القارىء المقداد[٤٢] .

والواقع أن السورة تضمنت من الآيات ما ينظم أحكام القتال والاستعداد له والجنوح للسلم ان جنح الأعداء ومقام القوة المعنوية فى تحقيق النصر وأحكام غنائم الحرب ، وفيمايلى بعض سور آية الانفال وأهدافها :

الاستعداد للقتال :

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون » (الأنفال / ٦٠) .

حالة الجنوح للسلم :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم » (الأنفال / ٦١)

وجوب القتال لمنع الفتنة ويكون الدين لله :

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير) (الأنفال / ٣٩) .

---

(٤٢) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٧ .

الثبـــات عند اللقـــاء :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فأثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (الأنفال / ٤٥)

النهى عن تولى الأدبار :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » (الأنفال / ١٥)

رفع الروح المعنوية بتذكر أيام الرسول :

« واذكروا اذ أنتم قليل مســـتضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون » (الأنفال / ٦)

الصـــبر فى القتال من عوامل النصر :

« يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون » (الأنفال / ٦٥)

« الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين » (الأنفال / ٦٦)

الملائكة عاونوا المجاهدين :

« اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (الأنفال / ٩)

النصــــر من عند الله ٠

« وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم » (الأنفال / من ١٠)

توزيع الغنـــائم :

« واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن الســـبيل ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان ، يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (الأنفال / ٤١)

الغنيمة حلال طيبة :

« فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم » (الأنفال / ٦٩)

أســـــرى المعـــــارك :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم » (الأنفال / ٦٧)

الفصـــل الثانى

توالى الايرادات العامة من الجزية في عهد الصديق

كلمة عامة عن الجزية :

عرفت الجـــزية قبـــل الاســـلام عنـــد الرومان والفرس والبيزنطيين واســـتندت فى الاسلام الى الآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة التي نزلت في السنة التاسعة من الهجرة وهى عبارة عن ضـــريبة ســـنوية على أهل الكتاب الذين احتفظوا بدينهم ولم يستجيبوا لدعوة الاسلام وظلوا مستوطنين فى الدولة الاسلامية يتمتعون بالامان على أنفسهم وأموالهم وذرياتهم وبسائر الخدمات العامة للدولة الاسلامية وتفرض على الرجال القادرين على القتال طبقا لدرجة يسارهم . وترفع عنهم الجزية اذا اسلموا ، فليس على مسلم جزية ، وتحصل نقدا أو عينا ويراعى فى تحصيلها الرفق فلا يعذب أهل الذمة عند تحصيلها ولايؤخذ فى الجزية الميتة والخنزير والخمر ، ويمكن تأخير تحصيلها من أهل الكتاب لوقت ظهور غلاتهم من باب الملاءمة والرفق فى التحصيل ، وفى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حصلت الجزية من المجوس لأن لهم شبهة كتاب وألحقوا بالكتابيين .

وقد نفذ الرسول صلى الله عليه وسلم أية الجزية على النحو الذى سبق ايضاحه(١) فسن بذلك لمن جاء بعده فسار على سنته أبوبكر الصديق رضى الله عنه ، فكان قواده يدعون أهل الكتاب للاسلام أولا فاذا اسلموا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، واذا أبوا يدفعون جزية للدولة الاسلامية فاذا أبوا حل قتالهم ··

نموذج عملى لاعلان أهل الكتاب قبل القتال :

وفيما يلى نموذج لما كان خالد بن الوليد أحد قواد أبى بكر الصديق يعلن به الناس من أهل الكتاب قبل الحرب ، ففى واقعة اليرموك جرى النقاش التالى بين خالد بن الوليد وجرجة وكان مقدم عسكر الروم بعد أن أمن كل منهما صاحبه :

فقال جرجة : ياخالد أصدقنى ولا تكذبنى فان الحر لا يكذب فان الكريم لا يخادع المسترسل بالله ، هل أنزل الله على نبيكم سيفا من السماء فأعطاكه ، فلا تسله على قوم الا هزمتهم ؟

قال خالد : لا ··

قال جرجة : فبما سميت سيف الله المسلول ؟

قال خالد : ان الله عز وجل بعث فينا نبيه صلى الله عليه وسلم فدعانا فنفرنا عنه ونأينا عنه جميعا ثم ان بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذبه ، فكنت فيمن كذبه وباعده وقاتله ، ثم ان الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به فتابعناه ، فقال : أنت سيف من سيوف الله سله الله على المشركين ! ودعا لى بالنصر فسميت سيف الله بذلك ، فأنا من أشد المسلمين على المشركين ·

قال جرجة : صدقتنى ، ياخالد أخبرنى الام تدعونى ؟

قال خالد : الى شـــــهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والاقرار بما جاء به من عند الله ·

---

(١) يرجع للآية فى الفصل الثانى من الباب الثانى من هذا الكتاب ·

قال جرجة : فمن لم يجبكم ؟

قال خالد : فالجزية ونمنعهم

قال جرجة : فان لم يعطها ؟

قال خالد : نؤذنه بحرب ثم نقاتله

قال جرجة : فما منزلة الذى يدخل فيكم ويجيبكم الى هذا الأمر اليوم ؟

قال خالد : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا شـريفنا ووضيعنا وأولنا وآخرنا ·

قال جرجة · هل من دخل فيكم اليوم ياخالد مثل مالكم من الأجر والذخر ؟

قال خالد : نعم وأفضل ··

قال جرجة : وكيف يساويكم وقد سبقتموه ؟

قال خالد : انا دخلنا فى هذا الأمر وبايعنا نبينا صلى الله عليه وسلم وهو حى بين اظهرنا تاتيه أخبار السماء ويخبرنا بالكتب ويرينا الآيات ، وحق لمن رأى ما رأينا وسمع ماسمعنا أن يسلم ويبايع ، وانكم أنتم لم تروا مارأينا ولم تسـمعوا ماسـمعنا من العجائب والحجج ، فمن دخل هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا ·

قال جرجة : بالله صدقتنى ولم تخادعنى ولم تألفنى

قال خالد : بالله لقد صدقتك ومابى اليك ولا الى أحد منكم حاجة ، وان الله لولى ما سألت عنه ·

فقال : صدقتنى ··

وأسلم جرجة وانضم لجيش الاسلام بعد أن تطهر وصـلى ركعتين وقتل أثناء القتال ولم يصل بعد اسلامه الا الركعتين(٢) ·

---

(٢) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٠ ·

الجـــزية احيانا هى الحـــل لأهل الكتاب انفســـهم :

يعترض بعض أهل الكتاب على الجزية باعتبارها صـــغار ، والواقع أنها مشاركة منهم فى الأعباء العامة بعد ما آثروا الاحتفاظ بدينهم وعدم القتال والدخول فى ذمة الدولة الاسلامية مما يتيح لهم الأمن والأمان والتمتع بالخدمات العامة للدولة ، وقد كان فى رأى هرقل لمابدأت جحافل المسلمين بفتح الشام فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ان الجزية هى الحل .

فقد كان هرقل وقتئذ ببيت المقدس أتاها حاجا ، فبينما هو مقيم أتاه الخبر بقرب الجنود منه فجمع الروم وقال : أرى من الرأى الا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن تصالحوهم ، فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام ، وتأخذوا نصفا وتقر لكم جبال الروم خير لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم فى جبال الروم .

ولكن قومه عصوه ، فلما هزموا

قال هرقل لجلسائه : ألم أقل لكم لاتقاتلوهم ! فانه لا قوام لكم مع هؤلاء القوم ، أن دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم[٣] ، فلا يقوم لهم أحد حتى يبلى .

فقالوا . قاتل عن دينك ولا تجبن الناس واقض الذى عليك

قال : وأى شىء أطلب الا توقير دينكم[٤] .

تحليل نموذج عملى لشروط الصلح على الجزية فى عهد الصديق :

مضى خالد بن الوليد رضى الله عنه الى الحيرة فقال لهم خالد :

---

(٣) الثبار على الأمر : المواظبة عليه .
(٤) الطبرى جزء ٣ : ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

« ادعوكم الى الله والى الاسلام فان انتم فعلتم فلكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وان ابيتم فاعطوا الجزية ، فان أبيتم فقد أتيتكم بقوم هم أحرص على الموت منكم على الحياة » .

فقال ممثلهم بعد مناقشات عديدة :

« مالنا فى حربك من حاجة ومانريد أن ندخل معك فى دينك ، نقيم على ديننا ونعطيك الجزية » .

فصالحوه على ستين ألفا

ورحل على ألا يهدم لهمبيعة ولا كنيسة ولا قصرا من قصورهم التى كانوا يتحصنون بها اذا نزل بهم عدو لهم ولا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من اخراج الصلبان فى يوم عيدهم وعلى ألا يستملوا على تغبة(٥) ، وعلى أن يضيفوا من مر بهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم وكتب بينهم هذا الكتاب .

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل الحيرة ، أن خليفة رسول الله صلى الله عليهوسلم أبا بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أمرنى أن أسير بعد منصرفى من أهل اليمامة الى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم الى الله جل ثناؤه والى رسوله عليه السلام وأبشرهم بالجنة وأنذرهم من النار فان أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين ، وانى انتهيت الى الحيرة فخرج الى اياس ابن قبيصة الطائى فى أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم ، وانى دعونهم الى الله والى رسوله فأبوا أن يجيبوا فعرضت عليهم الجزية أو الحرب .

فقالوا . لا حاجة لنا بحربك ولكن صالحنا على ما صالحت عليه غيرنا من أهل الكتاب فى اعطاء الجزية وانى نظرت فى عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة

---

(٥) التغبة بسكون الغين : القبيح والريبة وبالتحريك الفساد والهلاك .

ألف رجل فأخرجتهم من العدة ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف ، فصالحوني على ستين ألفا ، وشرطت عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذ على أهل التوراة والأنجيل :

أن لا يخالفوا ولا يعينوا كافرا على مسلم من العرب ولا من العجم ولا يدلوهم على عورات المسلمين ، عليهم بذلك عهد الله وميثاقه الذى أخذه أشد ما أخذه على نبى من عهد أو ميثاق أو ذمة فان هم خالفوا فلا ذمة ولا أمان ·

وان هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه الى المسلمين فلهم ما للمعاهد وعلينا المنع لهم ·

فان فتح الله علينا فهم على ذمتهم لهم بذلك عهد الله وميثاقه أشد ما أخذ على نبى من عهد أو ميثاق وعليهم مثل ذلك لا يخالفون ·

وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار الاسلام · فان خرجوا الى غير دار الهجرة ودار الاسلام فليس على المسلمين النفقة على عيالهم ،

وأيما عبد من عبيدهم أسلم أقيم فى أسواق المسلمين فبيع بأعلى ما يقدر عليهم فى غير الوكس ولا تعجيل ، ودفع ثمنه الى صاحبه ·

ولهم كل ما لبسوا من الزى الا زى الحرب من غير أن يتشبهوا بالمسلمين فى لباسهم ، وأى رجل منهم وجد عليه من زى الحرب سئل عن لبسه ذلك ، فان جاء منه بمخرج والا عوقب بقدر ما عليه من زى الحرب ·

وشرطت جباية ما صالحتهم عليه حتى يؤدوه الى بيت مال المسلمين عمالهم منهم ، فان طلبوا عونا من المسلمين أعينوا به ومئونة العون من بيت مال المسلمين »(٦) ·

---

(٦) كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى حنيفة ـ الطبعة السلفية ـ ص ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ·

فكانت جزية الحيرة أول جزية حملت من أرض المشرق وأول مال قدم به من المشرق على أبى بكر الصـــديق رضى الله تعالى عنه(٧) .

ومن تحليل الكتاب السابق يتبين أن التطبيق العملى للجزية فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه قام على الأســس التالية :

- دعوة أهل الكتاب للاسلام فان أسلموا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين وان أبوا فعليهم الجزية فان أبوا حل قتالهم - وهذا هو مافعله خالد بن الوليد رضى الله عنه مع أهل الحيرة ويستند ذلك الى آيتين من القرآن الكريم وهما :

« لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (البقرة / ٢٥٦)

« قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » (التوبة / ٢٩)

- اذا أبوا الاسلام وفضلوا البقاء على دينهم أعلنوا ذلك لقائد جيش الاسلام وأبدوا استعدادهم لاعطاء الجزية - وهذا هو ما أبداه ممثلو أهل الحيرة .

- يقوم قائد جيش الاسلام ومعاونوه بتحديد الخاضـــعين للجزية، وهم الرجال ، ولا تفرض على النساء والأطفال لأن الرجال هم الذين يقاتلون عادة والنساء والأطفال لا يقاتلون ، ويعفى من الجزية الذين لا يستطيعون القتال من الرجال بســـبب ما بهم من العاهات وهذا ما فعله خالد بن الوليد رضى الله ، فوجد أن عدد الرجال سبعة آلاف رجل ، ثم استبعد من كانت به زمانة أى عاهة وعددهم ألف رجل فكان الخاضعون للجزية ستة آلاف رجل .

---

(٧) المرجع السابق ص ١٥٤ .

ـ لم تحدد آية الجزية فئة محددة يخضع لها أهل الكتاب ، فترك ذلك لظروف كل حالة ودرجة يســار كل اقليم ، وقد حددها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحد كتبه لأهل الكتاب (بدينار واف أو قيمته من المعافر (ثياب اليمن) أو عرضـــه (عرضه) ثيابا(٨) » • وحددها الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمراعاة درجة يسار الخاضعين لها فجعلها تصاعدية على أساس •

٤٨ درهما على الموسر وهو صاحب الحرفة

٢٤ درهما على متوسط الحال وهو الأقل كسبا

١٢ درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكافى ومن شابههم(٩) •

وحددها خالد بن الوليد رضى الله عنه بعشر دراهم عن كل رجل وكانت الجزية المستحقة على أهل الحيرة كلهم ستين ألف درهم •• فجعلها ثابتة الفئة ولم تكن تصاعدية •

ـ تنقص حصيلة الجزية خلال سريان التصالح بمقدار ما ترفع عن الفئات التالية التى حددها خالد بن الوليد بسبب ماطرأ على حالتهم من تغير :

الشيوخ الذين ضعفوا عن العمل

الشيوخ الذين أصابتهم آفة من الآفات

---

(٨) أنظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم للحارث بن كلال وآخرين ورد بكتابنا السياسة المالية للرسول ص ١٤١ وكتابه صلى الله عليه وسلم لوفد بنى الحارث بن كعب ص ١٤٢ ، ١٤٣ من الكتاب .

(٩) أنظر كتابنا المالية العامة للدولة الاسلامية ـ اصـدار معهد الدراسات الاسلامية ـ طبعة رابعة ص ١٨٤ نقلا من كتاب الخراج لأبى يوسف ص ٦٩ ، ٧٠ •

الشيوخ الذين كانوا أغنياء فافتقروا وصار أهل دينهم يتصدقون عليهم ويعولهم بيت مال المسلمين ماداموا مقيمين بدار الاسلام فيتكفل بنفقات الاعالة

ـ عبيد أهل الكتاب الذين يعتنقون الاسلام يصيرون أحرارا ويعوض أهل الكتاب عنهم بأن يدفع ثمنهم لأصحابهم ·

ـ يقوم أهل الحيرة بجباية ما استحق عليهم وتوريده لبيت مال المسلمين واذا طلبوا عونا فى الجباية تعينهم الدولة الاسلامية ، ويتحمل بيت مال المسلمين نفقات المساعدة فى الجباية ·

ـ رتب الكتاب الذى كتبه خالد بن الوليد رضى الله عنه الحقوق التالية لأهل الكتاب :

لا تهدم لأهل الكتاب بيعة ولا كنيسة ولا يمنعون من ضرب النواقيس ولا من اخراج الصلبان فى يوم عيدهم ·

ويصيرون فى ذمة الدولة الاسلامية وعلى الدولة المنع لهم ·

ـ رتب الكتاب أيضا واجباتهم وهى :

لا يشتملوا على تغبة أى افساد أو اهلاك

ويضيفون من مر بهم من المسلمين مما يحل لهم من طعامهم وشرابهم ··

ولا يلبسون زى الحرب ··

المبادىء المستخلصة من النموذج السابق لشروط الصلح على الجزية :

وبذلك يكون التصالح الذى عقده خالد بن الوليد رضى الله عنه قام على المبادىء السامية التالية :

سماحة الاسلام :

ويتمثل ذلك فى عدم اكراه أهل الكتاب على اعتناق الاسلام وكفالة الحرية لهم فى أداء تعاليم دينهم ، وتمتعهم بحقوق المسلمين

من الحماية والأمان وغيرها من الخدمات العامة بسبب دخولهم فى ذمة المسلمين .

العـــدالة المــــالية :

ويتمثل ذلك فى قصر الجزية على الرجال ورفعها عن الشيوخ اذا ألمت بهم ما يقعدهم عن الكسب وتحمل بيت المال مصـــاريف الجباية اذا طلب أهل الكتاب معاونتهم فى الجباية .

المـــرونة المــــالية :

تحددت قيمة الجزية بفئة ثابتة على كل رجل ، ويورد اقليم الحيرة الحصيلة الكلية للدولة الاسلامية ، ويمكن لرؤساء الاقليم اعادة توزيع العبء على الرجال طبقا لدرجة يسارهم بحيث يوردون القيمة الاجمالية المستحقة لبيت مال المسلمين ، وبذلك اتسم الاتفاق بالمرونة المالية .

تحـــرير العبيد :

تضمن الاتفاق نظاما بمقتضـــاه يعتق عبيد أهل الكتاب اذا اعتنقوا الاسلام بعد تعويض أصــــحابهم ، وبذلك يتمتعون بكامل حقوقهم السياسية كسائر المسلمين .

ايصالات باداء الجزية(١٠) :

وكان عمال الجزية يكتبون البراءات لأهلها لاثبات قبضها ، وكانت من نسخة واحدة وهذا نصها :

---

(١٠) المرجع السابق ص ٣٦٩ .

« بسم الله الرحمن الرحيم

براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التى صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذى صالحهم عليه خالد . وخالد والمسلمون لكم يد على من بدل صلح خالد ما أقررتم بالجزية وكففتم . أمانكم أمان وصلحكم صلح ، نحن لكم على الوفاء » .

وكان يشهد على الكتاب نفر ممن أشهدهم خالد على الصلح .

اعلان رؤساء البلاد الأهالى بأداء الجزية(١١) :

وكان أهل البلاد يكتبون كتابا للأهالى بأدائهم الجزية المستحقة على النحو السابق ايضاحه .

الصديق يرفض هدايا وردت مع الجزية ويدخلها فى حسابها(١٢) :

لما عاهد نقباء أهل الحيرة خالد بن الوليد على دفع الجزية دفعوها وأهدوا له هدايا فبعث بالجزية والهدايا الى أبى بكر رضى الله عنه ، فقبلها أبو بكر ولكن من الجزية ، وكتب لخالد أن « أحسب لهم هديتهم من الجزية الا أن تكون من الجزية ، وخذ بقية ما عليهم نقو بها أصحابك » .

فمن هذا يبين أن الخليفة لم يقبل الهدية الا أن تكون من حساب الجزية فتصبح من حقوق بيت المال ، وأصدر بذلك تعليمات لخالد بن الوليد ليحسب لهم هديتهم من الجزية الا اذا كانت حسبت فعلا من المبالغ التى أرسلها اليه ، مما يظهر مدى تعفف الخليفة عن الأموال العامة ورفضه هدايا متعلقة بأعمال الدولة .

كما أن الخليفة وجه الباقى المستحق على أهل الكتاب من الجزية لتقوية جيوش المسلمين فهى نفقة عامة من الايرادات العامة للدولة .

---

(١١) المرجع السابق ص ٣٦٩ .

(١٢) المرجع السابق ص ٣٦٢ .

تنويه بعض رؤساء الحيرة من أهل الكتاب عن جزية المسلمين :

بعد أن صالح خالد بن الوليد أهل الحيرة عن الجزية وتركها لمواصلة الفتوحات الاسلامية أذاع رؤساء الحيرة من أهل الكتاب ، كتابا ينوهون فيه عن المسـلمين ويوضحون أن الجزية نظير منع المسلمين البغى عنهم .

فقد ورد بالكتاب :

« انا قد أدينا الجزية التى عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعونا وأميرهم البغى من المسلمين وغيرهم »(١٣) .

امهال الذميين لاداء الجزية فى عهد الصديق :

الجزية ضريبة على الرؤوس وجمعها يتطلب وقتا لتحصيلها ممن يقع عليهم عبؤها ، وفى جزية الحيرة تم جمعها فى خمسين يوما ، وكان خالد بن الوليد قد جعل رؤوس الدساتيق رهنا فى يده لضمان الوفاء والأداء(١٤) .

عمال الجزية فى عهد أبى بكر الصديق(١٥) :

فى عهد أبى بكر الصديق ، وبعد عقد الصلح بين أهل الكتاب على أداء الجزية ، كان القائد الذى يعقد الصلح مع أهل الكتاب متضمنا دفع الجزية ، يعين بالبلاد عمالا لقبض الجزية المتفق عليها ، وفيما يلى بعض عمال خالد بن الوليد الذين عينهم لقبض الجزية :

عبد الله بن وثيمة المنصرى : نزل بالفلاليج لقبض الجزية

---

(١٣) الطبرى — مرجع سابق — ص ٣٧١ .

(١٤) الطبرى — مرجع سابق — ص ٣٧٠ .

(١٥) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٣٧١ .

جرير بن عبد الله : عينه على بانقيا وبسما

بشير بن الخصاصية : عينه على النهرين

وسويد بن مقرن المزنى : عينه على نستر

وأط بن أبى أط : عينه على روزمستان

نماذج من قيمة جزية بعض البلاد فى عهد الصديق :

فيما يلى نماذج أخرى من الجزية التى تصالح عليها خالد بن الوليد أثناء فتوحاته فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه :

جـــزية أهل السيس :

ــ « ثم بعث (أى خالد بن الوليد) طليعة له الى أهل السيس وفيها حصن فيه رجال مسلحة لكسرى فحاصرهم وفتح الحصـــن وأخرج من فيه من الرجال وضرب أعناقهم وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح وهدم الحصن وأحرقه .

فلما رأى أهل السيس ذلك وما صنع خالد بأهل الحصن طلبوا منه الصلح على أداء الجزية فأعطاهم فأدوا اليه الجزية »(١٦) .

جزية أهل قرية أسفل الفرات :

ــ « ثم أن خالد مضى الى قرية أسفل الفرات يقال لها بانقيا وفيها رجال مسلحة لكسرى فى حصن فحاصرهم ، فافتتح الحصن وقتل من فيه من الرجال وسبى نساءهم وذراريهم وأخذ ما كان فيه من المتاع والسلاح وأحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى ذلك أهل القرية طلبوا الصلح منه على أداء الجزية ، فكان من ولى الصلح

---

(١٦) وردت بكتاب الخراج للقـاضى أبى يوسف ــ مرجـع سابق ــ ص ١٤٢ .

عنهم هانيء بن جابر الطائي فصـالحه عنهم على ثمـانين ألف درهم »(١٧) ·

جـزية أهل بانقيـا :

- « ثم سار (أى خالد بن الوليد) حتى نزل بانقيا على شط الفرات فقاتلوه ليلة الى الصباح وحاصرهم واشتد قتالهم فافتتحها بقوة الله تعالى وعونه ، وفيها أساورة كان كسرى صيرهم فيها ، فقتلهم وسبى ذراريهم ونساءهم وأحرق الحصن وهدمه ، فلما رأى أهل بانقيا ذلك طلبوا الصـلح منه فأعطاهم ، ثم بعث جرير بن عبد الله الى قرية بالسواد ، فلما اقتحم الفرات ليعبر الى أهل القرية ناداه دهقانها صلوبا : « لا تعبر أناأعبر اليك » ·

فعبر اليه فصالحه على مثل ما صالحه عليه أهل بانقيا وأعطاه الجزية »(١٨) ·

جـزية أهل ماروسـما :

- وصالحه أهل ماروسـما وما حولها من القرى على ما صالحه عليه أهل الحيرة(١٩) ·

الصـديق أخـذ الجـزية من المجوس :

كان المجوس قوما يعبدون النار ليسوا يهودا ولا نصـارى ولا أهل كتاب ، وقد قال على بن أبى طالب أن رسول الله وأبا بكر وعمر أخذوا منهم الجزية ·

واستند أبو بكر فى ذلك الى ماروى عن أبى عبيدة ، فقد قال :

كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى

(١٧ ، ١٨ ، ١٩) المرجع السابق ص ١٤٥ ·

« ان من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ذمة الله وذمة رسوله ، فمن أحب ذلك من المجوس فهو آمن، ومن أبى فعليه الجزية »(٢٠)

وقد كان المجوس أهل كتاب ثم عبدوا النار ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الجزية لأهل كتابهم وحرم مناكحتهم وذبائحهم لشركهم(٢١) ٠

الجزية فى عهد الصديق كانت أحيانا عينية :

كانت الجزية تؤدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم نقدا أو عينا ، وقد سار الصديق رضى الله عنه على سنة الرسول ، فلما أتى خالد بن الوليد دمشق ، تصدى له صاحب بصرى وجماعته ، فظفر بهم خالد بن الوليد وهزمهم فدخلوا حصنهم وطلبوا الصلح فصالحهم ودفعوا الجزية عن كل شخص دينارا وجريب حنطة كل عام(٢٢) ٠

اقرار الصديق شروط جزية أهل نجران مع الرسول :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى أهل نجران أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وقدموا له كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم بالصلح معهم ونصه كما يلى(٢٣) :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب محمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران ، اذ كان له حكمه عليهم :

---

(٢٠) الخراج لأبى يوسف – مرجع سابق – ص ١٣١ ٠

(٢١) المرجع السابق ص ١٣٠ ٠

(٢٢) الطبرى – جزء ٣ – مرجع سابق ص ٤١٨ ٠

(٢٣) كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بكتاب الأموال لأبى عبيد ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ٠

أن فى كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وثمرة ورقيق ، وأفضل عليهم[٢٤] وترك ذلك لهم : ألفى حلة وفى كل رجب ألف حلة كل حلة أوقية ، مازاد الخراج أو نقص فعلى الأواقى فليحسب ، وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب[٢٥] . وعلى أهل نجران مثوى رسلى[٢٦] عشرين ليلة فما دونها : وعليهم عادية ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا اذا كان كيدا باليمن ذو معذرة[٢٧] وما هلك مما أعاروا رسلى فهو ضامن على رسلى حتى يؤدوه اليهم ولنجران وحاشيتها[٢٨] ذمة الله وذمة رسوله ، على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفهم وشاهدهم وغائبهم ، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير ، وعلى ألا يغيروا أسقفا من سقيفاه ، ولا واقها من وقيهاه[٢٩] ولا راهبا من رهبانيته. وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا[٣٠] ولا يطأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران ، على أن لا يأكلوا الربا[٣١]، فمن أكل الربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنوف عليهم

---

(٢٤) أفضل عليهم يعنى تفضل ومن عليهم بترك اموالهم بعد ان صار له الحكم عليهم .

(٢٥) يعنى اذا قضوا ما عليهم من خراج هذه الاشياء المذكورة تؤخذ منهم بحالها .

(٢٦) اى ضيافتهم وقراهم .

(٢٧) يعنى اذا حصل غدر من أهل اليمن واحتاج المسلمون أن يستصيروا منهم هذه الأشياء للحرب فعليهم أن يعيروهم اياها ترد اليهم بعد الحرب ، واذا تلف منها شيء ضمنه المسلمون .

(٢٨) وحاشيتها : يعنى ما يتبعها من القرى والدساكر .

(٢٩) قال ابن الأثير فى لنهاية (هكذا يروى بالقاف وانما هو بالفاء ولا وافة عن وفيته) والوافة هو القيم على البيت الذى فيه صليب النصارى .

(٣٠) يحشروا يعنى يجلوا من أرضهم ويعشروا يعنى يؤخذ منهم العشور .

(٣١) حرم عليهم أكل الربا بالذات دون سائر المعاصى حتى لا يقع من يتعامل معهم من المسلمين فى أكل الربا .

شهد بذلك عثمان بن عفان ومعقب

تحليل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جزية أهل نجران :

ومن تحليل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح أن على أهل نجران واجبات ولهم حقوق وذلك على النحو التالى :

واجبـــات أهـــل نجـــران :

- يؤدون كجزية ألفى حلة وفى كل رجب ألف حلة

- تقوم كل حلة بأوقية

- تكون الأوقية أساس حساب الخراج

- يجوز أداء الجزية ركاب أو خيل أو دروع

- على أهل نجران ضيافة رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم لمدة عشرين ليلة

- فى حالة غدر أهل اليمن ، وبناء على طلب المسلمين ، يعير أهل نجران المسلمين ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين درعا واذا تلف منها شىء ضمنه المسلمون ·

- لا يتعامل أهل نجران بالربا

حقوق أهل نجران :

- من رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بترك أموالهم لهم ولم يصادرها مع أنه له الحكم عليهم ·

- لأهل نجران ولأهل ما يتبعها من القرى الدساكر ذمة الله وذمة رسوله ·

- يأمن أهل نجران وما يتبعهم من القرى والعساكر على أموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم ، ويسرى ذلك على الحاضر منهم والغائب .

- لا يغير المسلمون رجال الدين لأهل نجران

- يبقى أهل نجران فى أرضهم ولا يجلون عنها .

- لاتؤخذ منهم عشور

- لا يطأ أرضهم جيش

- انصاف المطالبين بأى حق لهم يكون بنجران .

أقر أبو بكر الصديق كتاب رسول الله لهم وكتب لهم كتابا نحوا من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣٢) فضمن لهم حقوقهم اذا أوفوا بالتزاماتهم تنفيذا لعهد رسول الله صلى عليه وسلم واستجابة لقول الله جل وعلا .

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » ...) (المائدة من ١)

وقد ظل أهل نجران بالجزيرة العربية طيلة عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما كان عهد عمر بن الخطاب أجلاهم عن نجران لأنهم تعاملوا بالربا فخالفوا بذلك عهدهم ، فأتوا العراق واتخذوا النجرانية وهى قرية بالكوفة مقرا لهم وأوصى عمر رضى الله عنه الأمراء بأن يقطعوهم الأرض لا زرع فيها ولا شجر وليست فى يد أحدليعملوا فيها ، ويرى البعض أن اجلاء عمر لهم انما كان تنفيذا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بأن لا يبقى بأرض العرب دينان وأن يخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب(٣٣) .

(٣٢ ، ٣٣) الأموال لأبى عبيد - مرجع سابق - ص ٢٤٥ .

تثبيت الجـــزية فى عهد الخليفة الأول :

مما سبق يتضح أن أبا بكر الصديق ثبت أمر الجزية كما ثبت أمر الزكاة ، وان كانت الزكاة تبرز علاقة المسلمين ببيت المال ، فان الجزية تجسد علاقة أهل الكتاب ببيت مال المسلمين ، والعلاقة الثانية تختلف عن العـــلاقة الأولى ، فبينما علاقة الزكاة تنشأ طيعة من المسلمين لأن اعتناقهم الاسلام يربطهم بالله وبدولة الاسلام ، فان علاقة الجزية تنشأ بين أهل الكتاب من النصارى واليهود وهم على دين غير دين الدولة ، وكانت أعناقهم قد اشرأبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليروا ماذا سيتم فى أمر الاسلام والمسلمين ودولتهم بعد أن أتت القبائل المسلمة الا من عصم الله الى أبى بكر الصديق رضى الله تطلب اعفاءها من أداء زكاة الأموال ، فلما بلغهم تصميم أبى بكر وانتصاره على المرتدين ، واعلانه الجهاد وارسال الجيوش لنشر راية الاسلام عرفوا أن الاسلام مستمر ، وأن الله نزل الذكر ، وأنه جل وعلا حافظا له ، فعادت أعناقهم الى الاعتدال بعد أن اشرأبت وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون ·

رد الجزية لأهل حمص فى عهد أبى بكر :

أوضحنا أن أداء أهل الكتاب الجزية يجعلهم فى ذمة المسلمين يأمنون على إنفسهم وأموالهم ، فاذا تعذر تحقيق هذا الأمان ترد الجزية لدافعيها ، وهذا هو ما فعله أبو عبيدة مع أهل حمص ، عندما شغل المسلمون عن نصرة أهل حمص بسبب حشد المسلمين لقابلة جيش هرقل فى معركة فاصلة ، فرد أبو عبيدة لهم ما كان قد أخذه منهم من الجزية ·

فقال المسلمون لأهل حمص : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم ، فأنتم على أمركم · . . . .

فقال أهل حمص : لولايتكم أحب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم ·

وقال اليهود : والتوارة ، لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا أن نغلب عليها ونجهد فأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم وحرسوها (٣٤) ·

(٣٤) الصديق أول الخلفاء ـ مرجع سابق ـ الفصل الخامس ·

سنة الرسول توجه خراج الأرض في عهد الصديق

أنواع الأرضين التى تركها رسول الله :

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه كانت أوضاع الأرض العامة والتى آلت للدولة من الفتوحات الاسلامية كما يلى :

ـ أرض بنى النضير وكانت مما افاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ومما لم يوجف المســلمون عليه بخيل ولا ركاب ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، فكان ينفق منها على أهله نفقة سنة ، وما بقى جعله فى الكراع والسلاح عدة فى سبيل الله ·

ـ أرض بنى قريظة وقد آلت للدولة الاســلامية بعد بعض القتال ، فآل للدولة الاسلامية خمسها طبقا لآية الخمس لله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن الســبيل والأربعة أخماس الباقية وزعت على المقاتلين ·

ـ كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك أرض خيبر بعد أن افتتحها والمجاهدون عنوة وقسمها على أساس الخمس للمسمين

فى آية الخمس والأربعة أخماس الباقية للفاتحين ، ثم دفع الرسول صلى الله عليه وسلم الأرض لأهل خيبر ليعملوها ويكون ثمرها بين المسلمين وبين أهل خيبر بالنصف وتجليهم الدولة الاسلامية فى الوقت التى تريد .

– كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح مكة ثم لم يقسمها ولم يجعلها فيئا وقال « ان مكة حرام حرمها الله لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها »

نصيب الرســـول فى الأرض العامة :

وعلى ذلك يكون للرسول صلى الله عليه وسلم الأنصبة التالية فى الأرض العامة :

أرض بنى النضير كلها ولكنه صلى الله عليه وسلم اكتفى منها بما ينفق منها على أهله نفقة سنة وما بقى أنفقه على الجهاد فى سبيل الله .

سهم الخمس المقرر له طبقا لآية الخمس فى أرض بنى قريظة .

سهم الخمس المقرر له طبقا لآية الخمس فى أرض خيبر .

وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان زاهدا وكثيرا ما بات وأهل بيته طاوين من الجوع ، وقد أشارت لذلك أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت أن الأيام كانت تمر ولا يوقد فى بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار لطهى الطعام ، وشكت أمهات المؤمنين رضى الله عنهن من أنهن لا يجـــدن ما يكفيهن من النفقة والزينة .

عدم توريث أرض الرسول وأيلولتها لبيت المال :

ولو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم رئيس دولة فقط ولم يكن نبيا لآل لورثته ما آل اليه من تلك الأراضى ولآل لرئيس الدولة بعده وهو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ما كان مخصصا للرسول

صلى الله عليه وسلم للانتفاع بريعه ، ولكن أبا بكر الخليفة الأول للرسول صلى الله عليه وسلم لم يورث ما تركه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أرسلت فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله اليه تطلب ارثها من أبيها ، فرد عليها أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « نحن الانبياء لا نورث ، فما تركناه صدقة » فما كان جوابها الا أن قالت « أنت وماسمعت من رسول الله » أى التزمه(١) ٠

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه على رأى أبى بكر فيما تركه النبى ٠

واختلف الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كيفية تطبيق ما ورد بآية الخمس من تخصيص سهم للرسول وسهم لذى القربى ، فقال قوم سهم الرسول للخليفة من بعده ، وقال اخرون سهم ذوى القربى لقرابة الرسول عليه السـلام ٠ وقالت طائفة : سهم ذوى القربى لقرابة الخليفة من بعده ، فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين فى الكراع والسـلاح(٢) وهذا ما فعله أبو بكر الصديق رضى الله عنه(٣) ٠

اذا فقد آلت الأراضى العامة كلها التى كانت للرسول صلى الله عليه وسلم لبيت مال المسلمين لينفق من خراجها على شئون الدولة بصفة عامة وعلى هدى ما كان يعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تخصيص نصيب الرسول وذى القربى للانفاق على الخيل الغازية فى سبيل الله وما يلزم المجاهدين من سلاح ٠

---

(١) يذكر الطبرى أن السيدة فاطمة رضى الله عنها ماتت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر فيكون مطالبتها بميراثها من والدها فى اوائل عهد الصديق ـ الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٢٤٠ ٠

(٢) الخراج لأبى يوسف ص ٢١ ٠

(٣) وردت بنفس الآراء المختلفة بخصوص سهم الرسول وذى القربى بكتاب ـ الأموال لأبى عبيد مرجع سابق ص ٤١٦ ٠

زكاة أرض المسلمين وخراج أرض الكتابيين آل لبيت المال :

وليس الخـــراج وحده هو ما كان يؤول لبيت المال فى عهد الصديق رضى الله عنه . بلكان يؤول لبيت المال زكاة الزروع والثمار التى كان يتملكها المسلمون تنفيذا لقول سبحانه وتعالى (وءاتوا حقه يوم حصاده) (الأنعام من ١٤١) واستنادا لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوضحت نصاب زكاة الزروع وما يخضع منها للزكاة وفئاتها وطريقة تحديدها ، ومن المعلوم أن الزكاة التى تؤول لبيت مال المسلمين تختلف عن الخراج فى وجوه انفاقها فالأولى مخصصة للانفاق منها على وجوه الانفاق الثمانية التى وردت فى القرآن الكريم ، بينما أن الخراج ينفق منه على وجوه الانفاق العامة للدولة الاسلامية .

ماذا تم فى أرض الفتوح فى عهد أبى بكر :

ذكرنا أنه قد تحققت انتصارات فى الفتوحات الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وان الغنائم كانت تقسم بين المسلمين بعد أيلولة الخمس لبيت مال المسلمين مما يدعو الى التساؤل وماذا تم فى تقسيم أراضى تلك البـــلاد المفتوحة ؟ ان الفتح العام لهذه الأراضى لم يتم نهائيا فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانما تم فى عهد عمر بن الخطاب بسبب انتكاسات لفتوح العراق انتصر بعدها المسلمون كما استكملت باقى فتوح العراق فى عهد عمر ، مما جعل مسألة توزيع أراضى الغنائم تثار فى عهد عمر بن الخطاب وليس فى عهد الصـــديق رضى الله عنهما ، فقد تقدم الفاتحون لعمر بن الخطاب طالبين تقسيم أراضى السواد فى كل من العراق والشام عليهم، ولكن عمر رضى الله عنه كان من رأيه أن تؤول ملكية أراضى الفتوح للدولة ولا تقسم ويبقى عليها أهلها من أهل الكتاب يزرعونها ويؤدون عنها الخراج للدولة ، فلما استشار كبار الصـــحابة من المهاجرين أيده بعضهم وعارضه آخرون ، فاجتهد واستند الى الآيات من السادسة حتى العاشرة فى سورة الحشر بأن الفىء من الأرضين لأهل القرى والمهاجرين والأنصار ولمن يأتى من بعدهم ، وعرض

الأمر على كبار الأنصار فأيدوه فى رأيه ورضى بذلك الفاتحون ازاء تفسير عمر وتأييد كبار مجتهدى الأمة .

ولو تمت الفتوحات نهائيا فى عهد أبى بكر الصديق واستشار الصحابة كما استشار عمر لانتهى رأيهم الى ما انتهوا اليه فى عهد عمر ولأخذ به الصديق ايثارا لمصلحة الأمة ومصلحة أجيال المسلمين المقبلة وحتى لا تنشأ فى الدولة الاسلامية وقتئذ طائفة لكبار ملاك الأراضى تشغلهم عن الجهاد فى سبيل الله وتؤول الى ورثتهم من بعدهم دون باقى المسلمين .

انواع الأرض العامة فى عهد ابى بكر :

وعلى ذلك كانت أنواع الأرض طبقـا لعـلاقاتها ببيت مال المسلمين فى عهد الصديق كالآتى :

ـ أرض ملك للدولة وتديرها كأرض بنى النضير وهذه يؤول كل ريعها لبيت مال المسلمين .

ـ أرض يملكها المسلمون فهى أرض عشـرية تؤدى زكاة الأموال لبيت المال عن محصولاتها اذا بلغت نصابا .

ـ أرض خراجية وتحت يد أهل الكتاب ليزروعوها كأرض خيبر ، فهذه أرض خراجية تؤدى الخراج طبقا للشروط التى تم الاتفاق معهم عليها أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أقر أبو بكر الصديق لما تولى الخلافة ما اتفق عليه الرسول مع أهل خيبر ..

ـ أرض حرام وهى أرض مكة لا يحل بيع رباعها ولا أجور بيوتها ، والذى يقوم على مراعاة حرمتها هى الدولة تنفيذا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

الفـرق بين الخـراج والجـزية :

على أنه يجب التفرقة بين الخراج والجزية فلكل منهما خصائص تختلف عن الأخرى ، وان كان يدفع كل منهما الذمى من أهل الكتاب

وكل منهما ضريبة تؤدى لبيت المال ويقوم بتحصيلها ممثلون عن الدولة الاسلامية ، وتتمثل الفروق بينهما فيما يلى :

ـ الجزية ضريبة على الرؤوس والخراج ضريبة على ناتج الأرض ٠

ـ تحدد فئات الجزية طبقا لدرجة يسار الذمى من أهل الكتاب فيمكن زيادتها على الغنى والتدرج بها هبوطا فى السعر كلما هبط دخل الخاضع لها بينما تحدد فئات الخراج على الأرض طبقـا لخصوبتها ونوع الرى اذا كان ميسرا أم له تكلفة عالية ، وطبقا لنوع المحصول الذى تنتجه الأرض وما اذا كان سعره مرتفعا أم منخفضا ٠

ـ تحصل الجزية فى الغالب مرة واحدة كل سنة بينما يرتبط تحصيل الخراج بعدد المحاصيل التى تزرع سنويا ومواعيد ظهورها ٠

ـ كان الرسول يأخذ الجزية عينا أو نقدا وكان يغلب أن يؤدى الخراج عينا من نوع المحصول ٠

شاعر يخلط بين الجزية والخراج فى عهد أبى بكر :

فى أحد حروب الردة وبعد أن اتفق المرتدون على ايثار السلام ودفع الجزية قال ابن بقيلة فى ذلك شعرا يقارن بين ما تم الاتفاق عليه كجزية وبين ما كان قومه يدفعونه كخراج لكسرى وقد عبر عن الجزية بالخراج وهو خطأ فقد أوضحنا الفرق بين الجزية والخراج، فقال الشاعر :

نؤدى الخـــرج بعد خراج كســـرى
وخـــرج من قـــريظة والنضـــير

كذاك الدهـــر دولتـــه ســـجال
فيوم من مســـاءة أو ســـرور(٤)

---

(٤) الطبرى ـ مرجع سابق ـ ص ٣٦٢ ٠

عـــدول أبى بكر عن التنازل عن خراج البحرين :

جاء الزبرقان والأقرع وهما من رؤساء القبائل الى أبى بكر وقالا : اجعل لنا خراج البحرين ونضـــمن لك الا يرجع من قومنا أحد (أى الردة) .

ففعل أبو بكر وكتب كتابا بذلك وأشهدوا شهودا منها عمر بن الخطاب وكان الذى يتوسط بين أبى بكر وبينهما طلحة بن عبيد الله

فلما عرض الكتاب على عمر بن الخطاب رفض أن يشهد على الكتاب

وقال : لا والله ولا كرامة

ثم مزق الكتاب ومحاه

فغضب طلحة واتى أبا بكر

فقال : أأنت الأمير أم عمر ؟

فقال : عمر ، غير أن الطاعة لى

فسكت طلحة(٥)

ولربما كانت فلسفة أبى بكر ، أنه لا يمنع فى سبيل رفعة الاسلام واعلاء أمر الدين ومنع الردة من تأليف القلوب بالمال ولا ضير فى ذلك ، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف من لم يخلص اسلامه من رؤساء العرب وقال عليه الصلاة والسلام :

« والله انى لأعطى الرجل وأدع الرجل والذى أدع أحب الى من الذى أعطى ، ولكنى أعطى أقواما لما أرى فى قلوبهم من الجزع والهلع وآكل (أترك) أقواما الى ما جعل الله فى قلوبهم من الغنى والخير » .

---

(٥) المرجع السابق ص ٢٧٥ .

ولربما كانت فلسفة عمر بن الخطاب ، أن الردة لا تعالج الا بالحسم ، ولو فتح الباب للقبائل لتأخذ ثمن عدم ارتدادها من أموال الخراج لفشى ذلك بين القبائل الأخرى ولتقلص سلطان الدولة المالى ولتشتت خراجها ، وقام الدين فى نفوس البعض على أساس المنفعة ٠

والفلسفة الأولى نبعت مما اتصـــف به الصـــديق من لين والفلسفة الثانية نبعت مما اتصف به عمر بن الخطاب من شدة ٠

ولا ضير من أن يرجع الصديق عن رأيه ويأخذ برأى عمر ، فتبادل الآراء والأخذ بأصلح الآراء هو النتيجة الحتمية للمشورة التى أمر بها الله جل وعلا رسوله الكريم ، فقال جل وعلا :

« وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله » (آل عمران من ١٥٩)

اقطاع الأرض للأفراد فى عهد أبى بكر :

للأرض العامة جانب آخر يتصل بالمالية العامة وهو اقطاع الأرض للافراد بدون ثمن ليصلحوها ويعمروها واذا لم يعمروها تعود للدولة ، وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقطع بعض الأراضى العامة لبعض المسلمين(٦)

العدول عن اقطاع أرض لطلحة بن عبيد الله :

فلما خلفه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، أقطع أرضا لطلحة ابن عبيد الله رضى الله عنه وكتب له بها كتابا وأشهد له ناسا فيهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأتى طلحة عمر بالكتاب

---

(٦) لمزيد من التفاصيل ــ انظر كتابنا السياسة المالية للرسول ــ ص ١٥٨ وما بعدها .

فقال : اختم على هذا

فقال عمر : لا أختم ، أهذا كله لك دون الناس ؟

فرجع طلحة مغضبا الى أبى بكر

فقال : والله ما أدرى ، أنت الخليفة أم عمر ؟

فقال أبو بكر : بل عمر ولكنه أبى(٧)

ومن هذا يبين فلسفة أبى بكر فى اقطاع الأرض وفلسفة عمر ابن الخطاب ، فبينما أبو بكر يرى اقطاع الأرض للاصلاح ، ويرى عمر تقييد الاقطاع بحيث لا تعطى مساحة كبيرة لفرد فى الامة دون سائر الناس ، ولعل ذلك ماحدا بعمر ألا يقسم أرض الفتوح على المقاتلين ، ولا يخصصها بهم دون باقى أفراد الشعب حاليا ومستقبلا ، وآثر أن تؤول للدولة ليكون عائدها للجميع ، وقد سبق أن نوهنا عن ذلك ٠

مناقشة مبدأ اقطاع الأرض فى عهد الصديق :

جاء رجلان الى أبى بكر من الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتألف قلوبهم :

فقالا له : يا خليفة رسول الله ، عندنا أرض سبخة ، ليس فيها كلأ ولا ينتفع بها ، فان رأيت أن تقطعناها ، لعلنا نحرثها أو نزرعها ، ولعل الله أن ينفع بها بعد اليوم ٠

فقال ابو بكرلمن حوله : ما رأيكم فيما قالا ؟

قالوا : ان كانت أرضا سبخة لا منفعة بها ، فنرى أن تقطعها هدين ، لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم ٠

فأقطعهما الصديق اياها ، وكتب لهما بذلك كتاب واشهد عمر وهو ليس فى القوم ٠

---

(٧) الاموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ٠

فانطلق الرجلان الى عمر بن الخطاب ليشهداه ، فوجداه يهنا بعيرا له (هنا البعير طلاه بالقطران)

فقالا له : ان أبا بكر أشهدك على ما فى هذا الكتاب • فهل لنا أن نقرأه عليك ، أو تقرأ ؟

قال : أنا على الحال التى تريانى ، فان شئتما فاقرءا ، وان شئتما فانتظرا حتى أفرغ فأقرأ •

قال : بل نقرأ

فقرآه

فلما سمع عمر ما فى الكتاب تناوله من أيديهما ، ثم تفل عليه فمحاه ، فتذمرا

وقالا له مقالة سيئة

فقال لهما : ان رسول الله كان يتألفكما والاسلام يومئذ قليل ذليل ، وان الله عزوجل قد أعز الاسلام ، اذهبا فأعملا ، واجهدا جهدكما ، لا رعى الله جهدكما ان رغبتما (أى عن العمل)

فأقبلا الى أبى بكر وهما يتذمران

فقالا يستفزانه : والله ما ندرى من الخليفة أنت أم عمر ؟

قال الصديق • بل هو لو كان شاء •

فجاء عمر وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر •

فقال : يا خليفة رسول الله ، أخبرنى عن هذه الأرض التى أقطعتها هذين أرض لك خاصة أم بين المسلمين عامة ؟!

قال الصديق : بل هى للمسلمين عامة •

قال عمر : فما حملك أن تخص بها هذين دون جماعة المسلمين ؟

قال الصديق : استشرت هؤلاء الذين حولى فأشـاروا على بذلك ٠

قال عمر : فاذا استشرت هؤلاء الذين حولك ، أفكل المسلمين وسعتهم شورة ورضا ؟

قال أبو بكر : قد قلت لك أنك أقوى على هذا الأمر منى ، ولكنك غلبتنى ٠

وأقر الصديق عمر على اجتهاده(٨) ٠

ومن تحليل هذه الواقعة يمكن استخلاص ما يلى :

ــ كانت موافقة الصديق على اقطاع الارض للرجلين لتزرع ــ وهى أرض سـبخة ــ فينتفعا بها ، وينتفع بنتاجها ، مما يؤدى الى زيادة الانتاج العام وهو من الأهـداف التى تدخل فى اختصاص الحكومات وولى الأمر ٠

ــ أن الصديق طبق مبدأ المشورة قبل أن يتخذ القرار

ــ أنه قصد بقراره أن يتألف القلوب كما كان يفعل رسـول الله صلى الله عليه وسلم ٠

واعتراض عمر تأسس على ما يلى :

ــ أن الأرض ارض عامة فهى ملك الأمة جمعاء ٠

ــ لا يكفى للتنازل عنها استشارة البعض دون البعض الآخر ٠

ــ أنه لا محل لتأليف القلوب بعد أن أعز الله الاسلام ، (وقد اوقف عمر بعد توليه الخلافة الانفاق على المؤلفة قلوبهم من الزكاة لأنه رأى أن الاسلام والدولة قويا وأصبحا فى غير حاجة للتأليف) ٠

---

(٨) الصديق أول الخلفاء الراشـدين ــ عبد الرحمن الشرقـاوى ــ الفصل السـابع ٠

– نصح عمر الرجلين ان يعملا بدلا من أن يعتمدا على أرض الدولة وكان يرى أن لا حق لهما فيها ٠

وقد أقر الخليفة فى النهاية رأى عمر ، ولعله حينما أشهد على كتابه للرجلين ، كان ينتظر رأيه ، فلما أبداه تقبله ، لانه لا يريد الا الصالح العام ٠

وفاء أبى بكر لوعد الرسول باقطاع أرض :

فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم اليه تميم الدارى بعد ان أسلم

فقال : يارسول الله ان لى جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال له جيرون وأخرى يقال لهاعينون ، فان فتح الله عليك الشام فهبهما لى ٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما لك ٠

قال : فاكتب لى بذلك كتابا ٠

فكتب له الكتاب التالى :

« **بسم الله الرحمن الرحيم**

هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الدارى أن له قرية جيرون وبيت عينون قريتهما كلهما وسهلهما وجبلهما وماؤهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما ولعقبه من بعده لا يحاقه فيهما أحد ولا يلجهما عليهم أحد بظلم ، فمن ظلم واحدا منهم شيئا فان عليه لعنة الله » ٠

فلما ولى أبو بكر كتب للداريين الكتاب التالى :

« بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من أبى بكر امين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أستخلف فى الأرض بعده ، كتبه للداريين أن لا يفسد عليهم سبدهم[9] ولبدهم[10] من قرية جيرون وعينون فمن كان يسمع ويطيع فلا يفسد منهما شيئا وليقم عمودى الناس عليهما وليمنعهما من المفسدين[11] .

فلما استخلف عمر ـ وظهر على الشام جاءه تميم الدارى فانجز كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بكتاب أبى بكر رضى الله عنه[12] .

حمى الأرض فى عصر أبى بكر :

ينبت الكلأ ببعض اراضى الدولة التى ليست ملكا لأحد الناس، ويظهر هذا الكلأ بدون جهد للناس من بذر أو رى أو حرث أو غير ذلك ، فيكون الكلأ الذى نبت فيها مباحا لأنعام الناس ، وذلك طبقا لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بأن الناس شركاء فى الماء والكلأ والنار ، فلا يجوز ان تحمى هذه الأرض بأن تمنع عن الناس ليرعوا فيها انعامهم ، الا اذا كان المنع لله ولرسوله ، وكان ذلك فى أيام الرسول صلى الله عليه وسلم للخيل الغازية فى سبيل الله .

وقد حمى أبو بكر الصديق رضى الله عنه بلدة الأبرق بعد أن انتصر فى قتال أهلها المرتدين فمنعوا من دخولها ، فاتوا أبا بكر فى المدينة .

---

(9) السبد : القليل من الشعر .

(10) اللبد : الكثير من الشعر .

(11) كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف ـ مرجع سابق ـ ص ٢١٦ .

(12) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ص ٣٤٩ .

فقالوا : علام نمنع من نزول بلادنا ؟

فقال : كذبتم ليست لكم ببلاد ولكنها موهبى ونقذى[13] .

وحمى الأبرق لخيول المسلمين ، ثم حماها وسائر البلاد الربذة لصدقات المسلمين ، لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات فمنع بذلك بعضهم من بعض[14] .

---

(١٣) النقذ : ما استنقذه من العدو

(١٤) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق .

مناقشة الايرادات العامة للدولة فى عهد الصديق فى ضوء الفن المـــالى الحديث

أنواع الايرادات العامة الحديثة :

لم تتضمن الايرادات العامة فى عهد الصـــديق أنواعا من الايرادات العامة تظهر فى الموازنات العامة الحديثة ، ولمناقشـــة أسباب ذلك نوضح أهم أنواع الايرادات العامة الحديثة ومالم يكن موجودا منها أيام الصديق وأسبابه ثم نوضح طبيعة الايرادات فى عهد الصديق فى ضوء الفن المالى الحديث ٠

أنواع الايرادات العامة الحديثة

الضـــريبة :

وهى فريضة نقدية تفرضها الدولة جبرا على الأفراد كل على قدر طاقته ، بمالها من حقوق السيادة ويدفعونها دون مقابل بقصد تغطية النفقات العامة ٠

وتتبع الدولة نظما مختلفة فى فرض ضرائبها ، فقد تفرض ضريبة موحدة أو تفرض ضرائب متعددة للحصول على الايرادات

العامة اللازمة لها ، وقد تتنوع الضرائب فتكون على الأشخاص أو على الأموال ، وقد تكون ضرائب الدولة مباشرة وغير مباشرة ، وقد تكون ضرائب الدولة شخصية ترعى شخصية الممول فى قواعد ربطها وضرائب ذات صـــبغة عينية لا تراعى شـــخصية الممول كالضرائب الجمركية ، وقد تكون ضرائب للدولة ذات سعر تناسبى ثابت مهما زاد الايراد أو تكون ذات سعر تصاعدى يتزايد كلما زاد الايراد الخاضع للضريبة وقد تشمل النوعين معا ٠

الرســـــم :

وهو مبلغ نقدى تحصله الحكومة من بعض الأفراد جبرا مقابل مزايا تمنحها لهم أو خدمات من نوع خاص تؤديها لهم ٠

وبذلك يختلف الرسم عن الضريبة فالرسم يدفعه الممول نظير مقابل يعود عليه أما الضريبة فتفرض ويدفعها الممول دون مقابل مباشر يعود عليه ٠

وقد تعددت الرسوم فى الدول حديثا بتعدد الخدمات العامة التى تؤديها الدولة للأفراد كرسوم التعليم والصحة والعدالة ٠

الثمن العـــــام :

يدفع الأفراد للحكومة مبلغا نقديا مقابل المشتريات العامة التى تقدمها لهم بدون الزام من الحكومة وبذلك تختلف الأثمان العامة عن الرسوم ، كما هو الحال عندما تقوم الحكومة بادارة المرافق العامة كالمياه والكهرباء وينتفع بها الأفـــراد طواعية نظير دفع الثمن ٠

ايرادات الممتلكات العامة :

للدول ممتلكات كالأراضى والمساكن وغيرها وتستغلها فتساهم مواردها فى التمويل العام لتلك الدول ٠

الأتـــاوة :

هى عبارة عن مبلغ من المال تفرضه الدولة جبرا نظير تنازلها عن حق من حقوقها للغير لمدة محدودة كحق استغلال محجر أو منجم ٠

فوائض وحـــدات القطـــاع العـــام :

نتيجة لتدخل الدولة فى النشاط الاقتصادى تقوم بانشاء شركات عامة بقصد مزاولة الأنشطة التجارية والصناعية والزراعية والفنادق وغيرها ، وتكون رؤوس أموال هذه الشركات اما مملوكة للحكومات ملكية كاملة أو لها نصيب فى ملكيتها ، وفى نهاية السنة يؤول فائض هذه الوحدات كله أو نصيب منه للدولة بمقدار ما تملكه فى الشركة ويعتبر ما تحصـل عليه الدولة من فوائض هذه الشـركات من الايرادات العامة لها[1] ٠

ايرادات عامة حديثة لم تكن موجودة فى عهد الصديق :

ولميكن موجودا فى عهد الصديق رضى الله عنه الأنواع التالية من الايرادات العامة :

الرســـم :

لما كان الرسم يؤديه الأفراد حاليا للدولة نظير خدمة عامة يحصلون عليها ، ولما كانت قديما تؤدى الدولة الخدمات العامة للأفراد دون مقابل لأنها كانت قليلة الأنواع ولأنها لم تكن باهظة التكاليف فلم تحصل منهم على مقابل لها خصوصا وأن الخدمات العامة كانت قاصرة على الخدمات التقليدية ، ففى الدولة الاسلامية

---

(١) للتفصيل يرجع لكتابنا الموازنة العامة ص ٢٤٧ وما بعدها ـ طبعة ثالثة الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

الأولى كانت الخدمات العامة هى أداء الشعائر وتعليم الدين والجهاد فى سبيل الله والخدمات الاجتماعية وهى بطبيعتها دون مقابل لأنها مفروضة على الأغنياء والقادرين للفقراء والمساكين وأمثالهم ·

الثمن العـــام :

لم تكن الحكومة تاجرة فى القرون الوسطى ولم تكن للدولة الاسلامية فى خلافة ابى بكر الصديق مرافق عامة حتى تبيع ناتجها للأفراد وتحصل منهم على ثمن عام منهم ·

الاتـــــــاوة :

لم يثبت فى عهد أبى بكر الصديق أنه قد تقدم للدولة شخص لاستغلال مناجم أو محاجر أو غيرها مما تملكه الدولة الاسلامية وان كان هذا النوع من الايراد أصبح من أهم الموارد العامة فى الجزيرة العربية بسبب ما تم من اكتشافات لحقول البترول حديثا · وقد ثبت أنه فى عهد الصديق اكتشف منجم للذهب قرب المدينة(٢) ·

فوائض وحـــدات القطـــاع العـــام :

لم تكن الفلسفة الاقتصادية بشأن تدخل الدول لاحداث التوازن الاقتصادى والقيام بالمشروعات العامة قد عرفت بعد فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه وانما طبقت فى الثلاثينيات وعلى ذلك لم تشمل الايرادات العامة فائض لقطاع الأعمال فى عهد الصديق ·

---

(٢) فى كتاب الصديق ابو بكر ــ محمد حسين هيكل ــ الطبعة السابعة ــ طبعة دار المعارف ــ يذكر المؤلف ص ٣٠٨ ، « أن الصـديق سوى فى قسـمة **الذهب الذى كان يجىء من المنجم الذى فتح على مقربة من المدينـة فى عهده** بين المسلمين » وعلى ذلك فان المنجم كان يدار بمعرفة الدولة ·

ايرادات الممتلكات العامة :

كان للدولة الاسلامية فى عهد أبى بكر الصديق أراضى عامة على النحو الذى أوضحناه ولكنها لم تكن بالكثرة التى تحققت فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينمـــا آلت أراضى الدولة المفتوحة للدولة الاسلامية ولم تقسم كباقى الغنائم على الفاتحين ٠

طبيعة الايرادات العامة فى عهد الصديق فى ضـــوء الفقه الحديث للمالية العامة :

يثور بعد ذلك السؤال عن طبيعة الايرادات العامة فى عهد أبى بكر الصديق رضى عنه هل هى كلها ضرائب كالضرائب الحديثة أم أن بعضها ضرائب والبعض الآخر له طبيعة خاصة تتواءم مع طبيعة الدين الاسلامى ومنهجه ؟ ونوضح فيما يلى طبيعة كل ايراد من الايرادات العامة الدولة الاسلامية فى عهد الصديق رضى الله عنه :

الزكاة فريضة اسلامية ذات طابع مالى :

الزكاة ليست من انواع الضرائب بل لها طبيعة خاصة فرضها الله سبحانه وتعالى والضرائب تفرضها الدول ويدفع المزكى الزكاة طواعية ، بينما الضرائب يدفعها الممول جبرا عنه ولا يحصل مقابلها على منفعة مباشرة وانما يعود عليه من الخدمات العامة كســـائر المواطنين ومؤدى الزكاة يجزى عنها بثواب الله جل وعلا ورضائه ، وبذلك لا تجزى الضرائب عن الزكاة ولا يحل أحدهما محل الاخر ٠ فالزكاة اذن فريضة دينية ذات طابع مالى ٠

الزكاة ليســـت جـــزية :

اعتبر بعض المرتدين فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله أن الزكاة جزية ، وفى ذلك يقول أحد الكتاب ، فزحفوا عليها (أى زحف المرتدون على المدينة) وظنوا أنهم اذا هددوها وهى عزلاء وتوسلوا

بالمعاوضة والوساطة فى الوقت نفسه رجع الخليفة عن عناده وقبل منهم ما ساوموه عليه ، وهو اقامة الفرائض كلها والاعفاء من الزكاة ٠٠٠٠ أو من الجزية كما سموها »(٣) ٠

ولقد كان المرتدون فى اعتبارهم الزكاة جزية مضللين مخطئين عاصين لأن الزكاة خلاف الجزية كما يتضح مما يلى :

ـ آيات الزكاة بالقرآن الكريم خلاف آيات الجزية ٠

ـ الزكاة ليست ضريبة كما أوضحنا والجزية ضريبة كما سنوضح ٠

ـ الزكاة مفروضة على المسلم والجزية مفروضة على أهل الكتاب وليس على مسلم جزية ٠

ـ الزكاة يدفعها المسلمون طواعية ، والجزية يعطيها أهل الكتاب لبيت مال المسلمين عن يد وهم صاغرون ٠

ـ يعفى من الزكاة من هم دون النصاب من المسلمين ويعفى من الجزية الصغار والنساء والعاجزين من الرجال فاعفاء الزكاة خلاف اعفاءات الجزية ٠

ـ أداء الزكاة ابتغاء ثواب الله وأداء الجزية ابتغاء احتفاظ أهل الكتاب بدينهم وعدم القتال والتمتع بالأمن والأمان على النفس والمال والولد ٠

ـ وجوه نفقات الزكاة محددة بالقرآن بينما الانفاق العام من الجزية مطلق غير محدد ٠

الزكاة ليست أتاوة :

كان بعض العرب الممتنعين عن أداء الزكاة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أن الزكاة أتاوة فرضها الرسول صلى

---

(٣) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ الطبعة السابعة ـ دار المعارف بمصر ص ٧٢

الله عليه وسلم وطالبوا الاعفاء منها بعد وفاته ، فقد قال أحد رؤساء القبائل وهو قرة بن هبيرة لعمرو بن العاص بعد أن أكرمه وهو فى الطريق عائدا من مهمة أرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأدائها قبل وفاته ما يلى :

« ان العرب لا تطيب لكم نفسا بالأتاوة (يقصد الزكاة) فان أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع لكم وتطيع وان أبيتم فلا أرى أن تجتمع عليكم » .

فقال عمرو : أكفرت ياقرة

فقال: لنردنكم الى فيئتكم ـ اجعلوا بيننا وبينكم موعدا .

فقال عمرو : أتوعدنا بالعرب وتخوفنا بهـــا ، موعدك حفش أمك[٤] ، فوالله لأوطئن عليك الخيل

وقدم عمرو بن العاص على المسلمين فأخبرهم .

وبعد ذلك وقع قرة بن هبيرة فى أسر خالد بن الوليد فأوثقه وبعث به الى أبى بكر فلما قدم عليه

قال له قرة : يا خليفة رسول الله انى قد كنت مسلما ، ولى من ذلك على اسلامى عند عمرو بن العاص شـــهادة ، قد مر بى فأكرمته وقربته .

فدعا أبو بكر عمرو بن العاص فقال : ما تعلم من أمر هذا .

فقص عليه الخبر حتى انتهى الى ما قال من أمر الصدقة .

قال قرة لعمرو : حسبك رحمك الله .

قال عمرو : لا والله ، حتى أبلغ كل ما قلت

وبلغ عمرو الخليفة بكل ما قاله قرة .

---

(٤) الحفش : حقيبة المرأة تضع فيه زينتها .

فتجاوز الخليفة عن قرة وحقن[5] دمه[6] ·

وقد ضل الممتنعون عن الزكاة وأخطأوا بوصفهم اياها بأنها اتاوة ، فمن الناحية الفنية تعـــرف الاتاوة بأنها « مبلغ من المال تفرضه الدولة جبرا وتحصل عليه من الغير نظير منحه حق استغلال أحد امتيازاتها لفترة محددة كحق استغلال محجر أو منجم فى أراضى الدولة » كما ذكرنا ·

فالاتاوة طبقا لهذا التعريف تختلف عن الزكاة ولا تعتبر الزكاة اتاوة لما يلى :

- الزكاة فرضها الله جل وعلا والاتاوة تفرضها الدولة ·

- الزكاة تحصل عليها الدولة لتنفقها فى وجوه محددة حددها الله تعالى ، بينما الأتاوة تشـــيع مع ايرادات الدولة الاخرى ولا تخصص لوجوه انفاق عامة محددة ·

- الزكاة أبدية الى يوم البعث بينما الأتاوة موقوتة بمـــدة محددة ·

- المســـلم يدفع الزكاة لوجه الله تعالى طاعة له ولا ينتظر مقابلها خدمة من الدولة بينما من يدفع الاتاوة يتمتع بأحد وجوه امتياز الدولة ·

خمس الغنائم ايراد عام له طبيعة خاصة :

فرض الله الجهاد على المسلمين فجاهدوا وحقق لهم النصـر وأغنمهم غنائم أحلها لهم على أن يؤدوا خمسها لبيت مال المسلمين فى الدولة الاسلامية · وقد حق للدولة الاسلامية أن تحصل بأمر الله جل وعلا على هذا الخمس ، خصـــوصا وأنهـا عـــادة تخطط أمور الجهاد وتنظمه وتعبئه وتشارك فى تمويله وبعد أن تحصل على

---

(٥) حقن دمه : حل به القتل ولم ينفذه ·

(٦) الطبرى - جزء ٣ - مرجع سابق - ص ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ·

الخمس لا تشيعه على أى نوع من النفقات العامة ، بل يجب عليها أن توجهه لوجوه انفاق محددة وردت فى آية الخمس ، فالخمس اذن ، ايراد عام له طبيعة خاصة ولا يعتبر نوعا من أنواع الايرادات العامة التى تظهر حديثا فى الموازنات العامة للدول .

الجــــزية ضـــــريبة :

أمر الله جل وعلا بفرض الجزية على أهل الكتاب اذا آثروا الاحتفاظ بدينهم ، وتتوافر فى الجزية جميع أركان الضريبة لأنها مال نقدى أو عينى يدفعـــه الكتابى جبرا لأنه يفرض عليه دفعه للدولة الاسلامية دون مقابل مباشر يعود عليه كدافع جزية بالذات ، وانما يتمتع هو وعائلته ممن لا يحق عليهم جزية بحقوق المواطنة فيأمنون على أموالهم وانفسهم وأولادهم ويتمتعون بســـائر الخدمات العامة للدولة التى يتمتع بها المسلمون ، وهى ضريبة شخصية لأنها تفرض على شخص الكتابى حسب مقدرته وكان يعفى منها الصغار والنساء والعجزة والفقراء غير القادرين على الكسب ، فهى بذلك تتســـم بالعدالة الضريبية ، خصوصا وأنه كان يراعى فى استئدائها الرفق وعدم الظلم والملاءمة فكانت تؤخذ نقدا أو عينـــا بما يلائم حالة الممول .

خـــراج الأرض ضـــريبة :

خراج الأرض نوع من أنواع الضـــرائب على الأرض التى افتتحها المسلمون أو تصالحوا عليها فصارت ملكا للدولة الاسلامية يستغلها القائمون عليها من أهل الكتاب ويؤدون نسبة معينة مما تخـــرجه الأرض نقدا أو عينا طبقا للسعر الذى تحـــدده الدولة الاسلامية تحديدا عادلا بمراعاة خصوبة الأرض ونوع المحصول وسهولة الرى أو صعوبته وكان يراعى أن يترك للقائمين على الأرض بقية يقابلون بها ما قد يتعرضون له من نوائب وضائقة ، فهى شبيهة بضريبة الأطيان التى تفرضها حاليا الدول .

وحديثا ضرائب الأطيان تعتبر من أنواع الضرائب على الأرض غير أن أسس فرضها تختلف عن خراج الأرض فى الاسلام ، ففى مصر مثلا تفرض ضريبة الأطيان بقانون ، وتخضع لها الأراضى المنزرعة فعلا أو القابلة للزراعة ، فلا تخضع لها الأجران والأراضى الداخلة فى نطاق المدن والأراضى المقام عليها مبان للسكنى ، ووعاء الضريبة هو القيمة الايجارية للأرض ، وتقدر القيمة الايجارية لجان للتقدير وتستمر القيمة الايجارية لعدة سنوات ، وهذه القيمة الايجارية تمثل الايراد الذى يحصل عليه مالك الأرض كعائد للملكية. وسعر الضريبة نسبى وهو ١٤٪ ، والضريبة سنوية وتحصل على أقساط روعى فى توقيتها أن تكون متفقة مع مواعيد الحصاد ، ويقع عبء الضريبة على مالك الأرض .

ايرادات عامة اخرى عارضة :

وقدتوجد فى عهد الصديق ايرادات عامة أخرى عارضة ليس لها طبيعة التكرار كاللقيا وتركات من لا وراث له فهى تؤول لبيت مال المسلمين وتخصص للصرف منها على الفقراء . وهذه الايرادات العارضة لها مقابل فى العصر الحديث ، فقد جرت العادة أن يدرج فى الموازنات العامة تحت عنوان « ايرادات أخرى » كل ايراد عام لا يندرج تحت أى نوع من أنواع الايرادات العامة الحديثة السابق التنويه عنها .

مثال لايرادات عارضة فى عهد الصديق :

وفيمايلى مثال لايرادات عامة عارضة وضعت فى بيت المال فى عهد الصديق رضى الله عنه :

لما أراد أبو بكر الصديق رضى الله عنه لقاء الروم استنفر أهل اليمن ، فأتاه ملوك اليمن يقودهم ذو الكلاع الحميرى ملك حمير ، من خلفه ومن حوله ألف عبد من الفرسان ، وعلى رأسه التاج وعلى حلته الجواهر المتلألئة وبردته تسطع بخيوط الذهب المرصع باللآلىء

والياقوت والمرجان ، وقد لبس ذلك استعدادا لمقابلة الخليفة فقد كان يظنه ملكا فلما دخل المسجد ليقابله وجد الخليفة شيخا نحيلا وعليه ثوب خشن ويجلس على الحصباء فاستحى ذو الكلاع وخرج وأخبر مرافقيه بما رأى فألقوا ما يرتدونه ولبسوا أثوابا خشنة وتخلوا عن التيجان المثقلة بالجواهر وتركوا حلل المخمل الموشى بخيوط الذهب والياقوت والدر والمرجان ، ووضع الصديق فى بيت المال ما تخلوا عنه جميعا من نفائس(٧) ٠

(٧) الصديق أول الخلفاء ـ مرجع سابق ـ الفصل الخامس .

الباب الخامس

الإنفاق العام فى عهد الصديق

النفقات العامة المخصصة
فى عهد الصديق

التعريف الفنى الحديث للنفقة العامة :

تعرف النفقة العامة حديثا بأنها :

« مبلغ من المال يخرج من ذمة شخص ادارى سدادا لحاجة عامة »

فالركن الأول هو استعمال مبلغ من النقود ثمنا لما تحتاج اليه الحكومة من خدمات أو مواد أو انشاءات أو غيرها • فالأســـاس النقدى أصبح سمة أساسية للنفقات العامة ، ومع ذلك يمكن أن تتخذ النفقة الشكل العينى فيمكن أن يتخذ أجر العاملين بالدولة شكل المزايا العينية فيحصل عليها العامل مقابل جزء من أجره على شكل مأكل أو مسكن أو علاج ، وان كان يمكن تقويمها دائما تقويما نقديا •

والركن الثانى فى النفقة العامة هو أن تكون من شخص ادارى عام أى من الدولة أو وحدات الحكم المحلى أو من هيئة عامة أو مؤسسة عامة أو سائر المنشآت ذات الشخصية العامة الادارية •

والركن الثالث هو أن يكون الغرض من الانفاق سداد حاجة عامة ، فلا تكون لمنفعة فرد كما كان يحدث فى بعض الدول المستبدة فى الماضى ، فقد كانت تعتبر من النفقات العامة النفقات الخاصة لرؤساء هذه الدول ، وكما تكون الحاجة العامة التى توجه لها النفقة العامة حاجة حاضرة تكون حاجة مستقبلة كالنفقات العامة التى تنفقها الدول على المشروعات الاستثمارية التى تقوم بها ، وقد تكون الحاجة العامة مباشرة كمصروفات الأمن لحماية أفراد الشعب أو غير مباشرة كأعباء المعاشات والاعانات التى تمنح للفقراء من أفراد الشعب فهى تعود بمنفعة غير مباشرة على الشعب ، فتقوى حاجته للضمان الاجتماعى وتوفر استقرار المجتمع وتدعيم روابط طبقاته ٠

ونبحث فيمايلى مدى توفر أركان النفقة العامة فى النفقات المخصصة من الزكاة وخمس الغنائم :

تطبيق التعريف الفنى للنفقة العامة على وجوه انفاق الزكاة :

يقول الله جل وعلا « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بهاوصل عليهم ان صلاتك سكن لهم » (التوبة / من ١٠٣) ٠

ويقول سبحانه وتعالى « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) ٠

فما مدى توفر أركان النفقة العامة فى مصارف الزكاة الثمانية الواردة بالقرآن الكريم ؟

الركن الأول فى النفقة العامة وهو اتخاذها الشكل النقدى يتوفر فى النفقة العامة من زكاة الأموال فبعضها بطبيعته نقدى كزكاة الذهب والفضة وزكاة التجارة فما ينفق منه على مصارف الزكاة يتخذ الشكل النقدى بطبيعته ، وبعض أنواع زكاة الأموال الأخرى بطبيعته عينى كزكاة الزروع والأنعام ومع ذلك يمكن أداء زكاتها نقدا بعد تقويم المحصول واخراج نسبة الزكاة المحددة شرعا ، واذا جمعها بيت المال عينا ووزع منها على مستحقى الزكاة عينا ، فان

ماجمعه بيت المال عينا ووزعه عينا من الممكن تقييمه بالنقد السائد فى الدولة ، والأداء العينى للزكاة كان أحد وجوه التيسير على من يقع عليه عبء الزكاة فكان لمصلحته ٠

الركن الثانى فى النفقة العامة أن تكون صادرة من الدولة أو أحد مكوناتها ، وهذا هو الأصل فى نفقات الزكاة ، فالأصل طبقا للآية ١٠٣ من سورة التوبة أن يجمعها كلها ولى الأمر أو من ينوب عنه ، وكان ومازال فى بعض الدول الاسلامية جباة من قبل الدولة لجمع الزكاة، ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يجمعها ممن يأتونه من الناس ويعطونه اياها طوعا لا كرها ، والنبى صلى الله عليه وسلم علاوة على أنه نبى مرسل من الله جل وعلا كان أول رئيس للدولة الاسلامية ، وكان الخلفاء من بعده رؤساء للدولة الاسلامية ، ويرون أن جمع الزكاة من حق ولى الأمر ٠ وقد رأينا كيف قاتل الصديق رضى الله عنه الممتنعين عن أداء الزكاة المفروضـــة حتى أدوها ٠

الركن الثالث للنفقة العامة أن تكون سدادا لحاجة عامة ، ومن الحاجات العامة الهامة لأى دولة هو تحقيق التضامن القومى الذى هو أساس الجماعة وأحد عناصر التضامن القومى تحقيق التوازن الاجتماعى فى المجتمع وتحقق المصارف التالية للزكاة هذا الهدف القومى ٠

ـ الانفاق على الفقراء والمســاكين من الزكاة المأخوذة من أموال الأغنياء يزيد دخول الطبقة الفقيرة فتقل حدة التفاوت الواسع بين طبقات الأغنياء والفقراء عن طريق التقارب النسبى فى الدخول ٠

ـ الانفاق من الزكاة على العاملين عليها يمثـــل دفع أجر لعاملين قاموا بالعمل فى تحصيل زكاة الأموال ،فأجرهم نظير خدمة عامة أدوها للدولة المنوط بها جمع الزكاة ٠

ـ الانفاق العام من الزكاة على المؤلفة قلوبهم يقلل من عدائهم للدولة ويحوله الى مودة فيشيع الأمان والاطمئنان بين ربوعها وعلى حدودها ، والأمن والأمان أحد الحاجات العامة لأى دولة ٠

– الانفاق العام من الزكاة على مصرف (وفى الرقاب) يؤدى الى منح العبيد حريتهم فيصبحون أكثر ولاءا وارتباطا وانتماء للمجتمع مما يساهم فى كفالة تضامن جميع أبناء الشعب ·

– الانفاق العام من الزكاة على الغارمين وهم من يعجزون عن سداد ديونهم المشروعة يؤدى الى رفع أعباء المديونية عنهم وتسكين نفوسهم ويبعث الثقة بين المتعاملين فى المجتمع ، فتبعد عن الاقتصاد القومى نكسات الافلاس ومغبة الكساد وشيوع البطالة مما يميل بالمجتمع نحو التوازن وقد يكون الغارم هو من تحمل مبلغا فى سبيل تسكين خلاف بين مجموعتين من مجموعات المجتمع فتعطيه الدولة ما تحمله من أموال وبذلك يحل الوئام والسلام فى المجتمع محل الخلاف والنزاع ·

– من وجود الانفاق العام من الزكاة على مصرف (وفى سبيل الله) أن يوجه لتقوية جيوش الدولة بشراء الأسلحة والعتاد والانفاق على المحاربين للذود عن الأوطان ، والدفاع عن البلاد ضرورة أساسية من أى دولة لأنه يؤدى الى تأمين حدودها الخارجية من أى اعتداء عليها ·

هذا ويرى بعض المفسرين أن سهم (فى سبيل الله) يمكن توجيهه لأى وجه من وجوه الانفاق العام يحقق المنفعة العامة للشعب ويوصل الى مصلحة الأمة ·

– الانفاق العام من الزكاة على مصرف (ابن السبيل) وهو ما انقطعت به الأسباب وكان فى سفر بحيث لا يستطيع الانتفاع بماله – كطلبة العلم – هذا الانفاق يعينهم ويقيهم مذلة السؤال فلا تخدش كرامتهم · وكرامة المواطنين من كرامة الأمة ·

فوجوه انفاق الزكاة التى حددها الله جل وعلا ، اذا قامت بها الدولة مما تحصله من زكاة أموال المواطنين تعتبر نفقة عامة وتتوافر فيها اركان النفقة العامة طبقا لفقه المالية العامة الحديث ·

تطبيق التعريف الفنى للنفقة العامة على وجوه انفاق خمس الغنائم :

يقول الله جل وعلا :

« واعلموا أنما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم امنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » (الأنفال / ٤١) ..

فما مدى اعتبار نفقات الخمس من النفقات التى تتوفر فيها الأركان الثلاثة للنفقة العامة :

فالركن الأول فى النفقة العامة هى اتخاذها الشكل النقدى والغنائم تكون أحيانا نقدية فبذلك يتوفر فيها الطابع النقدى واذا كانت غير نقدية يكون من الممكن معادلتها بالنقد وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعادل أنواع الغنائم .

فقال رافع : كنا مع النبى صلى الله عليه وسلم بذى الحليفة فأصبنا غنما وابلا فعدل عشرة من الغنم ببعير « أى جعل العشرة معادلة للبعير »(١) .

الركن الثانى : فى النفقة العامة أن تكون صادرة من الدولة والانفاق من الخمس كان صادرا من الدولة الاسلامية . فاذا كان رئيس الدولة هو الذى يقود المجاهدين فى الفتوح الاسلامية أشرف على التوزيع وحجز لبيت المال خمس الغنائم ووزع أربعة أخماس الغنائم على المقاتلين واذا كان الذى يقود الجيش قائد غير رئيس الدولة جنب خمس الغنائم وأرسله لرئيس الدولة ليؤول لبيت المال فيقوم بتوزيعه على المستحقين ، وقد سبق أن أوضحنا أن خالد بن الوليد كان يقوم بعد النصر بارسال خمس ما يغنم للخليفة الصديق رضى الله عنهما ..

الركن الثالث للنفقة العامة أن تكون سدادا لحاجة عامة

---

(١) صحيح البخارى — جزء ٥ — مرجع سابق ص ١٨٤ .

تتطلبها الدولة وهو ما يتوافر فى وجوه الانفاق التى حددتها آية الخمس ٠

فمن أهم حاجيات الدولة الاسلامية أن تخصص نفقات لمعيشة نبى الاسلام فى حياته خصوصا وأنه كباقى الأنبياء لا يأخذ أجرا ، وقد كان للتحديد بمعرفة الله جلا وعلا الحجة البالغة على المنافقين الذين يظهرون المحبة للاسلام والأمة الاسلامية ويخفون العداوة ، ويضمرون لها البغضاء اذ لو كان التحديد بمعرفة الرسول للمزوه فى التحديد والتوزيع ٠

والانفاق من الخمس على ذوى القربى من حـاجات العامة للأمة ، لأن سهم ذوى القربى مخصص للفقراء منهم ، وقد حرم الرسول عليهم الأخذ من أموال الزكاة لأنها من أوساخ الناس ، فعلى الدولة أن تكفلهم تحقيقا للتكـافل الاجتماعى الذى هو أحد الوظائف الأساسية فى الدولة الاسلامية ٠

والانفاق على اليتامى فى المجتمع الاسلامى من الخمس يمثل حاجة عامة لدخوله فى دائرة التكافل الاجتماعى السـابق التنويه عنه ٠

وقد سبق أن أوضحنا الانفاق على المساكين وابن السبيل من الزكاة وبينا العائد الذى يعود على المجتمع من كفالتهم ، ويتحقق نفس العائد للأمة من كفالتهم من خمس الغنائم ٠

ماذا فعل الصديق بسهم الرسـول من الخمس بعد وفاته وسـهم ذى القربى ؟

فى حياة الرسول صلى عليه وسلم ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم دفع صـداق بعض ذوى قرباه من نصـيبهم فى الخمس(٢) وأنه قسم سهم ذوى القربى على بنى هاشم وبنى المطلب وحدث محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه قال :

---

(٢) انظر كتابنا السياسة المالية للرسول ص ١٩٦ وما بعدها ٠

سمعت عليا رضى الله عنه يقول :

قلت يارســـول الله : ان رأيت أن توليني حقنا من الخمس فاقسمه فى حياتك كيلا ينازعنا أحد بعدك فافعـــل ، ففعل (أى الرسول) فولانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمته فى حياته ثم ولانيه أبو بكر رضى الله عنه فقسمته فى حياته ، ثم ولانيه عمر رضى الله عنه فقسمته فى حياته ، حتى اذا كان آخر سنة من سنى عمر فأتاه مال كثير فعزل حقنا ثم أرسل الى

فقال (عمر) : خذ فاقسمه

فقلت : يا أمير المؤمنين تباعدد العام عنى وبالمســـلمين اليه حاجة ، فرده عليهم تلك السنة ثم لم يدعنا اليه أحد بعد عمر حتى قمت مقامى هذا ، فلقينى العباس بن عبد الله بعد خروجى من عند عمر رضى الله عنه

فقال (أى العباس) : ياعلى لقد حرمتنا الغداة شيئا لا يرد علينا أبدا الى يوم القيامة (٣) ٠

فيبين من قول الامام على رضى الله عنه أن سهم ذوى القربى تولاه على بن أبى طالب رضى الله عنه فى عهد أبى بكر وقسمه فى حياته على ذوى القربى ٠

على أنه فى احدى الروايات أن الناس أجمعوا على أن هذين السهمين أى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم أستخدما فى الكراع والسلاح (٤) ٠

---

(٣) الخراج لأبى يوسف ـ مرجع سابق ـ ص ٢٠ ٠

(٤) المرجع السابق ص ٢١ ٠

ونحن نرجح قول الامام على رضى الله عنه بأن سهم ذوى القربى أعطاه اياه أبو بكر الصديق رضى الله عنه ليوزعه تطبيقا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وكان الصديق حريصا على العمل بالسنة ، وأن سهم الرسول استخدمه الصديق بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فى سبيل الله ومن وجوهه شراء الكراع والسلاح ٠

النفقات العامة غير المخصصة
فى عهد الصديق

أسباب قلة النفقات العامة غير المخصصة في عهد أبي بكر :

بجانب وجود الانفاق المخصصة من كل من الزكاة وخمس الغنائم تقوم الدولة الاسلامية بباقى النفقات العامة اللازمة لها من سائر الايرادات العامة الأخرى وكانت فى عهد أبىبكر الصديق من ايرادات الجزية والخراج ، وكانت النفقات العامة غير المخصصة قليلة نسبيا فى عهد الصديق للأسباب التالية :

لم يكن في خلافة أبي بكر دواوين حكومية :

لم تأخذ الدولة الاسلامية بنظام الدواوين الا ابتداء من عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ أنشأ ديوانين أحدهما للخراج والثانى للعطاء ، وفى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه كانت أمور الدولة وأنشطتها تزاول فى مسجد الرسول ، ففيه كان الرسول يعلم ويبلغ المسلمين ما أنزل عليه من آيات القرآن الكريم ومما علمه الله ، وفيه كانت تأتى اليه الأموال العامة من الصدقات وخمس الغنائم والجزية وفيه كان يوزع

ما أتى اليه من أموال ،وفيه كان يخطط للغزوات والسرايا ويقيم القضاء بين المتخاصمين وغير ذلك من الأنشطة العامة الأخرى التى تدخل فى اختصاصات الحكومات وتقيم لها الدولة الأبنية من الدواوين والمصـــالح العامة ويقيم بها عمال الدولة ليزاولوا ما يدخل فى اختصاصاتهم من الأنشطة العامة . واستمر هذا الوضع فى عهد الخليفة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

ضآلة أجور العاملين بالدولة فى عهد الصديق :

فى الموازنات العامة الحديثة تمثل الأجور والمرتبات والمهايا والمكافآت والحوافز نسبة كبيرة من النفقات العامة للدول بســـبب استخدام الحكومات عدد كبير من العاملين لمزاولة الأنشطة التى تدخل فى اختصاصات رئيس الدولة والسلطات الثلاث التشـــريعية والتنفيذية والقضائية ، غير أنه فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه كانت هذه النفقات ضئيلة جدا لاتكاد تذكر ويرجع ذلك الى ما يلى :

ـ ضآلة ما كان يتقاضاه الخليفة من جعل نظير عمله للدولة ، فبعد أن ولى الخلافة خرج كعادته لقوت عياله يتجر واستمر على ذلك ستة أشهر ثم وجد الصحابة أن أمور المسلمين لا يصـــلحها الا التفرغ لاداراتها فطلبوا منه أن يترك التجارة فعرضوا له فى كل سنة ستة آلاف درهم لينفق منها على عياله ويحج ويعتمر(١) .

ولما مرض مرض الموت وكانت ابنته عائشة أم المؤمنين تمرضه قال لها كما سنرى :

« أما والله لقد كنت حريصا على أن أوفر فىء المسلمين(٢) ، على انى قد أصبت من اللحم واللبن ، فانظرى ما كان عندنا فأبلغيه عمر . »

---

(١) الأموال لابى عبيد ـ مرجع سابق ـ هامش ص ٣٣٩ .

(٢) يعنى لا آكل منه شيئا .

وما كان عنده دينار ولا درهم ، ما كان الا خادما ولقحة(٣) ومحلبا .

فلما رجعوا من جنازته أمرت به عائشة الى عمر

فقال : رحم(٤) الله أبا بكر لقد أتعب من بعده(٥)

وسنورد تفاصيل ذلك فى الفصل الثالث من الباب السادس

أين ما تقاضاه أبو بكر من بيت المال زاهدا متعففا مما يرصد فى الموازنات العامة للدول حديثا من مخصصات لرؤساء الدول من مكافآت ومرتبات وأجور له ولحاشيته والعاملين بالرياسة من مستشارين وخبراء ومدراء ومعاونيهم ، وأين ما تركه أبو بكر رضى الله عنه بعدوفاته وما يتركه الرؤساء حديثا من قصور وضياع وأموال كانت كلها ، أو بعضها بسبب مراكزهم وتصدرهم لأمور الدولة .

ـ ضآلة عدد العاملين بالسلطة التنفيذية :

كان عدد العاملين الذين يقومون بأعمال السلطة التنفيذية فى عهد أبى بكر الصديق عددهم قليل جدا يتمثل فى الولاة القليلين الذين كانوا يرسلهم للأقاليم وهؤلاء كانوا يتناولون أجرا محددا نظير عملهم اقتداء بما حدده رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما استعمل غياب بن أسد واليا على مكة فرزقه كل يوم درهما وكان هذا الأجر يعتبر يومئذ مجزيا .

ويتمثل كذلك فى المصدقين الذين كانوا يجمعون الزكاة المفروضة وهؤلاء كانوا يحصلون على أجورهم من أموال الزكاة

---

(٣) اللقحة بفتح اللام وكسرها هى الناقة القريبة العهد بالنتاج .

(٤) اى أن ضربه المثل فى الزهد والحرص على أموال المسلمين سيتعب من بعده من الخلفاء الذين عليهم أن يقتدوا به فيها .

(٥) الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٣٤٠ .

باعتبار أن أجورهم تصرف لهم من أحد مصـــارف الزكاة وهو مصرف « العاملين عليها » أما أمراء الجيوش وسائر المقاتلين فقد كانوا لا ينالون أجرا كما هو الشأن فى العصور الحديثة فيدرج لهم حاليا بالموازنات العامة المرتبات والمكافآت والأجور والحوافز طيلة مدة خدمتهم والمعاشات المستحقة لهم بعد بلوغهم ســـن التقاعد والتعويضات اللازمة لهم اذا أصيبوا أو توفوا أثناء المعارك · واذما كان هؤلاء يعطون نصيبهم من الغنائم التى أحلها الله ورســـوله للمقاتلين وطبقا للأسس السابق ايضاحها ·

ـ التطوع بالعمل العام كان كثيرا فى عهد الصديق :

رأينا انه لما ولى أبو بكر الخلافة آتاه بعض الصحابة يعرضون قيامهم بالاختصاصات العامة التى يقوم بها الوزراء حاليا ، وكان هذا العرض منهم على ســـبيل التطوع ومعاونة للخليفة فى انجاح رســـالته فى ادارة الدولة ، بينما تدرج للوزراء حاليا اعتمادات لأجورهم وتنقلاتهم وأجور مستشاريهم والعاملين بمكاتبهم ·

كذلك فان السلطة التشريعية كان أعضاؤها فى عهد ابى بكر الصديق من صحابة رسول الله صلى الله عليهم وسلم ، وهم يقدمون آراءهم وفتاواهم وتفسيراتهم للدولة والخليفة والمسلمين كحصيلة لما تعلموه فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقدمونها تطوعا ابتغاء ثواب الله وما عند الله خير وأبقى ·

بينما لأعضاء السلطة التشريعية اعتمادات مخصـــصة فى الموازنات العامة الحديثة لمكافآتهم وبدلاتهم ومزايا أخرى يحصلون عليها ·

وفى عهد ابى بكر الصديق رضى الله عنه انحصرت الســـلطة القضائية تقريبا فى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد قام بالقضاء تطوعا ، بينما فى الموازنات العامة الحديثة تزخر الموازنات العامة بالاعتمادات اللازمة للوظائف العديدة للسلطة القضائية ، فقد اتسعت المعاملات وزادت بين الناس وزدات خلافاتهم فاحتكموا فيها للقضاء

وكثر عدد القضاة ومعاونيهم وكان لزاما أن تدرج الدول الاعتمادات اللازمة لمرفق العدالة ·

قلة الأغراض العامة التي كانت توجه اليها النفقات العامة في عصر الصـــديق :

ـ تدرج بالموازنات العـــامة للدول اعتمادات أخرى لادارة دواوين الدولة كاعتمادات المياه والانارة والكهرباء والغاز اللازمة لها واعتمادات ايجارها واعتمادات صــيانتها واعتمادات الأثاث والتجهيزات والمعدات اللازمة لادارتها وقطع الغيـــار المتعلقة بهذه التجهيزات والمعدات والوقود والزيوت والقوة المحـــركة اللازمة لتشغيلها ، ولم يكن لمثل هذه الاعتمادات وجود في خلافة الصديق رضى الله عنه بسبب اتخاذ المسجد النبوى مكانا لادارة أمور الدولة وعدم انشاء دواوين لهذا الغرض ·

ـ كذلك لم يكن في عهد الصديق مايطلق عليه بالمصـــروفات الرأسمالية أو الاستثمارية التي تدرج حاليا بالموازنات العامة للدول للقيام بالمشروعات العامة كرصف الطرق واقامة الجسور وانشاء الكبارى وغيرها من المشـــروعات العـــامة اللازمة لاقامة البنية الأساسية وللقيام كذلك بالمشـــروعات العامة اللازمة لتنمية الدخل القومى والتى تكون عادة ضـــمن خطط التنمية التى تعدها الدول حديثا لتلحق بركب التقدم وتقاوم التخلف ·

ويرجع ذلك الى ان خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه كانت في القرون الوسطى ولم تكن الآراء الحـــديثة بتدخل الدول وماليتها العامة لاقامة بعض المشروعات العامة قد ظهرت بعد ، وان كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعد خلافة أبى بكر الصديق أقام بعض المشروعات العامة كتوسعة مســـجد الرسول صلى الله عليه وسلم وحفر الخليج من نهر النيل الى البحر الأحمر لتجرى فيه السفن حاملة الطعام والأقوات من مصر الى المدينة ومكة وأنشأ مدينتين جديدتين هما البصرة والكوفة ·

كما يرجع ذلك أيضا الى قصر مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ٠

نماذج من النفقات العامة غير المخصصة فى خلافة الصديق :
أجور الخليفة والعاملين بالدولة :

سبق أن ناقشنا ما خصص للخليفة وما كان يتقاضاه الولاة وجامعو الصدقات ٠

نفقـــات الحج :

كان الخليفة يقوم بالحج ومعه بعض المسلمين باعتباره ركنا من أركان الاسلام ويقال أن الذى حج بالناس فى سنة احدى عشرة هجرية عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبى بكر اياه بذلك ، وقيل ان الذى أمره أبو بكر رضى الله عنه فى هذه الســـنة عتـــاب بن أسيد(٦) ، أما فى السنة الثانية عشر هجرية حج بالناس أبو بكر الصديق واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رضى الله عنهما ، وقيل أن أبابكر لم يحج فى خلافته وأنه بعث كأمير للحج عمر بن الخطاب أو عبد الرحمن بن عوف رضى لله عنهما(٧) ٠ ولاشك أن نفقات حج ممثل الدولة الاسلامية كانت من النفقات العامة لبيت مال المسلمين ٠

نفقـــات الفتوح الاســـلامية :

اعداد جيوش الاسلام لمقاومة الردة ونشر راية الاسلام كانت تعتمد فى تمويلها على الجهاد فى سبيل الله بالنفس والمال ، غير أن بيت المال كان يمولها أيضا من المصادر المالية المخصصة لها بل اذا اقتضى الأمر من الايرادات العامة الأخرى غير المخصصة لنفقات محددة ٠

---

(٦) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ص ٣٤٢ ٠

(٧) الطبرى جزء ٣ ـ مرجع سابق ـ ص ٣٨٦ ٠

فقد ثبت أن أبابكر الصديق خصص سهم النبى صلى الله عليه وسلم وذي القربى المنصوص عليها فى آية الخمس فى الخيل والعدة فى سبيل الله(٨) ٠

ـ ثبت كذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال « كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق منها على أهله نفقة ســنة ، وما بقى جعله فى الــكراع والسلاح عدة فى سبيل الله وقد سار أبو بكر الصديق رضى الله عنه على سنة الرسول فيما يتعلق بتمويلها للكراع والسلاح ٠

ـ أوضحنا أن الخليفة أبا بكر الصديق وجه الباقى من جزية أهل الحيرة لتقوية جيوش المسلمين تحت امرة خالد بن الوليد ٠

نفقات التكافل الاجتماعى فى عهد الصديق :

تضمن الدول موازناتها العامة اعتمادات للتكافل الاجتماعى ممثلة فى اعانات ومعاشات شهرية للفقراء والمساكين وانشاء ملاجىء لايوائهم وبيوت لتعليمهم . وفى الاسلام حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة فى آية « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى ســبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » (التوبة / ٦٠) فالذين لا يملكون نصــاب الزكاة وغير القادرين على الكسب والمحتاجون المتعففون والمحتاجون السائلون وكل من تنطبق عليهم مواصفات الفقر والمسكنة لهم فى الزكاة نصيب ٠

وقد جاهد أبو بكر رضى الله عنه المرتدين الممتنعين عن أداء الزكاة ليحافظ على حقوق الفقراء والمســاكين وليوفيها لهم من متحصلات الزكاة كما سبق أن أوضحنا ٠

---

(٨) الاموال لأبى عبيد ص ٤١٦ ٠

كما أنه لليتامى الفقراء الحق فى مصارف الزكاة باعتبارهم فقراء وكذلك الحق فى مصــــارف خمس الغنائم باعتبارهم يتامى يستحق الانفاق عليهم من الخمس ، واليتامى هم من مات آباؤهم قبل البلوغ ولا يصبح اليتيم يتيما اذا بلغ .

عمل عظيم تم دون نفقة من بيت المال فى عهد الصديق :

من الأعمال العظام التى تمت فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه جمع القرآن ، فالله جل وعلا يقول : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » ولاشك ان من عوامل حفظ القرآن الكريم مسارعة أبى بكر الصديق رضى الله عنه الى جمعه . فقد أسفرت موقعة اليمامة عن استشهاد عدد من المسلمين بعد أن أبلوا بلاء حسنا فى الدفاع عن دين الله .

فجاء عمر بن الخطاب الى أبى بكر فقال : « ان القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وانى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن، فيذهب كثير من القرآن الا أن يجمعوه وانى لأرى أن يجمع القرآن »

قال أبى بكر فقلت لعمر : « كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله عليه الصلاة والسلام »

فقال عمر : « هو والله خير »

يقول أبى بكر : فلم يزل عمريراجعنى فيه حتى شرح الله صدرى فرأيت الذى رأى عمر » .

دعا أبو بكر زيد بن ثابت وقال له : انك شاب عاقل ولا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله عليه الصلاة والسلام فتتبع القرآن واجمعه .

عبر زيد عن عظم المهمة الملقاة على كاهله وخطورتها .

فقال : « فوالله لو كلفنى نقل جبل من الجبال ما كان اثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن » .

وبدأ يتتبع القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال ٠

وبدأ بعد جمعه يرتبه فى الآيات والسور حسب القراءة التى كان يقرؤها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة وفى غير الصلاة ، فكان ترتيب الآيات فى السور حسب ما بينه النبى عليه الصلاة والسلام لهم وحسب مابينه جبريل للنبى عليه الصلاة والسلام ، ومن ذلك لما نزل قول الله جل وعلا « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون »

قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم : « يا محمد ضعها فى رأس ثمانين ومائتين من البقرة » ٠

ووضعت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنها ٠

فاستحق أبو بكر بذلك أعظم الأجر

ويشير الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه لذلك فيقول :

« أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين »[9] ٠

ومثل هذه الأعمال العظيمة التى تقل بكثير عن عظمة جمع القرآن تشكل لها فى العصور الحديثة اللجان وتدرج لها الاعتمادات اللازمة للبحث عنها وتجميعها وترتيبها وطبعها وقد تستغرق عدة سنوات فتظهر لها فى موازنات الدول اعتمادات سنوية للانفاق عليها ومكافآت للعاملين فيها ٠

---

(٩) الخلفاء الراشدون — د. عبد العزيز نمار وآخرون ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ نقلا عن تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٧٧ ٠

ولكن ثواب الله خير وأبقى لمن ساهم فى جمع القرآن الكريم فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

وزيد بن ثابت جامع القرآن أنصارى من المدينة وكان سنه يوم قدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا احدى عشرة سنة وأسلم الصبى الصغير مع المسلمين من أهله ، وصحبه آباؤه معهم الى غزوة بدر ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم رده لصغر سنه وجسمه ، ورده كذلك فى غزوة أحد ووعده وأقرانه بالغزوة المقبلة لصغر سنهم .. فبدأ زيد غازيا بدءا من غزوة الخندق وقد تابع القرآن حفظا وكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الشعبى :

« ذهب زيد بن ثابت ليركب فأمسك ابن عباس بالركاب

فقال له زيد : تنح يابن عم رسول الله

فأجابه ابن عباس : لا فهكذا نصنع بعلمائنا

ويقول قبيصة :

« كان زيد رأســا بالمدينة فى القضـــاء والفتوى والقراءة والفرائض »

ويقول ابن عباس :

« لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن زيد بن ثابت كان من الراسخين فى العلم »

وكما استنجد أبو بكر الصديق بزيد بن ثابت اســتنجد به عثمان أيضا .

فقد كان القرآن مكتوبا فى أكثر من مصحف فطلب منه عثمان ابن عفان رضى الله عنه رسم المصحف ، فجمع زيد أصحابه وأعوانه

وجاءوا بالمصـــاحف من بيت حفصة بنت عمر رضى الله عنهما .
وكانت محفوظة لديها وأتموا المهمة(١٠) .

ســـمات الانفاق العام فى عهد الصـــديق :

يثور بعدأن استعرضنا أنواع النفقة العامة فى عهد الصديق سؤال عن السمات العامة للانفاق العام فى ذلك العهد ؟ نبعت هذه السمات العامة من مصدرين أساسيين وهما القرآن والسنة وقد تمسك بهما الصديق رضى الله عنه ، وهذه السمات هى :

ـ ترشيد الانفاق العام : استنادا لقول الله جل وعلا :

« والذين اذا انفقوا لم يســـرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » (الفرقان / ٦٧)

وقوله سبحانه وتعالى :

« وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا » (الاسراء / ٢٦)

ـ الانفاق العام يكون ســـرا وجهرا : استنادا لقول الله جل وعلا .

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أنيأتى يوم لا بيع فيه و لاخلال » (ابراهيم / ٣١) .

ـ عدالة الانفاق العام : اتباعا لقول الله سبحانه وتعالى :

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ، ان الله نعمـــا يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨) .

---

(١٠) رجال حول الرسول ـ مرجع سابق ـ ص ٤١٢ ـ ٤١٨ .

ـ شمول الانفاق العام : بحيث تخص المسلمين وغيرهم من الذميين من أهل الكتاب الذين ادوا الجزية للدولة الاسلامية وذلك استنادا لقول الله جل وعلا :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين » (الممتحنة / ٨) ٠

ماعدا موارد الزكاة فانها تنفق على المسلمين ٠

ـ مرونة الانفاق العام :

بعض النفقات العامة ذات طبيعة مركزية كالانفاق العام على السلاح والعتاد والبعض الآخر له طبيعة محلية كالزكاة تجبى من أغنياء البلدة وتنفق على فقرائها استنادا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لمعاذ حينما أرسله لليمن ليدعو الناس للاسلام ، فمما قاله له :

« فاذا أقروا لك بذلك فقل لهم ان الله فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد فى فقرائكم »

شوائب ألمت بالانفاق العام للدول الحديثة :

تلك كانت سمات الانفاق العام فى عهد أبى بكر ، لأنه كان يطبق فى المالية العامة للدولة الاسلامية كتاب الله وسنة رسوله ، بينما نجد أن المالية العامة لبعض الدول حديثا لا تتوافر فيها هذه السمات الطيبة ، مما شاب انفاقها العام بمخالفات حادت به عن الترشيد وكتمان السرية ـ اذا كان سريا ـ وعن العدل والشمولية والمرونة وطيب المصدر ٠

فمن الانفاق العام للدول الحديثة وجوه اتسمت بالاسراف والتبذير وضياع الأموال العامة وعدم تحقيق النفقة العامة للمنفعة العامة المرجوة منها ، اما نتيجة لأهواء القائمين على الأمور العامة

للأمة ، أو بسبب اهمال العاملين بالدولة وتراخيهم بقصد أو بغير قصد . وتتضمن تقارير أجهزة الرقابة على الأموال العامة بتلك الدول سنويا العديد من مخالفات التبذير والاسراف وعدم الترشيد .

وحديثا لا يلتزم القائمون على الانفاق العام السرى فى بعض الحالات بسريته ، بل يحدث أن تنكشف هذه السرية اهمالا أو خيانة، وساعد على ذلك تفنن أجهزة الاستخبارات حديثا فى كشف هذه السرية .

ويحدث فى بعض الحالات ألا يتسم الانفاق العام كذلك بالعدالة نتيجة سوء التوزيع بين وجوهه العامة ، كأن يؤثر بالتمويل مشروعات عامة يستفيد منها بعض علية القوم لسلطانهم أو لجاههم أو لقربهم من ذوى السلطان والجاه ، أو يوجه الانفاق العام لاستعمار دولة ضعيفة أو اسكات معارضة رشيدة أو كبت أصوات تعلو بالحق وتشكو من الظلم .

وقد لوحظ فى بعض الماليات العامة حديثا فقد بعض الانفاق العام لشموليته ، بسبب ايثار بعض المواطنين بالمنافع العامة التى تعود من الانفاق العام ضمانا لاستمرار الولاء الدينى أو السياسى أو الفكرى .

وبعض وجوه الانفاق العام خصوصا فى الدول النامية تعوزها المرونة نتيجة لتعقيد من بيدهم أمر الأموال العامة وكثرة الاجراءات . وتشدد اللوائح المنظمة لحركة المال العام ، وتركيز التصرفات الخاصة بالانفاق العام فى الوزارات المركزية وعدم التفويض فيها للوحدات العامة للحكم المحلى .

ومن الايرادات العامة التى تمول النفقة العامة ايرادات غير طيبة الكسب كاقتناص دولة كبيرة قوية لخيرات وثمرات دولة ضعيفة بطريق الاستعمار والجبر ، وما تتضمنه الايرادات العامة لبعض الدول من ايرادات تتمثل فى فوائد ربوية أو ضرائب على محرمات كضرائب الخمور والمراهنات والميسر .

الباب السادس

ادارة الصديق للمالية العامة
وتوازنهـا ووصاياه المـالية

الفصـــل الأول

ادارة الصديق للمــالية العامة
حققت التوازن

أهمية ادارة المالية العامة :

لابد أن تحاط الايرادات العامة والنفقات العامة للدولة باطار اداري تقود فيه الحماية الادارية أنشطة المالية العامة نحو تحقيق أهدافها ، وقد ظهرت أهمية الادارة للمالية العامة بعد أن تدخلت الحكومات في الأنشطة المالية والاقتصادية والاجتماعية التي يزاولها الأفراد لاحداث التوازن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، فتنشأ عن ذلك كثير من المشاكل التي تتصدى الادارة المالية لحلها ·

وللادارة المالية دورة عبارة عن عدة مراحل تمر بها وهي :

التخطيط المالي ·

التنظيم والاشراف المالي ·

تعبئة الموارد ·

الرقابة المالية ·

وتوضح فيمايلى طبيعة هذه المراحل فى المالية العامة الاسلامية ومدى تأثرها باجراءات يكون الخليفة الأول أجراها أو سلوكيات سلكها :

تخطيط المالية العامة فى عهد الصديق :

التخطيط المالى فى المالية العامة الاسلامية بالنسبة لبعض الموارد العامة تولاه الله جل وعلا فى القرآن الكريم حينما فرض الزكاة وحدد أوجه صرفها وأحل الغنائم للمسلمين وأمر بأن يؤول خمسها لبيت المال لينفق فى وجوه محددة ، وحينما أمر باستئداء الجزية من أهل الكتاب بعد أن تعرض عليهم بدائل ثلاثة الاسلام أو الجزية أو القتال ليختاروا أحد هذه البدائل ٠

وأما خراج الأرض وان لم يشر اليه مباشرة فى القرآن الكريم فهو يمثل عائد الأرض التى هى أحد أنواع الغنائم العامة التى أحلها الله جل وعلا للمسلمين اذا تحقق النصر وآلت أراضى الدولة المفتوحة للدولة الاسلامية ٠

والانفاق العام كذلك خططه الاسلام تخطيطا عاما فأمر بترشيده فلا اسراف ولا تقتير ، وأجاز العلنى منه والسرى ، وحض على عدم اكتنازه ، وحرم معاملاته الربوية ، ونهى عن بخس معاملاته ، وقد كان التخطيط فى القرآن الكريم للمال مطلقا فشمل بذلك المال العام والخاص ٠

أعلن أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى أول خطاب له عن عزمه على طاعة الله ورسوله ، ومن الطاعة الالتزام بما ورد بالقرآن الكريم بشأن تخطيط الموارد العامة والنفقات العامة ٠

وقد التزم الصديق بذلك التزاما اعتبره بعض الصحابة فى أول الامر تشددا لا تجيزه الأحوال العامة التى كانت تمر بها الدولة

الاسلامية عقب وفاة الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه صمم وحارب المرتدين عن الزكاة كما أوضحنا ، وكان تخطيطه للمعارك والفتوحات على النحو السابق ايضاحه تخطيطا سليما موفقا أدى لانتصار المسلمين وكان من نتائج النصر تثبيت ايراد عام من موارد الدولة الاسلامية وهو الزكاة والانفاق العام منها على وجوهها المخططة بالقرآن ، وكان من نتائجه كذلك تدفق موارد عامة أخرى وهي خمس الغنائم والجزية على أهل الكتاب .

التنظيم والاشراف المالي في عهد الصديق :

خطط الله جل وعلا كما ذكرنا الموارد العامة وكان هذا التخطيط عاما قد أبلغ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظم قواعدها ليتمكن المسلمون حكاما ومحكومين من تنفيذ ما أمر به الله جل وعلا ، فحدد الأموال الخاضعة للزكاة ونصابها وفئاتها وكيفية تحديد أوعيتها التي تسري عليها وأرسل المصدقين لتحصيلها ووجهها لوجوه انفاقها بعد أن أبان وأوضح هذه الوجوه .

وطبق الجزية ونظم طرق تطبيقها فكان يرسل الكتب للملوك والرؤساء يدعوهم للاسلام أو الجزية وكان يكتب شروط الصلح وشروط دفع الجزية وكان يحصلها نقدا أو عينا ، ونظم كذلك خراج أرض خيبر وغنائم الفتوح على النحو السابق ايضاحه .

وفي عهد أبي بكر الصديق أعلن كما سبق التنويه أنه سيلتزم بطاعة الله وطاعة رسوله فأنفذ سننه وطبق نظمه ، فتولى الاشراف العام على أمور الدولة الاسلامية ومنها الأموال العامة وكان يساعده في ذلك أبو عبيدة بن الجراح وعين الولاة الذين يدخل في اختصاصهم جمع خراج الدولة والمصدقين المكلفين بجمع أموال الزكاة ، وقد رأينا كيف كان قواده يتلقون منه التعليمات باعلان الاسلام أو الجزية أو القتال ، وكيف كان هؤلاء بعد النصر يرسلون للخليفة ما جمعوه من الجزية من أهل الكتاب ، طبقا لعقود الصلح التي كانوا يبرمونها مع زعماء البلاد المفتوحة ، وكيف كانوا يعينون ممثلين عن الدولة

الاسلامية ليجمعوا ما استحق عليهم للدولة من خراج طبقا لشروط الصلح .

لم يكن فى عهد الصديق وحدة تنظيمية لبيت المال :

لما أتت الأموال أبا بكر الصديق .

قالوا له : ألا تجعل على بيت المال من يحرسه

قال : لا يخاف عليه

قالوا : ولم

قال : عليه قفل

وفى الحق أن بيت المال كان فى داره فكانت تجمع فيه موارد الدولة ومنها ينفق على وجوه نفقاتها المختلفة .

ولم تقام منشآت لبيت المال الا فى عهد عمر بن الخطاب حيث أنشأ ديوانين أحدهما للعطاء والآخر للخراج كما سبق ان ذكرنا .

وكان هذا هو الشأن فى كل أنشطة الدولة فكان الخليفة يدير أمور الأمة فى مسجد الرسول جالسا على الحصباء كما كان يفعل الرسول صلى الله عليه وسلم .

وصايا الصديق تضمنت مبادىء تنظيمية للولاة والعاملين بالدولة(١) :

عندما عقد الصديق ليزيد بن أبى سفيان على رأس جيش كبير ووجهه الروم أوصاه قائلا :

« يايزيد ، انى قد وليتك لابلوك وأجربك ، فان أحسنت زدتك وان أسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى

---

(١) الصديق أول الخلفاء ـ مرجع سابق ـ الفصل الخامس/٤ .

يرى من ظاهرك ، وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا بعمله ، وقد وليتك عمل خالد بن سعيد بن العاص، فاياك وعيبة الجاهلية (عيبة بضم العين وكسر الياء المشددة وفتح الياء المشددة هى الكبرياء والزهو) فان الله يبغضها ويبغض أهلها ٠

واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه (أى بالخير) ، واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ٠

واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم ، وأقلل لبثهم (أى اقامتهم) حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ، ولا تريثهم (من التريث) فيروا خلك ويعلموا علمك ، وامنع من قبلك من محادثتهم ، وكن أنت المتولى لكلامهم ، و لاتجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك ، واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ، ولا تخف عن المشير خبرك ، فتؤتى من قبل نفسك واسمر بالليل فى أصحابك تأتك الأخبار ، وتنكشف عنك الأستار ، وأكثر من حرسك ، وبددهم فى عسكرك ، وأكثر مفاجآتهم فى محارسهم بغير علم منهم بك ٠ فمن وجدته غفل عن محروسه فأحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط وأعقب (اجعلهم يتعاقبون) بينهم بالليل ، واجعل النوبة الأولى أكثر من الأخيرة فانها أيسرها لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجج فيها (من اللجاج) ، ولا تسرع اليها ، ولا تخذلها مدقعا (أى لا تجبن فيها) ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ٠

ولا تكشف الناس أسرارهم واكتف بعلانيتهم ٠

ولا تجالس العباثين (من العبث) وجالس أهل الصدق والوفاء ، وأصدق اللقاء ، ولا تجبن فيجبن الناس ٠

واجتنب الغلول (الخيانة) فانه يقرب الفقر ويدفع النصر ٠

وستجدون أقواما حبسوا أنفسهم فى الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له »

وروى يزيد بن أبى سفيان :

« قال لى أبو بكر لما بعثنى الى الشام :

يايزيد ! ان لك قرابة عسيت (من عسى) أن تؤثرهم بالامارة من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباه ، فعليه لعنة الله ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا (أى التوبة والعوض) حتى يدخله جهنم ، ومن أعطى أحدا حمى الله فقد انتهك فى حمى الله شيئا بغير حقه ، فعليه لعنة الله ، وتبرأت منه ذمة الله عز وجل »

ومن الوصايا السابقة يمكن استخلاص المبادىء التنظيمية التالية :

مبادىء تنظيمية مستخلصة من وصايا الصديق :

ـ الكفاءة هى أساس اختيار من يتولون أمور الدولة ٠

وتستخلص هذه القاعدة من وصية الصديق « بأن من ولى أمر المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله » ٠

ـ لا يجوز للحاكم أن يؤثر ذوى قرباه بالتعيين لتولى أمور الدولة ٠

ويستخلص ذلك من وصية الصديق « ان لك قرابة عسيت أن تؤثرهم بالامارة »

ـ العمل العام مما يتقرب به الى الله ٠

ويستنتج ذلك من وصية الصديق « وأقرب الناس من الله أشدهم تقربا بعمله » ٠

ـ يمضى العاملون بالدولة فى بدء تعيينهم فترة اختبار فان أحسنوا ثبتوا وان أساءوا عزلوا ٠

وهذا المبدأ ينبع من قول الصديق ليزيد « يايزيد انى قد وليتك لأبلوك وأجربك فان أحسنت زدتك ، وان أسأت عزلتك »

ـ الولاة وعمال الدولة لا يتكبرون على الرعية ولا يزهون عليها ٠

وذلك مأخوذ من قول الصديق محذرا « فاياك وعيبه الجاهلية »

ـ الوالى والرئيس قدوة لمرؤسيه ٠

وذلك من وصية الصديق ليزيد « وأصلح نفسك يصلح لك الناس » ٠

ـ صلاح الأعمال العامة يقتضى وجود العلاقات الانسانية بين الرؤساء والمرؤوسين ٠

وتستفاد هذه القاعدة من قول الصديق ليزيد « واذا قدمت على جندل فاحسن صحبتهم » وقوله له « واسمر بالليل فى أصحابك »

ـ وجود نظام الحوافز ضرورى لحسن سير العمل ٠

ويتضح ذلك من قول الصديق ليزيد بأن يبدأ جنده بالخير ويعدهم اياه ٠

ـ الايجاز والتركيز فى التعليمات التحريرية والشفوية يسهلان تنفيذها ٠

وذلك استنتاجا منقول الصديق ليزيد « واذا وعظتهم (أى الجنود)فأوجز فان كثير الكلام ينسى بعضه بعضا » ٠

ـ نظام رقابة الأعمال يؤدى الى كفاءة أدائها ٠٠

وهذا مستخلص من قول الصديق حينما أوصى يزيد بأن يكثر مفاجأة جنوده فى محارسهم بغير علم منهم بذلك ٠

ـ عقاب المقصرين فى مهام الدولة تقتضيه المصلحة العامة ٠

ويؤخذ ذلك من وصية أبى بكر ليزيد « فمن وجدته غفل عن محرسه فاحسن أدبه وعاقبه فى غير افراط » ٠

ـ اذا وقع على مقصر عقاب وجب تنفيذه فى وقته ودون خوف وبغير زيادة ٠

وذلك ما أمر به أبو بكر يزيد فقال « لا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجج ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدقعا » ·

— نظم ادارة الأعمال تتلاءم مع طبيعة كل عمل ·

وذلك يؤخذ من وصية الصديق ليزيد بتنظيم نوبة الحراسة بين جنده وجعل النوبة الاولى أكثر من الأخيرة فانها أيسرها لقربها من النهار ·

— ذكر ما يتصف به الأمراء والولاة وعمال الدولة الخيانة ·

فقد أوصى الصديق يزيد بأن يتجنب الغلول فقال « واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر » ·

— صدق من يستشير ووضوح موضوعه ضروريان لنجاح المشورة ·

وهذا ما نصح به الصديق يزيد فقال له « واذا استشرت فأصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخف عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك » ·

— لا يتخذ الأمراء والولاة والرؤساء حاشية من دونهم فيألونهم خبالا ·

فقد قال الصديق ليزيد « ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء » ·

— تقوى الله فيها صلاح الأمر كله ·

فقد نصح الصديق يزيد فقال له « فعليك بتقوى الله فانه يرى من باطنك مثل الذى يرى من ظاهرك . وان أولى الناس بالله أشدهم توليا له » ·

وقال له « وصل الصلوات لأوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها » ·

الصديق يضرب المثل باختيار الأكفاء للأعمال :

جعل أبو بكر الصديق خالد بن الوليد فى معركة اليرموك أميرا على أبى عبيدة الجراح لأنه أكفأ وأدرى منه بالحرب بالرغم من أن أبا عبيدة كان الأسبق اسلاما وواحدا من بين المبشرين العشـــرة بالجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبو بكر فى الجنة ، وعمر فى الجنة ، وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة ، وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف فى الجنة ، وسعد بن أبى وقاص فى الجنة ، وسعيد بن زيد فى الجنة وأبو عبيدة بن الجراح فى الجنة »

وبالرغم من أن أبا عبيدة أمين الأمة وكان يوم السقيفة أحد الذين رشحهم الصديق الخلافة ٠

وبذلك استفادت الأمة من كفاءة الأكفاء حتى ولو لم يكونوا من الذروة فى التقوى ٠

تعبئة الموارد العامة فى عهد الصديق :

تعبئة الموارد العامة من الأهداف الهامة التى ينبغى أن تعمل على تحقيقها ادارة المالية العامة ، ذلك أن الموارد هى المنبع الذى يمول النفقات العامة على أنشـــطة الدولة المختلفة ، وقد عملت السياسة التى انتهجها أبو بكر الصديق رضى الله عنه على تعبئة موارد الدولة الاسلامية ، فلولا تصميمه على محاربة الممتنعين عن الزكاة لتوقفت مواردها أو لاقتصـــر أداؤها على قبائل قليلة من العرب لم تمتنع عن أداء الزكاة كسائر القبائل ولو وهن الصديق رضى الله عنه فى محاربتهم لاشرأبت أعناق اليهود والنصارى وطالبوا المعاملة بالمثل فى أمور الجزية والخراج ، كما ان تمسك أبى بكر الصديق رضى الله عنه بسياسة الجهاد أدت الى زيادة الموارد فمن أسلم أدى الزكاة المفروضة ومن أبى من أهل الكتاب وقبل الجزية

أداها لبيت المال ، ومن قاتل المسلمين هزم وتحقق نصر الله وصارت أموالهم غنائم يؤول لبيت مال المسلمين خمسها ، وهكذا عبأ التصميم على الجهاد الموارد العامة للمالية العامة فى عهد الخليفة الأول رضى الله عنه ٠

رقابة المال العـــــام فى عصـــــر الصـــــديق :

نبعت رقابة الأموال العامة فى عهد الصديق من القدوة والتقوى القدوة بالصديق الذى ظل مدة من خلافته بدون أجر يتاجر لينفق على معاشه ، ثم حدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم له مرتبا ليتفرغ لشئون الدولة ، ثم يعيش زاهدا فى الأموال العامة وفى الخلافة نفســـــها ، فيقول وهو فى مرض الموت « وودت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين ــ يريد عمر وأبا عبيدة ــ فكان أحدهما أميرا وكنت وزيرا ٠٠ »(٢) ٠

وتعفف الرؤساء عن الأموال العامة يشيع فى الأمة قدسية المال العام وصيانته وأداء التزاماته ، كما أن التقوى تولد فى النفوس خشية الله فى الأموال العامة فيحافظ عليها الرؤساء والولاة والعاملون عليها ويؤدى المولون التزاماتهم طواعية خشية الله ، وقد أدت كل من القدوة والتقوى ألى وجود الأنواع التالية من الرقابة على الأموال العامة فى عهد الصديق وجودا تلقائيا :

رقـــابة ذاتيــــــة :

ولدتها تقوى الخليفة والصحابة والمولين فخشوا الله وعرفوا أن المال العام مال الله فحافظوا عليه ورشدوا انفاقه وأدوا فرائضه لبيت المال ٠

---

(٢) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٣٠ ٠

رقـــابة ســـــياسية :

حلت محل السلطة التشريعية حاليا فى رقابة حركة الأموال العامة للدولة ، وقد قام بها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأصول التى تعلموها فى مدرسته والتى قامت على الزهد فى الأموال العامة والاستقامة فى السر والعلن ، وكان هؤلاء الصحابة حول الخليفة الأول يبذلون النصح ويقدمون المشورة فى أمور الدولة ومنها أمور المال العام ·

رقـــابة الأداء :

كانت آيات القرآن الكريم وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمسك الأمة بها بعد وفاة الرسول مباشرة كفيلة بانضباط دورة المال العام **واتقان تأدية عملياتها فالاسلام يهتم بجودة الأعمال** ويرفع الله جل وعلا الاعمال الصالحة ، استنادا لآية :

« من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ، اليه يصـــعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ···) (فاطر / من ١٠) ·

ومن الأحاديث النبوية :

« ان الله يحب من أحدكم اذا عمل عملا أن يتقنه »

« ان الخازن المسلم الأمين الذى يعطى ما أمر به كاملا وموفرا طيبة بها نفسه حتى يدفعه الى الذى أمر له به ، أحد المتصدقين » أخرجه الامام أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن أبى شيبة فى مصنعه ·

وعن بريدة الأسلمى رضى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

«من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذ بعد فهو غلول»

الصديق وضع نواة نظام لمحاسبة الولاة :

وقد أراد أبو بكر أن يضع نظاما للرقابة على أعمال الولاة ومحاسبتهم فلما قدم معاذ بن جبل أمير اليمن على المدينة ·

قال له الصديق : ارفع حسابك

فغضب معاذ وقال : حساب من الله وحساب منكم ؟ والله لا ألى لكم عملا أبدا ، وان كان الصديق وضع أساس هذا النظام فى عهده فقد توسع فيه عمر بن الخطاب ، فكان يحاسب الولاة على أى زيادة فى أموالهم ·

التوازن المالى أهم أهداف ادارة المالية العامة :

من أهم ما تهدف اليه ادارة المالية العامة لأى دولة هو العمل على توازن ماليتها العامة بحيث لا تسفر الادارة عن ظهور عجز فى ماليتها العامة بسبب زيادة النفقات العامة عن الايرادات العامة ، لأن العجز لابد أن يغطى لتمويل النفقات العامة التى لم تكف الموارد العامة للدولة لتغطيتها ، وحديثا لتغطية عجز المالية العامة تقوم الدول بالاقتراض من دول أخرى أو من مؤسسات دولية تقوم باقراض الحكومات ، وكثيرا ما ينتج عن الاقتراض الحكومى مشاكل عامة ، فالقروض لها أقساط تحل فى سنوات مقبلة فتعتبر عبئا على الأجيال المقبلة ، وتحد من طاقة الدولة فى مستقبل السنين من الانطلاق المالى، اذ يلتهم سداد تلك الأقساط جزءا هاما من مواردها العامة ، وكثيرا ما توجه الأموال المقترضة لاشباع حاجات أو خدمات عامة لها طبيعة استهلاكية غير انتاجية فلا تؤدى أموال القروض الى زيادة الانتاج فتدخل الدول فى حلقات التضخم الاقتصادى وما يتبعه من ارتفاع الأسعار وغلاء حاجيات الشعوب خصوصا أصحاب الدخول المحدودة والفقراء والمساكين والضعفاء ·

لم يحدث أن احتاج الصديق وهو رئيس دولة للجوء للاقتراض، فقد توازنت ماليته وحققت فائضا وهو ماسنوضحه فيما يلى :

توازن المالية العامة للدول بين الاقتصاديين القدماء والمحدثين :

كما سبق أن أوضحنا تعد الدول حديثا موازنات عامة سنويا يظهر فى أحد جانبيها تقديرات الايرادات العامة وفى الجانب الآخر تقديرات النفقات العامة ، فاذا ساوى مجموع الايرادات مجموع النفقات كانت الموازنة العامة متوازنة توازنا كميا ، واذا زاد اجمالى الايرادات العامة عن اجمالى النفقات العامة كان بالموازنة العامة فائض ، والعكس اذا زاد اجمالى النفقات العامة عن الايرادات العامة أسفرت موازنة الدولة عن عجز ·

وكان توازن الموازنة العامة محل آراء بين الاقتصاديين القدماء والمحدثين ·

فقد رأى الاقتصاديون القدماء ألا تزيد الدولة نفقاتها العامة على ايراداتها العامة لأن ذلك يحقق عجزا فى الموازنة العامة مما يضطر الحكومة لتغطية هذا العجز عن طريق الاقتراض من المواطنين ، وهذا يؤدى الى سحب الأموال من الاستثمار الخاص ، وانفاقها فى وجوه عامة استهلاكية غير انتاجية مما يحرم المجتمع من زيادات فى الدخل القومى كانت ستتحقق لو لم تقترض الدولة هذه الأموال، فضلا عن أن الحكومة بهذا الانفاق تزيد الطلب على السلع المتاحة فترتفع أسعارها مما يؤدى الى حدوث التضخم الاقتصادى ، كما أن أقساط القروض تمثل عبئا على الموازنات العامة المستقبلة ·

غير أنه فى الثلاثينيات عدل الاقتصاديون عن مبدأ التوازن الكمى ونادوا بالتوسع المحسوب فى الانفاق الحكومى بزيادة النفقات العامة عن الايرادات العامة ولو أدى الأمر للاقتراض والقيام بمشروعات عامة تزيد الانتاج وتوظف العمال ، فتحدث توازنا اقتصاديا ، وهو أهم من التوازن الكمى ·

فالتوازن الكمى للموازنة العامة للدولة كان هو السائد فى القرون الوسطى ، فماذا كان موقف المالية العامة للدولة الاسلامية فى عهد الصديق رضى الله عنه ؟ هل كانت متوازنة فكان الانفاق العام

فى حدود الموارد العامة ، أم كانت الموارد العامة أكثر من النفقات العامة فحققت فائضا أم العكس زادت النفقات العامة عن الايرادات العامة فحققت عجزا ؟

المالية العامة فى عصر الصديق توازنت وحققت فائضــا وزع منه عطاءا على الرعية :

قدم على أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه مال

فقال : من كان له عند النبى صلى الله عليه وسلم عدة فليأت

فجاءه جابر بن عبد الله فقال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا يشير بكفيه

فقال له أبو بكر رضى الله عنه : خذ

فأخذ جابر بكفيه ثم عده فوجده خمسمائة

فقال له أبو بكر رضى الله عنه : خذ اليها ألفا

فأخذ جابر ألفا

ثم أعطى أبو بكر رضى الله عنه كل انسان كان مسول الله صلى الله عليه وسلم وعده شيئا .

وبقيت بقية من المال فقسمها بين الناس بالسوية على الصغير والكبير والحر والمملوك والذكر والأنثى ، فخرج على سبعة دراهم وثلث لكل انسان(٣) .

فلما كان العام المقبل جاء مال كثير هو أكثر من ذلك فقسمه بين الناس فأصاب كل انسان عشرين درهما فجاء ناس من المسلمين فقالوا : ياخليفة رسول الله ، انك قسمت هذا المال فسويت بين الناس

---

(٣) الخراج لأبى يوسف ص ٤٢ وفى رأى آخر أنها تسعة وفى كتاب الأموال لأبى عبيد نصف دينار لكل انسان ص ٣٣٥ .

ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم ، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل بفضلهم ؟

فقال أبو بكر رضى الله عنه : أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعرفنى بذلك ، وانما ذلك شىء ثوابه على الله جل ثناؤه ، وهذا معاش ، فالأسوة فيه خير من الاثره(٤) .

وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : وددت أنى اتخلص مما أنا فيه بالكفاف ويخلص لى جهادى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥) .

أبو بكر يساوى فى العطاء بين الأسياد وتابعيهم :

قال أبو قرة : « فسم لى أبو بكر من الفىء مثل ما قسم لسيدى » .

وبذلك طبق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن مولى القوم منهم . ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد بعث رجلا من بنى مخزوم على الصدقة .

فقال لأبى رافع (وهو أحد موالى النبى) : اصحبنى كيما تصيب منها (أى من الصدقة)

قال أبو رافع : لا حتى آتى النبى صلى الله عليه وسلم فاسأله

وانطلق فسأله :

فقال صلى الله عليه وسلم : ان الصدقة لا تحل لنا وان موالى القوم من أنفسهم(٦) .

---

(٤) الخراج لأبى يوسف ـ مرجع سابق ـ ص ٤٢ .

(٥) **الأموال لأبى عبيد ـ مرجع سابق ـ ص ٣٣٥ .**

(٦) المرجع السابق ص ٣١١ ويذكر أبو عبيد أباقرة تابع ولكنه كان محررا وليس من العبيد .

الأنصار عارضوا المساواة فى العطاء ثم اقتنعوا :

وكان الأنصار من المعارضين لمبدأ المساواة فى قسمة فائض المال العام لأنهم كانوا يرون أن يفضلهم الخليفة ، فهم الذين أووا المهاجرين ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ملاك المدينة وحكامها وأصحاب أمرها وأموالها قبل الاسلام ، فنزلوا عن الأمر للرسـول ثم من بعده للمهاجرين حينما بايعوا أحدهم وهى خليفة رسول الله ، فجاءوا الخليفة

وقالوا له : فضلنا ياخليفة رسول الله

قال : صدقتم ، ان أردتم أن أفضلكم صار ماعملتوه للدنيا ، وان صبرتم كان لله عز وجل .

فقالوا . والله ما عملنا الا لله تعالى

فصعد أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى وسلم على النبى ثم قال :

يا معشر الأنصار ان شـئتم تقولوا انا آويناكم فى ظلالنا ، وشاطرناكم فى أموالنا ونصرناكم بأنفسنا لقلتم ، وان لكم من الفضل مالا يحصيه العد ، وان طال به الأمد فنحن وأنتم كما قال طفيل

جـزى الله جعفـر حـين أزلقت
بنـا نعلنـا فى الواطئـين فزلت
أبوا أن يمـلونا ولو أن أمنـا
تلاقى الذى يلقـون منـا لملت
هم أسـكنونا فى ظلال بيـوتهم
ظـلال بيـوت أدفـأت وأظلت

ونزل أبو بكر

وتذكر هو وبعض كبار الأنصـار ما كان منهم يوما من أيام الرسول صلى الله عليه وسلم حينما لم يعط الأنصار من غنائم هوزان

فوجدوا عليه فى أنفسهم لما صنع ، فجمع الانصار ، وكان مما قاله عليه الصلاة والسلام لهم :

« أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم ، اتيتنا مكذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك وعازلا فآسيناك ، وجدتم في أنفسكم يا معشر الأنصار في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ، ووكلتم الى اسلامكم ، أفلا ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله الى رحالكم ، فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شعب الأنصار ، اللهم أرحم الأنصار وابناء الأنصار وابناء ابناء الأنصار

فبكى القوم وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا (٧) .

العدول عن مبدأ المساواة في خلافة عمر :

فلما كان عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه وجاءت أموال الفتوح عدل عن المساواة وفضل .

وقال : لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كمن قاتل معه ، ففرض لأهل السوابق والقدم من المهاجرين والأنصار ممن شهد بدرا خمسة آلاف ولمن لم يشهد بدرا أربعة آلاف ، وفرض لمن كان له اسلام كاسلام أهل بدر دون ذلك ، أنزلهم على قدر منازلهم من السوابق (٨) .

فمن ذلك يبين أن المالية العامة في عهد أبى بكر كله حققت فائضا مكنته من توزيع معاش على جميع المسلمين بالتساوى بدأ قليلا ثم زاد في السنة الثانية ، وقد توفى في السنة الثالثة من خلافته فلما آلت الخلافة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه زاد التوزيع وجعله على قدر منازل الناس من السوابق .

---

(٧) الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٨) الخراج لأبى يوسف ص ٤٢ .

ويرجع توازن المالية العامة فى عهد أبى بكر الصديق وتحقيق فائض للأسباب التالية :

أسباب التوازن المالى فى عصر الصديق وتحقيق فائض :

ــ صمم أبو بكر الصديق على اســتئداء بيت المال لحقوق الفقراء من الزكاة ، فلما امتنع المرتدون عن الأداء حاربهم وانتصر عليهم فتدفقت أموال الزكاة على بيت المال مما غطى حاجة المستحقين لها ٠

ــ استمرار الصديق فى سياسة الجهاد لاعلاء كلمة الله ونشر الدين الاسلامى وتحقيق النصر أدى الى غنائم لأموال الأعداء وأتى بيت مال المسلمين خمس هذه الغنائم على النحو السابق تفصيله ٠

ــ كان لسياسة الجهاد أثرها فى زيادة مورد آخر من موارد بيت المال وهو الجزية اذا تمسك أهل الكتاب بدينهم ورضوا بالصلح ودفع الجزية وعدم اللجوء للقتال ٠

ــ كان ممن يعملون للدولة من لا يتناولون منها أجرا اكتفاء بثواب الله سبحانه وتعالى ، كنشاط مساعدى الخليفة ونشاط أفراد السلطة التشريعية والسلطة القضائية على النحو السابق ايضاحه ٠

ــ أديت بعض الخدمات العامة للدولة تطوعا بدون نفقة عامة ، فالخــدمات التعليمية مثلا التى تدرج لها الدول حاليا الاعتمادات الكبيرة لأجور الأساتذة بالجامعات والمعلمين بالمدارس ومعــاهد التعليم المختلفة كان يؤديها الصحابة ابتغاء ثواب الله فيعلمون الناس ما وعوه وسمعوه من قرآن كريم وأحاديث نبوية شريفة وتفاسير قرآنية وسير الغزوات وفقه المعاملات ٠

ــ ساهم فى هذا الفائض ذهب أتى من منجم للذهب ظهر غير بعيد عن المدينة ، كما أتى الخليفة مال من معدن ثمين اكتشف فى أرض جهينة ٠

- كان المسجد النبوى هو المكان الوحيد للنشاط الحكومى ، فكفى المالية العامة فى عهد أبى بكر الصديق عن ادراج الاعتمادات لمقابلة نفقات انشاء الدواوين العامة والمصالح وأبنية المدارس وانشاء المحاكم وغيرها كما يتبع حاليا فى الموازنات العامة للدولة ٠

مما سبق يتضح أنه كانت فى عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه عوامل أدت الى زيادة الايرادات العامة وتقليل وترشيد الانفاق العام مما أدى الى توازن المالية العامة فى عهده وتحقيق فائض وزعه الخليفة على الناس بالتساوى ٠

على أن التوازن المالى لم يكن هو التوازن الوحيـــد فى عهد الصديق رضى الله عنه ، فقد تحققت أنواع أخرى من التوازن وهى :

تحقق التوازن الدينى فى عهد الصديق بجانب التوازن المالى :

ليس بالتوازن المالى فقط فى الدول الاسلامية يتحقق التوازن العام للدولة والأفراد ، بل لابد أن يكون مصحوبا بالتوازن الدينى فى نفوس وقلوب الأمة قولا وعملا ، وفى عهد أبى بكر الصديق لم يكن تصميمه على أداء الزكاة فقط بهدف حماية الحقوق المالية لمستحقيها ، وانما كان أساسا لأنها ركن من أركان الدين وعمود من عمده ، فاذا هوى هذا الركن ومال هذا العمود ، أدى الى عدم توازن تطبيق المسلمين لقواعد الاسلام وتعاليمه وعدم الاستجابة لآيات الزكاة فى القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشأنها ٠

ومما زاد فى التوازن الدينى للأمة والدولة فى عهد أبى بكر العمل على استمرار الجهاد بعد رسول الله صلى الله عليه وســـلم والتطوع بالأموال والأنفس والاستشهاد فى سبيل العقيدة ، فأطمأنت النفوس وزكت القلوب وسمت الأرواح ، ولو كانوا تركوه لضاع التوازن ولضربهم الله بالذل كما قال الصـــديق فى أول خطاب له ولألزمهم الله مذلة فى رقابهم لا تنفـــك عنهم حتى يتوبوا الى الله ويرجعوا الى ما كانوا عليه من جهاد كما أشار الى ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم السابق ذكره عند التنويه عن فضل الجهاد :

تحقق التوازن الاجتماعي في عصر الصديق بجانب التوازن المالي والديني :

ساهمت المالية العامة بجانب التوازن الديني في الحفاظ على التكافل الاجتماعي الذي تركه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته في مجتمع الدولة الاسلامية ، فقد كفل في عهده الأنصار المهاجرين وكفل الأغنياء الفقراء وكفل القادرون العاجزين ، وكاد صرح من صروح هذا التكافل أن يتصدع وهو الزكاة ، ويقف أثرها الفعال في تذويب الفروق بين الطبقات بما يناله الفقراء والمساكين من حقوق لهم في أموال الأغنياء ، وكاد أثرها في تحرير العبيد وحصولهم على حقوقهم السياسية بما ينفق على تحريرهم من الزكاة لعتقهم وأداء مكاتبتهم أن يتلاشى ، ولكن الصديق حارب وثبت الزكاة فاستمرت في أداء رسالتها في تحقيق التكافل والتوازن الاجتماعي ، فلم يشهد المجتمع الاسلامي طيلة خلافة أبي بكر ما شهده في آخر أيام عمر بن الخطاب من فروق واسعة بين الأغنياء والفقراء مما جعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في أواخر خلافته(٩) .

« لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فقسمتها على الفقراء »

ولم يشهد المجتمع الاسلامي ما شهده في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه من دعوة صحابي جليل وهو أبو ذر الغفاري لأغنياء المسلمين بأن في أموالهم حقوقا فوق الزكاة لفقراء المسلمين ولم يشهد تلك الفتنة الكبرى التي وقعت في عهد الخليفة الثالث فأطاحت باستقرار الدولة الاسلامية وتكافل أبنائها(١٠) .

---

(٩) أنظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » طبعة الهيئة العامة للكتاب ص ٢٣٢ .

مميزات عطاء بيت المال فى عصر الصديق :

عطاء بيت المال مصدره الايرادات العامة من الجزية والخراج وليس مصدره الزكاة ولا خمس الغنائم فهى مخصصة لوجوه انفاق محددة وليست لكل المسلمين ، وقد تميز العطاء فى عهد الصديق رضى الله ، كما ذكرنا ، أنه قام على المساواة بين الناس ، فلم يكن له الأثر الذى كان لعطاء عمر بن الخطاب والذى قام على أفضلية السابقين فى الاسلام على من جاء بعدهم ، فقد أدى الى توسيع درجات الغنى وتوسيع الفروق بين الأغنياء والفقراء مما جعل عمر بن الخطاب يقول قولته السابقة ويقول أيضا بشأن العطاء :

« والله لئن بقيت الى هذا العام المقبل لألحقن آخر الناس بأولهم ولأجعلنهم بيانا واحدا »[11] .

وبذلك أراد أن يرجع لسياسة الصديق التى قامت على المساواة فى عطاء بيت المال للمسلمين .

عطاء بيت المال خير من تكوين احتياطى عام :

اذا فاضت الايرادات العامة للدول الحديثة عن نفقاتها العامة وحققت فائضا فانه يرحل للسنوات التالية كاحتياطى عام لمقابلة أى نقص فى الموارد العامة أو زيادة طارئة فى النفقات العامة ، مما يدعو للتساؤل لماذا لم يبق الصديق الفائض لمقابلة أى عجز مستقبل ؟ يبدو أن الصديق كان يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم الذى

---

(١٠) انظر كتابنا « السياسة المالية لعثمان بن عفان » الهيئة العامة للكتاب ص وما بعدها .

(١١) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » ــ مرجع سابق ــ ص ٢٣٢ .

كان يكره أن تبيت عنده أموال عامة ، وكان يسرع فى توزيعها[12] وكان يعتقد أن أساس رخاء الأمة الاسلامية هو تقوى أبنائها أولا وذلك استنادا لقول الله جل وعلا ·

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » (الاعراف / ٩٦) ·

وقد قال قائل بعد خلافة أبى بكر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب « لو تركتا فى بيت الأموال عدة لكون ان كان »

فغضب وقال « كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقانى الله شرها ، وهى فتنة لمن بعدى · بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله ، طاعة الله ورسوله فهى عدتنا التى بها أفضيت الى ما ترون ، فان كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم»[13] ·

عطاء الصديق لوجه الله تعالى :

كان عطاء الصديق نقيا لوجه الله سبحانه وتعالى ، فلم يكن لتحقيق أغراض سياسية كما حدث فى عهد بنى أمية بعد الخلفاء الراشدين حينما كانوا يمنحون العطاء لمن والاهم ووالى ملكهم وحكمهم ويمنعونه عن طوائف أخرى من المسلمين كانت تعتقد أن أتباع على بن أبى طالب رضى الله عنه أحق من بنى أمية بالحكم ·

صحابى يمتنع عن أخذ عطاء بيت المال :

عن سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير أن حكيم بن حزام رضى الله عنه قال :

سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطانى

---

(١٢) انظر كتابنا « السياسة المالية للرسول » — مرجع سابق — ص ١٩٤ ·

(١٣) انظر كتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » — مرجع سابق — ص ٢٠٥ ·

ثم قال لى : ياحكيم ان هذا المال خضر حلو فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه باشراف نفس(١٤) لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا(١٥) خير من اليد السفلى(١٦) .

قال حكيم : فقلت يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ(١٧) أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا .

فكان أبو بكر يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى أن يقبل منه شيئا(١٨) .

وبذلك ضرب حكيم المثل فى التعفف عن حقه المشروع فى الأموال العامة ، اين هذا مما يحدث الآن من محاولات للبعض للاثراء من الأموال العامة بكل الطرق ، فبعض المؤتمنين على الأموال العامة يختلسون منها ، وبعض العاملين فى الأمور العامة يضحون بأموالها ويضيعون حقوقها المالية فى سبيل مال حرام يحصلون عليه أو منفعة غير مشروعة تعود عليهم أو لارضاء صاحب نفوذ أو للتقرب لذى جاه ، فالله من ورائهم محيط .

صحابى آخر يوزع عطاءه ويأكل من عمل يده :

كان سلمان الفارسى يوزع عطاءه – وكان فى أيام عمر بن الخطاب وفيرا – ويرفض أن يناله منه درهم واحد ويقول :

« أشترى خوصا بدرهم فاعمله ، ثم أبيعه بثلاثة دراهم ، فأعيد درهما فيه ، وأنفق درهما على عيالى ، وأتصدق بالثالث .. ولو أن عمر بن الخطاب نهانى عن ذلك ما انتهيت »(١٩) .

---

(١٤) اشراف النفس اى بتطلب النفس وتطلعها اليه وحرصها الشديد

(١٥) العليا أى المنفقة .

(١٦) السفلى أى السائلة .

(١٧) أى لا آخذ من أحد بعدك شيئا من ماله .

(١٨) صحيح البخارى جزء ٥ – مرجع سابق ص ١٢ .

(١٩) رجال حول الرسول – خالد محمد خالد – طبعة ثالثة – ص ٥٩ .

عجوز ترد عطاء أبى بكر :

أرسل الصديق عطاء بيت المال مع زيد بن ثابت الى امرأة عجوز .

فقالت لزيد : ما هذا ؟

قال زيد : مال قسمه أبو بكر بين النساء

قالت : أترشونني فى دينى

قال زيد : لا

قالت : أتخافون أن أدع ماأنا عليه (أى تترك الاسلام)

قال زيد : لا ..

قالت : والله لا آخذ منه شيئا(٢٠)

---

(٢٠) الصديق أول الخلفاء - عبد الرحمن الشرقاوى - الفصل الخامس .

الفصـــل الثـــانى

اعداد موازنة عامة للدولة
فى عهد الصديق

المالية العامة فى عهد الصديق كانت كاملة الأركان :

مما سبق يتضح أن المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق كانت متكاملة الأركان :

فهى مالية عامة لدولة لها سـلطاتها الثـلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ٠

وهى مالية عامة لها مواردها العامة المتعددة المتميزة ٠

وهى مالية عامة لها نفقـاتها العامة المخصـصة وغير المخصصة ٠

وهى مالية عامة لها ادارتها المالية التى حققت توازنهـا وفائضـها الذى وزع على أفراد الأمة وبذلك تكون قابلة للتطـور لتستوعب أى مستحدث فى الفن المالى العام مادام لا يتعارض مع الدين ٠

امكانية اعداد موازنة عامة للدولة فى عهد الصديق :

وفى ضوء تكامل أركان المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق يمكن بلورة عناصرها لاعداد موازنة عامة ، مع أن نظام الموازنات

العامة لم يعرف ويطبق الا فى القرن الثامن عشر ، أى بعد خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بمئات السنين ، ولو فرض وأعدت فى عهد الصديق هذه الموازنة العامة كان سيراعى طبيعة الموارد المخصصة وهى الزكاة وخمس الغنائم من أنها توجه حصيلتها لوجوه الانفاق المحددة لها بالقرآن ، اذ لا يجوز لأى دولة اسلامية أن تخالف أحكامه بعدم مراعاة هذا التخصص ، أما الموارد غير المخصصة وهى الجزية والخراج فهى مطلقة تنفق منها الدولة على سائر النفقات العامة لأدارة الدولة ولتأدية الخدمات العامة لتحقيق رعاية الشعب ·

وكان سيراعى كذلك أن ايرادات الزكاة ايرادات محلية تؤخذ من أغنياء الولاية وتنفق على فقرائها طبقا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن ليدعوهم الى الاسلام والصلاة فقال « فاذا أقروا لك بذلك فقل لهم ان الله فرض عليكم صدقة أموالكم تؤخذ من أغنيائكم فترد على فقرائكم ·

وبناء عليه فان الموازنة للدولة لو أعدت فى عهد الصديق لتكونت من الموازنات العامة التالية :

الموازنة العامة للزكاة :

وايراداتها العامة من متحصلات الزكاة وأوجه نفقاتها العامة محددة بالقران وهى للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل ·

وتكون عبارة عن موازنتين موازنة محلية للزكاة وموازنة مركزية يؤول اليها ما فاض من أموال الزكاة المحصلة من الأغنياء عن حاجة مصارفها المحلية وتنفقه الحكومة المركزية على الوجوه المحددة بالقرآن للزكاة أيضا ولكن على مستوى الدولة الاسلامية ، وان كان فى عهد الصديق وبسبب الردة أتته القبائل بعد انتصاره

عليها وأدت اليه الزكاة(١) فكان جمعها مركزيا للخليفة نفسه ولربما صرفها على فقراء ومساكين نفس القبائل(٢) .

الموازنة العامة لخمس الغنائم :

وايراداتها العامة من خمس الغنائم الذى يؤول لبيت المال وينفق منها فى الوجوه التى حددها القرآن ، وهى بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم لليتامى والمساكين وابن السبيل والكراع والسلاح ، لأن أبابكر الصديق وجه سهم الرسول وذى القربى للكراع والسلاح

كما سبق أن رأينا ، وهذه الموازنة العامة بطبيعتها موازنة عامة مركزية .

الموازنة العامة للجزية والخراج :

ومواردها من الجزية والخراج ويمثل جانب النفقات العامة فيها كل ما أنفقه الصديق رضى الله عنه على المصالح العامة على النحو السابق ايضاحه وهى الأجور ونفقات الحج ونفقات الفتوح الاسلامية واية نفقات تكون استلزمتها استكمال نفقات التكافل الاجتماعى اذا لم تكف موارد الزكاة(٣) .

تبويب الموازنة العامة فى عهد الصديق رضى الله عنه :

لا تظهر النفقات العامة والايرادات العامة فى الموازنات العامة الحديثة مجملة بل تظهر مبوبة طبقا لأسس مختلفة تختار كل دولة

---

(١) انظر الطبرى جزء ٣ — مرجع سابق — ص ٢٤٧

(٢) لذلك صورنا فيما بعد الموازنة العامة للزكاة مركزية .

(٣) كان من الممكن تصوير أيضا موازنة عامة مستقلة للضوائع وتركات من لا وارث له وهى تخصص للفقراء ، ولكن لم يصادفنا ما يثبت تحقيق موارد منها فى عهد الصديق .

الأساس الذى تراه ملائما لها ، فاذا اخترنا أحد هذه الأسس وهو التقسيم طبقا لطبيعة الايراد وطبيعة النفقة ، يمكن تقسيم الايرادات العامة للدولة الاسلامية ونفقاتها العامة فى عهد الصديق الى الأبواب التالية :

تقسيم الايرادات العامة هى :

باب (١) ايرادات الزكاة

باب (٢) ايرادات خمس الغنائم

باب (٣) ايرادات الجزية

باب (٤) ايرادات الخراج

تقسيم النفقات العامة هو :

باب (١) ويشتمل على أنواع الأجور العامة التى تدفعها الدولة للعاملين بها .

باب (٢) ويشتمل على جميع النفقات الجارية خلاف ما سبق فى الباب الاول اللازمة لادارة الدولة والاعانات التى تعطى للمستحقين والاعطيات التى منحت للمسلمين فى عهد الصديق رضى الله عنه(٤) .

وفى ضوء ماسبق تكون الموازنة العامة للدولة فى عهد الصديق رضى الله عنه على النحو التالى :

---

(٤) من المعتاد أن يفرد باب ثالث للنفقات العامة ذات الطبيعة الرأسمالية ولكن لم يصادفنا ما يثبت انفاق من هذا القبيل فى عهد الصديق .

الموازنة العامة للزكاة للدولة الاسلامية
عن السنة الثانية عشرة هجرية(٥)

الايرادات العامة	المبلغ
	درهما
باب (١) ايرادات الزكاة	...
اجمالى	...

النفقـــات العـــامة	المبلغ
	درهما
باب (١) رواتب العاملين على الزكاة	...
باب (٢) نفقات جارية وتشمل اعانات	
الفقراء	...
المساكين	...
المؤلفة قلوبهم	...
فى الرقاب	...
الغارمين	...
فى سبيل الله	...
ابن السبيل	...
اجمـــالى	...

(٥) لم يعرف التقويم الهجرى الا فى عهد عمر بن الخطاب ولكن لو عرف الموازنات العامة فى عهد الصديق لتوصل المختصـون للتقويم الهجرى .

الموازنة العامة لخمس الغنائم للدولة الاسلامية
عن السنة الثانية عشرة هجرية

الايرادات العامة	المبلغ
	درهما
باب (٢) ايرادات خمس الغنائم	
١/٥ غنائم موقعة ...	...
١/٥ غنائم موقعة	...
١/٥ غنائم موقعة	...
١/٥ غنائم موقعة	...
١/٥ غنائم موقعة	...
اجمـــــالى	...

النفقـــــات العامة	المبلغ
	درهما
باب (٢) نفقات جارية	
اعانات لليتامى	..
اعانات للمساكين	...
اعانات لأبناء السبيل	...
شراء كراع وسلاح	...
اجمــــــــالى	...

الموازنة العامه للجزيه والخراج للدولة الاسلاميه
عن السنة الثانية عشرة هجرية

المبلغ	الايرادات العامة	
		درهما
	باب (٣) ايرادات الجزية	...
	باب (٤) ايرادات الخراج	...
	اجمـــــالى	...

المبلغ	النفقـــــات العامة	
	باب (١) ايرادات الزكاة	درهما
...	باب (١) راتب الخليفة ورواتب العاملين بالدولة	
...	باب (٢) نفقات جارية (مصـاريف ادارة الدولة والخـــدمات العامة واقامة الشـــعائر واعانات وعطاء من غير الزكاة وشراء السلاح والعتاد من غير موازنة خمس الغنـــــائم	
...	اجمــــــالى	

تصور دورة الموازنة العامة لو اعدت فى عهد الصديق(٦) :

ولو كان نظام الموازنات العامة معروفا فى عهد الصديق لمرت الموازنة العامة بمراحل دورتها التى تمر بها الموازنات العامة للدول الحديثة وهى :

مرحـــــلة الاعـــــداد :

وكان سيعد الموازنة فى عهد الصديق أبو عبيدة الجراح رضى الله عنه باعتبار أنه عرض نفسه على الخليفة ليعاونه فى المسائل المالية ، كما سبق أن أوضحنا ، وكان سيندب لمعاونته فى الاعداد من يراهم صالحين للقيام بالمهمة ·

مرحـــــلة الاعتمـــــاد :

بعد أن تعد السلطة التنفيذية فى الدول حاليا مشروع الموازنة العامة للدولة ترسله للسلطة التشريعية ممثلة فى المجالس النيابية لمناقشـــة المشـــروع وابداء الرأى فى محتوياته واجراء ماتراه من تعديلات أو رفضه ،فاذا أجازت السلطة التشريعية مشروع الموازنة العامة ، اعتمده وصار قابلا للتنفيذ بعد الاعتماد ·

وفى عهد الصديق ، سبق أن اوضحنا أن جماعة الصـــحابة كانت تكون السلطة التشـــريعية ، فلو كان نظام الموازنات العامة معروفا فى عهد الصديق رضى الله عنه ولو أعد مشـــروع الموازنة العامة للدولة لمر على جماعة الصحابة وهم أهل الشورى لمناقشته واجازته بعد تبادل الرأى وبذلك يعتمد ويصبح قابلا للتنفيذ ·

---

(٦) يرجع لكتابنا الموازنة العامة للدولة ص ١٠٩ وما بعدها ـ طبعة ثالثة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

مرحـــــــلة التنفيـــــذ :

بعد أن يعتمد مشروع الموازنة العامة فى الدول حاليا يحال للسلطة التنفيذية لتنفيذ ما فيه بمعرفة السلطة التنفيذية وممثليها ، وفى عهد الصديق لو كان نظام الموازنات العامة معـــروفا وأعدمت مشروع موازنة الدولة بعد اعداده لقام بالتنفيذ الخليفة نفســـه ومعاونوه ممن كانوا يقومون بالكتابة له كعثمان بن عفان رضى الله عنه وآخرون ، وكان سيقوم الولاة ممن سبق التنويه عنهم بالمساهمة فى هذا الشأن ٠

وهكذا يتضح أن المالية العامة الاسلامية فى عهد الصديق كانت مكتملة لدرجة أنها كانت قادرة على استيعاب وتطبيق أحد النظم المالية الأساسية التى طبقت بعد ذلك العهد بمئات السنين وهو نظام الموازنات العامة ٠

مبادىء الموازنة العامة فى عصر الصديق[٧] :

وكانت ستتحقق فى عهد الصديق لو أعد موازنة عامة للدولة نفس المبادىء التى تتسم بها الموازنات العامة حاليا بعد اعدادها وهى :

الســـــنوية :

فتعد الموازنة العامة حاليا بصفة عامة عن فترة زمنية تبلغ سنة هجرية وقد أمكن اعداد موازنة عامة عن سنة فى عهد الصديق ٠

الشـــــيوع :

فى الموازنات العامة الحالية لا يجوز تخصيص ايراد عام معين لنفقة عامة محددة بل تمول الايرادات العامة النفقات العامة بصفة عامة شائعة ودون تخصيص ، الا ما استثنى بنص ٠

---

(٧) المرجع السابق ـ الصفحات ٢٩ وما بعدها ٠

وقد تبين فى الموازنة العامة التى تصورنا اعدادها فى عهد الصديق أن الايرادات العامة للجزية والخراج شائعة وغير مخصصة لنفقات محددة ٠

وأنه تطبيقا للنصوص القرآنية خصصت ايرادات الزكاة لنفقات محددة وكذلك الشأن فى ايرادات خمس الغنائم ٠

الشمــــــول :

ومعناه أن تشمل الموازنة العامة للدولة جميع ايراداتها العامة ونفقاتها العامة ، فلا يجوز الانفاق خارج الاعتمادات الموضحة بالموازنة العامة وهو مبدأ كان من السهل الأخذ به لو أعدت الموازنة العامة فى عهد الصديق الذى تميز بحزمه فى قيادة أمور الأمة ٠

الوضــــــوح :

الأموال العامة وايراداتها العامة الموضحة بالموازنة العامة هى أموال الشعب والحكومات نائبة عنه ، لذلك تعمد الدول حاليا الى ايضاح محتويات الموازنات العامة سنويا واعلانها بكافة الطرق ليعرف الشعب مصير أمواله ٠

وكانت موازنة الدولة الاسلامية فى عهد الصديق ستتسم بالوضوح لأن المال العام فى الاسلام مال الله والشعب مستخلف عليه. فكان الصديق سيتناولها فى خطبه ، وكان الصحابة يعلمون ويوضحون ويشرحون للشعب ٠

المــــــرونة :

تتضمن الموازنات العامة حاليا تأشيرات تتيح مرونة مسار العمليات المالية بحيث لا تصادف عقبات تحول دون تنفيذها ما ورد من اعتمادات بالموازنة العامة ٠

والمالية العامة الاسلامية تتسم بطبيعتها بالمرونة ، فاذا لم تكف موارد الموازنة العامة للزكاة للانفاق على مصارفها المعددة بالقرآن، يمكن تغطية النقص والانفاق على بعض هذه المصارف أو كلها من الموازنة العامة للجزية والخراج فمواردها عامة غير مخصصة لنفقات محددة بالذات ، كذلك الشأن فى موازنة خمس الغنائم ، يمكن الانفاق على النفقات المحددة لها من ايرادات الجزية والخراج اذا لم تكف موارد الخمس لنفقاتها المخصصة ومن المرونة فى المالية العامة الاسلامية أيضا أنه يمكن الانفاق العام على فتوح الاسلام من مصادر عدة وهى :

سهم فى سبيل الله من أموال الموازنة العامة للزكاة ·

سهم الرسول وسهم ذوى القربى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وذلك من ايرادات الموازنة العامة لخمس الغنائم ·

ايرادات الموازنة العامة للجزية والخراج فيمكن توجيه جزء منها لنفقات السلاح والخيل والعتاد ·

التوازن :

وقد أوضحنا فيما سبق التوازن الكمى والتمويل بالعجز فى الموازنات العامة حاليا كما سبق أن أوضحنا أن المالية العامة الاسلامية فى عهد صديق توازنت وحققت فائضا مكنه من توزيع فئات من العطاء على المسلمين ·

مبدأ الاسلامية من المبادىء الأساسية للموازنة العامة فى عهد الصديق :

على أن الموازنة العامة للدولة فى عهد الصديق كانت ستتحلى بمبدأ هام لا يتحقق فى بعض الموازنات العامة حاليا ، وهو مبدأ « الاسلامية » لأن الدولة كانت اسلامية ، القرآن دستورها وسنة رسول لله صلى الله عليه وسلم قانونها ، ورئيس الدولة وهو الخليفة

من المساهمين فى نشر الاسلام ، والسلطة التشريعية مكونة من صحابة تعلموا فى مدرسة الرسول ، وشعب المسلمين قريب العهد برسول الاســـلام ، والاسلامية الحقة تنشىء مبادىء هامة للمالية العامة فيه قوامها وهى :

الترشــــيد :

تطبيقا لقول الله جل وعلا فى ترشيد الأموال عموما ومنها المال العام :

« ولا تؤتوا الســـفهاء أموالكم التى جعــل الله لكم قياما » (النساء / من ٥)

الأمــــــانة :

اشاعة مبدأ الاسلامية فى الأموال العامة يعصمها من الخيانة والاختلاس والسرقة ويحيطها بأمانة الحكام والعاملين والمتعاملين معها وذلك استنادا لقول الله جل وعلا فى أكثر من آية وفيما يلى نماذج منها :

« يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وانتم تعلمون » (الأنفال / ٢٧)

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا » (النساء / ٥٨)

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم » (المائدة / ٣٨)

النمــــــاء :

بالعمل الجاد الدؤوب والانتاج المستمر المتزايد يزيد الدخــل القومى للأمة وتزداد ايراداتها العامة وتنمو ماليتها العامة وذلك

كله يدعو اليه مبدأ الاسلامية ، ولهذا المبدأ ـ بجانب هذه الوسائل العملية للنماء ـ وسائل أخرى معنوية لزيادة ثروات الامم ونمائها ٠

فالله جل وعلا يقول :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب » (الطلاق / من ٢ ، ٣)

ويقول سبحانه وتعالى :

« فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» (نوح / ١٠ ، ١١ ، ١٢)

ويقول جل وعلا أيضا :

« وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين » ـ (هود/٥٢)

الطهـــــارة :

سبق أن ذكرنا عند الكلام عن الانفاق أن بعض الماليات العامة غير الاسلامية تجبى أنواعا من الايرادات العامة من مصادر غير طيبة كايرادات من ضرائب على الميسر أو الخمور أو من فوائد ربوية أو من سلب خيرات دول ضعيفة مستعمرة وغير ذلك ٠

والاسلام يشترط فى الأموال العامة كما فى الأموال الخاصة أن تكون من كسب طيب فيمنع أى مال من الخمر والميسر ويمحق الربا ويؤثم أكل الأموال بالباطل ٠

فيقول جل وعلا ناهيا عن الخمر والميسر :

« انما الخمر والميســـر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (المائدة ـ ٩٠)

ويقول سبحانه وتعالى ناهيا عن الربا :

« يا أيها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، وان تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون » (البقرة / ٢٧٨ ، ٢٧٩) ٠

ويقول جل وعلا ناهيا عن أكل الأموال بالباطل :

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم وأنتم تعلمون » (البقرة / ١٨٨)

وغير ذلك من المبادىء العامة الخيرة التى يضـــفيها مبدأ الاسلامية على الماليات العامة للدول التى تلتزم بقواعد الاسلام فى عمليات أموالها العامة ٠

مرض الصديق ووصاياه عن المــال العام قبل موته

مرض الصديق ووصاياه عن المال العام قبل موته :

توفى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وستين سنة فى جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه(١) وسبق أن أوضحنا أن خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقيل ان خلافته سنتان وأربعة أشهر الا أربع ليال(٢) ، وقيل أن ســبب وفاته أن اليهود سمته فأكل طعاما مسموما سم سنة ، فمات بعد سنة ، وقالوا أن سبب وفاته أنه اغتسل فى يوم بارد فحم خمسة عشر يوما لا يخرج الى الصلاة ، وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلى بالناس(٣) .

وتمثل فى مرضه بالبيتين التاليين من الشعر :

---

(١) الطبرى ـ جزء ٣ مرجع سابق ص ٤٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ٤٢٠ .

(٣) الطبرى ـ جزء ٣ ـ مرجع سابق ص ٤١٩ .

وكل ذى ابــــل مــــــوروث

وكل ذى ســــلب مســــلـ

وكل ذى غيبــــــة يئــــوب

وغـــــائب المـوت لا يئوب

وكان آخر ما قاله « رب توفنى مسلما والحقنى بالصا

ومن وصاياه فى مرض الموت وصايا كان لها علاقة با
وهى :

اختيار أبى بكر الخليفة بعده كان خيرا وبركة على المال ا

لما مرض أبو بكر مرضه الذى توفى به دعا عبد ال
عوف :

فقال : أخبرنى عن عمر

فقال : ياخليفة رسول الله ، هو والله أفضل من رأي
رجل ، ولكن فيه غلظة .

فقال أبو بكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا ، ولو أفضى
لترك كثيرا مما هو عليه ، ويا أبا محمد قد رمقته ، فر
غضبت على الرجل فى الشىء أرانى الرضا عنه ، واذا لنت
الشدة عليه ، لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئا .

قال : نعم

ثم دعا أبو بكر عثمان بن عفان رضى الله عنهما

قال أبو بكر : يا أبا عبد الله ، أخبرنى عن عمر

---

(٤) المرجع السابق ص ٤٢١ .

(٥) الصديق أبو بكر ــ محمد حسين هيكل ص ٣٢٩ .

قال : أنت أخبر به

فقال أبو بكر : على ذاك يا أبا عبد الله !

قال عثمان : اللهم علمي به أن سريرته خير من علانيته ، وأن ليس فينا مثله ٠

قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لا تذكر مما ذكرت لك شيئا ٠

قال : أفعل

فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك ، وما أدرى لعله تاركه ، والخيرة له ألايلي من أموركم شيئا ولوددت أنى كنت خلوا من أموركم ، وأنى كنت فيمن مضى من سلفكم ، يا أبا عبد الله ، لاتذكرن مما قلت لك من أمر عمر ولا مما دعوتك له شيئا(٦) ٠

وأشرف أبو بكر على الناس

وقال : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فانى والله ما ألوت من جهد الرأى ، ولا وليت ذا قرابة ، وانى قد استخلفت عمر بن الخطاب، فاسمعوا له وأطيعوا ٠

فقالوا ٠ سمعنا وأطعنا

ودعا أبو بكر عثمان

فقال : أكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما عهد ابو بكر بن أبى قحافة الى المسلمين

أما بعد ٠

ثم أغمى عليه

---

(٦) الطبرى – مرجع سابق – ص ٤٢٨ ، ٤٢٩ ٠

مكتب عثمان :

« أما بعد فانى قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب . ولم آلكم خير منه »

ثم أفاق أبو بكر فقال : اقرأ على

فقرأ عثمان عليه

فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت ان يختلف الناس أن أفلتت نفسى فى غشيتى

قال عثمان : نعم

قال أبو بكر : جزاك الله خيرا عن الاسلام واهله

وأقرها أبو بكر رضى الله عنه(٧)

وكان نقش خاتم أبى بكر رحمه الله « نعم القادر الله »(٨)

وكان أبو بكر موفقا فى اختيار عمر فكان استخلافه خيرا وبركة على الاسلام والمسلمين بصفة عامة وعلى بيت المال والمال العام بصفة خاصة ٠

ففى عهد عمر زادت الايرادات العامة زيادة كبيرة نتيجة زيادة أموال الزكاة بدخول مسلمين جدد فى الاسلام وزادت أموال الغنائم نتيجة الانتصارات المتوالية فى فتوحات الاسلام ، وزادت حصيلة الجزية من أهل الكتاب بعد أن علت هيبة الدولة وزادت قوتها ، ولم يوزع أراضى الفتوح بين الفـــاتحين فآلت للدولة وآل لبيت مال المسلمين خراجها ، وأضاف الى ايرادات بيت المال ايرادا جديدا من عشور التجارة وأدت النفقات العامة دورها فى تمويل الجهاد وأداء الخدمات العامة وحماية الدين وتعمير المســاجد وأداء الفرائض

---

(٧) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٢٩ ٠

(٨) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٢٧ ٠

واقامة المدن الجديدة وانشاء خليج بين مصر والجزيرة العربية على النحو السابق ذكره ٠

وكان لادارته المالية العامة تخطيطا وتنظيما ورقابة دورها فى تحقيق فائض مـــالى كبير مكنه من توزيع عطـــاء مـــرتفع على المسلمين(٩) ٠

رد الصديق أجره لبيت المال :

لما حضرت الصديق الوفاة قال :

« ردوا ما عندنا من مال المسلمين ، فانى لا أصيب من هذا المال شيئا وان أرضى التى بمكان كذا وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم » ٠

فدفع ذلك الى عمر رضى الله عنه ولقوحا وعبدا وقطيفة ما تساوى خمسة دراهم ٠

فقال عمر : لقد أتعب من بعده

وقال أبو بكر أيضا : أنظروا كم أنفقت منذ وليت من بيت المال فاقضوه عنى ٠

فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم فى ولايته(١٠)

وبذلك رد أبو بكر أجره الذى أخذه من بيت مال المسلمين تعففا وزهدا ، وقدم لبيت المال أرضا كان يملكها حددها فى وصيته ٠

أين هذا من بعض الملوك والرؤساء فى الأزمنة الحديثة ينالون خلال رئاستهم من الأموال والمنافع والمزايا والمخصـــصات مايفوق أجر ولايتهم فيثرون بطرق غير مشـــروعة ، ويتركون لورثتهم من

---

(٩) للتفاصيل يرجع لكتابنا « السياسة المالية لعمر بن الخطاب » مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

(١٠) الطبرى ــ جزء ٣ ــ مرجع سابق ص ٤٣٣ ٠

بعدهم ثروات سلبت بعضها أو كلها من الأموال العامة ، وشعوبهم فى فقر مدقع وتخلف مطبق .

بيت المال لا يتحمل نفقات تكفين أبى بكر ولا دفنه :

تتحمل خزائن الدول حاليا نفقات تجهيز وتكفين وتشـــييع جنازات الرؤساء والملوك وسط مظاهر عامة تلقى على الدول أعباء مالية وقد تفادى أبو بكر الصديق رضى الله عنه ذلك كله ، ففى مرضه حدث ابنته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها .

فقال : فى كم كفن النبى صلى الله عليه وسلم ؟

قالت : فى ثلاثة أثواب .

قال : اغسلوا ثوبى هذين ـ وكانا ممشقين(١١) ـ وابتاعوا لى ثوبا آخر

قلت : يا أبة ، انا موسرون !

قال : أى بنيه الحى أحق بالجـــديد من الميت ، وانما هما للمهلة(١٢) والصديد(١٣) .

وأوصى أن يدفن الى جنب النبى صلى الله عليه وسلم ، فحمل على السرير الذى حمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفذوا وصيته فدفنوه الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل رأسه عند كتفي الرسول ، وألصقوا اللحد بلحد النبى صلى الله عليه وسلم ، وجعل قبره مثل قبر النبى صلى الله عليه وسلم مسطحا ورش عليه الماء(١٤) .

---

(١١) الثوب المشق : المصبوغ بالمزه .

(١٢) المهلة : القيح والصديد الذى يذوب من الجسد .

(١٣) الطبرى جزء ٣ ص ٤٢١ .

(١٤) الطبرى ـ جزء٣ ـ مرجع سابق ص ٤٢٣ .

وهكذا كما صاحب الصديق النبى فى الحياة وفى الغار صاحبه ميتا فى القبر ٠

وقد ارتجت المدينة لوفاة أبى بكر ٠

وأبنه على بن أبى طالب فقال :

« رحمك الله يا أبا بكر ! كنت والله أول القوم اسلاما، وأخلصهم ايمانا ، وأشدهم يقينا وأعظمهم غنى ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحدبهم على الاسلام ، وأحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله خلقا وفضلا وهديا وسمتا ، فجزاك الله عن الاسلام عن رسول الله وعن المسلمين خيرا ٠ صـــدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا ، وسماك الله فى كتابه صديقا فقال « والذى جاء بالصدق وصدق به » يريد محمدا ويريدك ، كنت والله للاسلام حصنا ، وللكافرين ناكبا ، ولم تضلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كالجبل لا تحركه العواصف ، ولاتزيله القواصف ٠ كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا فى بدنك ، قويا فى دينك ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض كبيرا عند المؤمنين ، لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوى ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى وتأخذه للضعيف ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك ! »(١٥) ٠

وابنته ابنته عائشة أم المؤمنين فقالت :

« نضر الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها ، وللآخرة معزا باقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزءك ، وأكبر الأحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض ٠ وأنا منتجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك ، ومستعينة

---

(١٥) الصديق أبو بكر ـ محمد حسين هيكل ـ طبعة سادسة ص ٣٣٠ ٠

كثرة الاستغفار لك ، فسلام الله عليك ، توديع غير قالية لحيـــاتك ولا زارية على القضاء فيك »(١٦) ٠

وقال عمر بن الخطاب حين دخل على أبي بكر بعد موته :

« ياخليفة رسول الله ! لقد كلفت القوم بعدك تعبا ووليتهم نصبا ٠٠ فهيهات من شق غبارك ، فكيف اللحاق بك »(١٧) ٠

ونحن بعد مئات السنين من موت الصديق نقول :

« رحمك الله ياصـــديق ثبت الزكاة فحفظت حقوق الفقراء والضعفاء والمحتاجين ، ورفعت لواء الجهاد فآل لبيت المال نصيبه من غنائم النصر فرعيت به اليتامى وأبناء السبيل والمســاكين ، وأرجعت أهل الكتاب الى الاعتدال بعد أن مالوا ، فأدوا الجزية عن يد وكانوا صاغرين ، ودعمت أمر خراج الأرض بسنة الرسول خاتم النبيين ، ورشدت الانفاق العام فكنت من المقسطين ، وأحســـنت الادارة المالية وعففت عن مـــال الله الذى أتاه الأمة ، فكنت من المحسنين ، ووازنت مالية الدولة ومنحت المسلمين عطاء متساويا فكنت من الموفقين ، فجزاك الله ثوابه الذى وعده الصديقين ٠

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ،

تم بعون الله

قطب ابراهيم محمد

(١٦ ، ١٧) المرجع السابق ص ٣٣٢ ٠

بعض المـــراجع

- القرآن الكريم

- معجم ألفاظ القرآن الكريم :

المجلد الأول والثانى ـ صادر عن مجمع اللغة العربية ـ الهيئة العامة للتأليف والنشر .

- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم :

صادر عن المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

- مختصر تفسير ابن كثير :

محمد على الصابونى ـ دار القرآن الكريم ببيروت .

- صحيح البخارى :

تاليف أبى عبد الله محمد بن اســماعيل البخارى ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- المنتخب من السنة :

الجلد السادس ـ صادر عن المجلس الاعلى للشئون الاسلامية

- تاريخ الطبرى :

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى - طبعة ثانية - دار المعارف

- صفوة السيرة المحمدية :

لفضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى - طبعة معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ٠

- السيرة النبوية لابن هشام :

أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى - طبعة دار الجبل ببيروت ٠

- الخلفاء الراشدون :

د ٠ عبد المقصود نصار وآخرون - مطبعة دار الطباعة المحمدية ٠

- مع الخلفاء الراشدين فى الاسلام :

عبد الخالق أبو رابية - طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ٠

- مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم :

عبد المنعم حماده - أصدره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية

- الأموال :

لأبى عبيد القاسم بن سلام تحقيق محمد خليل هراس ١٣٩٦ هـ ١٩٧٦ م - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ٠

- الخراج :

للقاضى أبى يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الامام أبى حنيفة - المطبعة السلفية ٠

ـ المالية العامة للدولة الاسلامية :

قطب ابراهيم محمد ـ اصدار معهد الدراسات الاسلامية ·

ـ الموازنة العامة للدولة :

قطب ابراهيم محمد ـ طبعة ثالثة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

ـ السياسة المالية للرسول :

قطب ابراهيم محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

ـ السياسة المالية لعمر بن الخطاب :

قطب ابراهيم محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

ـ السياسة المالية لعثمان بن عفان :

قطب ابراهيم محمد ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ·

ـ عبقرية الصـــديق :

عباس محمود العقاد ـ دار المعارف بمصر ـ ١٩٦١

ـ الصديق أبو بكر :

محمد حسين هيكل ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة السابعة

ـ رجال حول الرسول :

خالد محمد خالد ـ دار الريان للتراث

ـ مذكرات في نظام الحكم والادارة في الدولة الاسلامية :

المستشار عمر الشريف ـ طبعة معهد الدراسات الاسلامية ·

- الجهـــــاد :

للدكتور أحمد محمد الحوفى - المجلس الآعلى للشـــئون الاسلامية .

- الصديق أول الخلفاء :

عبد الرحمن الشرقاوى .

- خالد بن الوليد :

تأليف اللواء أغا ابراهيم أكرم

ترجمة الأستاذ اسماعيل كشميرى - اصدار المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

- عبقرية خالد :

عباس محمود العقاد - طبعة ١٩٧٠ - وزارة التربية والتعليم

الفهـــرس

الصـ

الصفحة

رقم الايداع ۸۲۰۸/۱۹۸۹

الترقيم الدولى ٤ ـ ۲۲۷۳ ـ ۰۱ ـ ۹۷۷

الهيئة المصرية العامة للكتاب

● هذا الكتاب

ــ تولى الصديق رضى الله عنه دولة الإسلام الناشئة وقد ادعى البعض النبوة ، وارتد البعض عن أداء الزكاة ، وتربص أهل الكتاب يأملون التوقف عن دفع الجزية وسداد الخراج .

ــ مال بعض الصحابة للتهدئة ولكن الصديق صمم وواجه بالجهاد المدعيين والمرتدين والمتربصين حتى تحقق النصر المبين وهلك مدعو النبوة وعادت الزكاة والجزية والخراج وسائر الإيرادات العامة تتدفق طائعة لبيت مال المسلمين . وبذلك استقرت مالية الدولة الإسلامية ، فأدارها الصديق بسياسة عامة رشيدة التزمت أحكام القرآن المجيد وسنن الرسول الأمين فتوازنت وتوازن معها مجتمع المسلمين وعقيدتهم ، وأصبحت المالية العامة الإسلامية نموذجاً صالحاً للتطبيق فى كل زمان ومكان .

٣٩٠ قرشا

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب